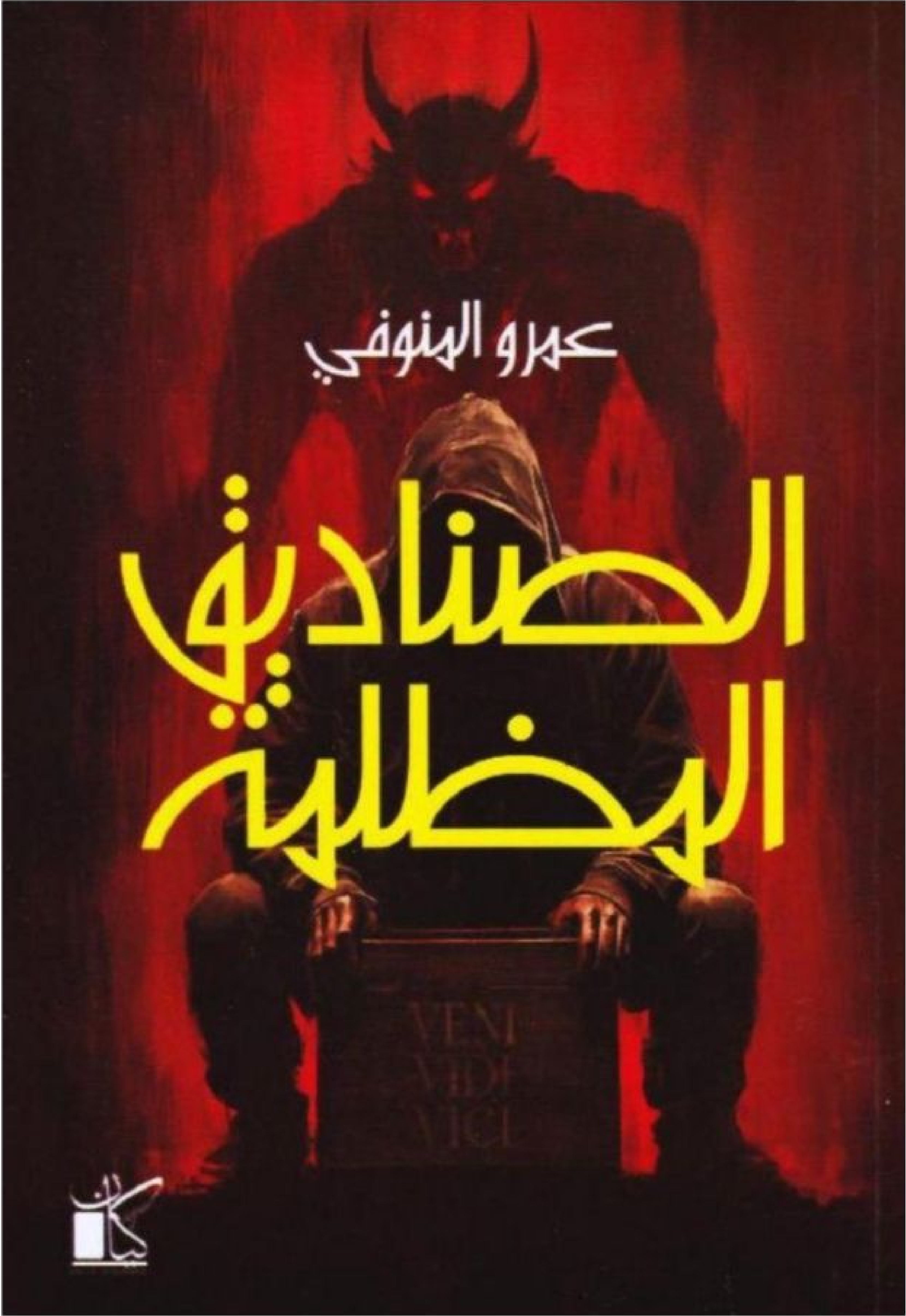
عمرو المنوفي
الصناديق
المظلمة
VENI
VIDI
VICI

@ART_OF_BOOK

رواية الصناديق المظلمة

عمرو المنوفي

الحياة صندوق مغلق ملء بالأسرار والمفاجآت.

لا يمكننا معرفة ما في داخله حتى نفتحه ونجرب ما فيه.

ولكن من يجرؤ منا على فتحه؟

من يتقبل أن يتحمل مسؤولية أن يرى ما خفي عنه؟

ما يخبئه له القدر؟

ما أراد أن يخفيه عن نفسه وعن العالم؟!

الصناديق المظلمة

الاسم مُوحٍ بشدة، ويَعِد بالكثير، لن أنكر هذا.

عند البحث عنه على الإنترنت، ستجدونه مرتبطًا بكل تلك الأنشطة الإجرامية الخفية والسرية التي تتم عبر شبكة الإنترنت المظلم (الديب ويب)، مثل: الاتجار في البشر، والمخدرات والمعلومات الشخصية المقرصنة، والأسلحة السيبرانية، والمهربة والهويات المزورة وغيرها.

لكننا هنا لسنا بصدد الحديث عن هذه الأمور المعقدة، بل عن شيء أبسط وأكثر إفزاعًا: صناديق حقيقية؛ قد تكون خشبية أو معدنية أو كرتونية أو مصنوعة من أي شيء لعين آخر، يشتريها العميل وهو يجهل تمامًا محتوياتها.

النوع الأول من هذه الصناديق يشار إليه باسم «الصناديق الآمنة»، أو الصناديق العشوائية كما يفضل صانعو المحتوى؛ لأنه على الرغم من جهل المشتري بمحتواها، فهو يعرف مصدرها والمواقع التي تتاجر بها، والتي غالبًا ما تكون مشهورة ومعلنة، والتي قد تحتوي على أشياء عادية تناسب ما دفع مقابلها، مثل الملابس، شاشات العرض الأجهزة الإلكترونية، أو الكتب أو مجرد هراء لا يعادل واحدًا على ألف مما دفع فيها، كمنظفات الصحون الحصى، أو قوالب القرميد.

إنها كما ترون تمثل شكلا من أشكال المقامرة المقنعة، التي لا تخلو من مخاطر، وإن كانت مخاطر محدودة لن تتجاوز خسارتك لأموالك التي دفعتها فيها أو جزء منها، ولا تستدعى أن نتحدث عنها أكثر لأن هناك صناديق أثمن وأكثر خطورة،

وتستحق وجودنا اليوم وهي التي يطلق عليها اسم «الصناديق المظلمة».

وهي تلك الصناديق الغامضة المجهولة المصدر والمحتوى، والتي تشترى بأساليب ملتوية من خلال «الدارك ويب»، عبر مجموعة من السماسرة والتجار المجهولين، الذين يحملون أسماءً رمزية أو كودية، ولا يمكن معرفة هُويتهم أو تعقبهم، بسبب استفادتهم من «الأنونيمية» أو خاصية حجب الهويات والتنصل من المسؤولية التي يوفرها الإنترنت المظلم لتجنب المساءلة والعقاب.

والقاعدة الثابتة هنا، أن كل ما يأتي من خلال الإنترنت المظلم، لا بد أن يحتوي على شيء مريب، أو مخيف، أو مخالف للقانون؛ شيء قادم من تلك العوالم المبهجة التي يشنق فيها الرجال وتقطع أيديهم لصنع أدوات سحرية ملعونة؛ أو يفتح لنا بابا غير موجود إلى عالم تعذب فيه الأرواح، أو يمنحنا وسيلة جهنمية للاتصال بالعالم الآخر، أو دمى ملعونة، أو غرضًا يؤهلنا لرصد الشاحبين وكشف سر الطوابق السفلية.

على كل حال، ينصح العارفون عند شراء هذه الأنواع من الصناديق أن تكون أكثر حذرًا؛ لأن البعض يستخدمها وسيلة للوصول إلى أغراض أشد ظلاما من الصناديق نفسها.

لذا عليك أن تستمع لنصائحي:

مع الصناديق الآمنة، قد يكون من الأفضل دائما التحقق من سمعة البائع وقراءة أي تعليقات أو تقييمات من العملاء الآخرين قبل إجراء الشراء على موقعهم المعلن أو الموثق.

بينما مع الصناديق المظلمة..

من الأفضل ألا تعرف البائع.. وألا يعرفك..

وإلا فقد تكون جثتك...

هي ما سيشحن في الصندوق التالي.

هوس

على الرغم من اكتشافي المتأخر، بل المتأخر جدًا الحقيقة وجود «الصناديق المظلمة»، وأنها أصبحت تجارة رائجة، وجزءًا ذا طبيعة خاصة من السوق السوداء لشبكة الإنترنت المظلمة (الدارك ويب)، فإن تعلقي بهذا النوع من الصناديق أصبح مرضيًا، بل تخطى مرحلة التعلق إلى مرحلة الهوس.

لا أحد يمكن أن ينكر أن لهذه الصناديق سحرًا خاصًا لا يضاهي؛ إنها بوابة لعالم آخر، عالم غامض.. بكر.. لم يكتشف بعد. أسعى بكل جهدي لسبر أغواره، والغوص في دهاليزه المظلمة التي تحمل في طياتها كثيرًا من الأسرار والمعارف التي لا تقدر بثمن.

لذا احتلت هذه الصناديق الجهنمية مساحة هائلة من وقتي وتفكيري خلال السنوات العشر الأخيرة - الجزء الأعظم لو أردنا الدقة - وأحال بعضها حياتي، وحياة من حولي الجحيم خالص، لم يخل من عنف ودماء، هذا غير الأثر النفسي المدمر، فنحن نعبث في أشياء تتخطى المحرمات.

وبدأ هذا الأمر عندما طرحت إحدى وكالات الدعاية والإعلان، التي تتعامل معها شركاتي، فكرة ((الصناديق المغلقة)) في أحد الاجتماعات الدورية، لتكون حجر الأساس لحملتنا الإعلانية الموسعة الجديدة، والتي عن طريقها سنطرح مجموعةً متنوعة من الصناديق المجهولة المحتوى للمستهلكين.

بداخل كل صندوق مجموعة مختارة من منتجات شركاتي المختلفة لنعمل على ترويج الراكد منها، أو ما قل الطلب عليه، مع منتجات أخرى مطلوبة أو رائجة، دون أن نثير سخط

العميل، أو نشعره بأننا ندفعه لمزيد من الإنفاق غير المبرر، أو نحتال عليه لنمنحه ما لا يحتاج أو يرغب في اقتنائه.

الفكرة في حد ذاتها مغرية وجذابة، ومثيرة للخيال، وتلعب على وتر حب استكشاف المستهلكين للغامض والمجهول، وهي تبرز بوضوح أن الوكالة درست السوق المحلي بتوسع، ووضعت يدها على مفتاحه.

ومخطط الحملة الإعلانية، يوضح أيضًا أنهم درسوا نفسية الجمهور المستهدف جيدًا جدًا، فالحملة ستلعب في البداية على فكرة التفرد، وإشباع شعور التفوق لدى من يقتنيها من المستهلكين قبل الآخرين، مهما كانت محتوياتها أو قيمتها أو مدى إرضائها للمشتري ففي عالم الأحداث الساخنة والتِّرِنْد: المجد لمن بدأ.

خلبت الفكرة لُبي من اللحظة الأولى؛ لما ستحدثه من ضجة ورواج، وما ستجنيه من ارباح ومكاسب، وكون كل صندوق سيُباع، سيكون في حد ذاته إعلانًا منفصلًا متداولًا عن منتجات شركاتي، مع شغف الجماهير بمقارنة ما ربحوه بما ربحه غيرهم.

لا بد أن الأب الروحي لهذه الفكرة تاجر يهودي فذ أو طبيب نفسي عتيد، يدرك مدى تعلق النفس البشرية بكل غامض ليبيع لزبائنه المجهول في صناديق مغلقة؛ ويشعرهم في الآن ذاته بأنهم جزء من تجربة فريدة وممتعة ومتجددة، ويدفعهم دون أن يشعروا ليكونوا أكثر ولاء للعلامة التجارية.

في ذلك التوقيت، وفي غرفة الاجتماعات الكبرى، احتدمت المناقشات بيننا، وانتقل حماسي إلى الجميع، فضج المكان برائحة الانفعال والأدرينالين. وأثناء نقاشنا الخطوات التمهيدية للحملة، أشار خبير علم النفس التسويقي الذي جاء برفقة

مندوبي شركة الدعاية والاعلان، لأننا لسنا بحاجة في البداية لوضع هدايا أو جوائز أو منتجات مرتفعة القيمة في الدفعة الأولى من الصناديق، كما اقترح أحد المديرين التنفيذيين لشركاتي؛ لإكساب الحملة مصداقية فور إطلاقها. وبرر هذا بأن العديد من صناع المحتوى، والمدونين والمؤثرين على شبكات التواصل - الذين أصبحوا مثل ملح الأرض، ويلهثون خلف الأفكار الجديدة والغريبة سيدعون من تلقاء أنفسهم وجود أشياء ثمينة أو غريبة أو فاسدة في صناديقهم.

وكعادتهم، سيشركون الجماهير المتعطشة للفضائح معهم في فتحها لجذب المشاهدات، وهذا سيروج للفكرة بقوة في البداية. لذا علينا ترك الجوائز والهدايا الثمينة والقيمة للمرحلة الثانية، لتقليل التكاليف المبدئية لإطلاق الحملة، ثم لإعادة تنشيط الحملة بعد التشبع، وللانتقال من مرحلة حصد ثمار الدعاية السلبية إلى الثقة بكل مرونة.

كنت أعلم أن الدعاية السلبية جزء لا يتجزأ من المهارة التسويقية ومتخوفًا من استعمال هذا السلاح مبكرًا، ولكنهم أقنعوني أنها أسرع أنواع الدعاية، ولديهم متخصصين في إدارتها.

وبعد استفساري عن مزيد من النقاط، وإجاباتهم المقنعة المرئية. لم تأخذ مني الفكرة أي مجهود على الإطلاق لأوافق عليها، وأعتمد الحملة الإعلانية الجديدة، وأعين المسؤول عن إدارتها.

لتأتي اللحظة الحاسمة، عندما قررت أن أتقصى عن أصالة الفكرية وهل هناك من سبقنا إليها في محيط سوقنا المحلي، الذي لا يترك فكرة خلاقة إلا استنسخها القائمون عليه؛ لأن من طرح هذه الفكرة العبقرية أخبرنا أنها مطبقة منذ زمن في

الأسواق العالمية، لأتفاجأ بوجود النوع الثاني من تلك الصناديق؛ «الصناديق المظلمة».

وساعتها نسيت كل شيء عن الحملة الإعلانية ومراحلها، وما سنجنيه من ورائها من أرباح، ورحت أتتبعها، وأتتبع أخبارها بكل شغف

وفي فترة وجيزة، أصبحت ملمًّا بكل خبايا هذه التجارة غير المشروعة، وما يدور في أروقتها السرية عبر «الدارك ويب»، وما يشع عن مورِّدي هذه الصناديق، وطرق الحصول عليها والتفاوض على الأسعار، وأهملت كل شيء آخر، مما أجبرني على الدخول في سجاد رهيب مع «مازن» مساعدي، الذي فاجأني ذات يوم وهو يصرخ بصوته الجهوري في نفاد صبر:

- لقد أصبحتَ مهووسًا بهذه الصناديق اللعينة.. وكل هوس قاتل.

لأرد عليه في ضيق:

- إن تشاؤمك هذا هو ما سيجلب الوبال على رؤوسنا.

لتمر الأيام، وتتحقق بعض مخاوفه، ويعود ليتشاجر معي قائلًا:

- كفاك مجازفة، وإهدارًا لأموالك على تلك الصناديق اللعينة...

موتك سيتسبب في خراب بيوتنا جميعًا.. بعض العقل يا سيدي.

لأجيبه في استنكار:

- كيف يمكن أن أتعقل أمام صندوق مغلق، قد يحمل بداخله أحد الأسرار المنسية؟

ليجيبني في ثورة:

- وقد يكون في هذا الصندوق هلاكنا جميعنا.. ألا تتعظ مما عانينا منها سابقًا؟ إن رائحة الموت تفوح بشدة من هذه الصناديق، هناك شيء شرير ومريب يحيط بها، وبذلك الحقير الذي يبيعك إياها.. ألم تلاحظ أنه لم تواجهك أي عقبات في دخول هذا العالم الشائك؟ وكأن هناك من عبد الطريق أمامك.

فأقول وبعض الشك يتسلل إلى أعماقي:

- ربما هذا الصندوق فقط.

فيهشم «مازن» قبضته في الجدار، وهو يصيح بصوت حاد:

- إنك تضيع وقتك ووقتنا في هراء خالص.. ماذا لو استغل أحد منافسيك هوسك هذا للتخلص منك.. إن عالم الأعمال لا يرحم.. ونجاح شركاتك شوكة في حلق الكثيرين، الذين سيسعدهم اختفاؤك من على وجه الأرض. إن هراءك هذا ثغرة خطيرة في نظامنا الأمني، ولن تدفع ثمنها وحدك.

للمرة الألف أعلم أنه على حق.

وللمرة الألف أتجاهل نصيحته التي أثارت القشعريرة في كياني وأنا أفكر في فرضية أكثر سوادًا: فماذا لو استغل فكرةَ هذه الصناديق المظلمة، قاتلٌ مهوس أو عالم مختل أو مريض نفسي؟!

كلها خيارات مخيفة، ومفجعة، وتدعو للتريث قبل المخاطرة ولكن أخبروني عن شخص واحد، استمع إلى نصيحة جيدة، وطبقها في الوقت المناسب!

ينصحون دائمًا بأن تختار الرفيق قبل الطريق، وأن ترافق في رحلتك من يشبهك، أو من يكون له نفس أهدافك ليعينك عليها، وهو ما لم يكن ينطبق على «مازن» إلى حد كبير؛ فبرغم ما يتمتع به «مازن» من صفات قيادية، وشجاعة، وسرعة بديهة في مجابهة المخاطر والأحداث غير المتوقعة، فإنه لا يحمل في أعماقه روح المغامر المبادر التي يستدعي وجودها، كونه يجوب العالم بصحبتي مطاردًا كل ما هو مجهول وغامض ومريب.

لن أنكر كونه حائط صد لا يتزحزح، ورد فعل عاصفا، وخير رفيق عند وقوعك في مأزق أو موقف معقد، ولكنه مع الأسف لن يخوض وحده أي مغامرة ما لم يُجبَر عليها.

إنه قادر على تمزيق أسد بيديه العاريتين، وفي الوقت نفسه لن يفكر لحظة في أن يذهب لمطاردته أو صيده؛ لأنه لا يرى أي إنجاز في اقتحام عرين أسد غافل وصيده.

ولن يسارع يومًا لتسلق قمة جبل «إفرست»، أعلى قمم الجبال في العالم، على الرغم من أن لياقته البدنية تؤهله لهذا؛ لأنه لا فائدة وراء إنفاق كل هذه الجهود لتسلق جبل ثم معاودة الهبوط منه. ويرى أن قضاء الوقت على شاطئ البحر، أو في صالة التدريبات، أكثر نفعًا وفائدة.

إنها قناعته الخاصة، التي قد تتبدل الجبال والتضاريس ولا تتبدل هي لدرجة أنه استفزني ذات مرة فسألته:

- ألا تشعر بالنشوة عندما تجازف أو تخاطر؟ ألا يثيرك تدفق الأدرينالين في عروقك؟ إنك مقاتل سابق.

فيخبرني وبؤس الدنيا كله يرتسم على وجهه، وبطريقة من يتعامل مع مخبول أو معتوه:

- الدماء تتدفق طوال الوقت في عروقنا، ولم نصنع لها كل هذا الضجيج، فلا تتعامل مع الأمر كالمدمنين، لولا العهد الذي قطعته لأبيك، لما تحملت هراءك هذا لحظة واحدة إضافية.

اللعنة على تصالحه مع ضيق أفقه هذا! لا شيء يدهشه أو يثير فضوله؛ لذا يشاركني رحلاتي ومغامراتي على مضض، وبروح تلعن شغفي في كل زمان ومكان.

إن «مازن» يفتقر للخيال والحماس، ولكنه مخلص...

فقط لو يتدارك هذا العيب الخطير، لو...

أعلم جيدًا أنها أمنية لن تتحقق، ولكن هذا لا يعني أنه بلا فائدة، أو أنني أكرهه، أو لا يقوم بعمله على أكمل وجه.

ونصيحة مني، لا تجعل ملامحه الطفولية الوسيمة هذه أو أسلوبه المهذب يخدعانك، وتتورط معه في شجار أو صدام بأي حال من الأحوال؛ لأن هذا البلدوزر الآدمي إذا غضب لن يرحمك. وهو قادر على سحقك بعضلاته المنتفخة هذه، والتي لا يتوقف عن تنميتها في صالة التدريبات. كما أن مهاراته كجندي، ورجل حراسات خاصة سابق، سيجعله يُجهِز عليك في لحظات، ولن تنتبه إلا وأنت مكوَّم على الأرض، ومهشَّم العظام.

إنه بارع حقًّا في مثل هذه الأمور.

ويكفيني منه أنه ناصح أمين على الرغم من أن طريقته في إسداء النصح تجعلك تتمنى بعد سماعها لو هشمت أسنانه، أو قطعت لسانه!

كان اختياري أنا لا اختيار أبي؛ لذا لم أتوقف عن تذكيره بأن وصية أبي لا معنى لها؛ لأنه بالفعل ساعدي الأيمن، ولكن ما يخوضه بسببي من أهوال يجعله لا ينفك يردد تهديده بلا كلل أو هوادة.

ولا أنسى أبدًا مقولته الغاضبة عندما رأى الصندوق المظلم الأول، بتغليفه الرديء، وأختامه الغريبة، والشعار اللاتيني المكتوب على جانبيه، وعلم بالمبلغ الفادح الذي دفعته بالعملات الرقمية (بتكوين) مقابل الحصول عليه:

- إنه ليس مجرد صندوق مليء بالهراء فقط، إنه حماقة معلبة.

والغريب أن الصندوق المصنوع من خشب رديء، كان مليئًا بالهراء، وأثبت له أنني أحمق كبير، مع محتوياته التي لا تساوي واحدًا على ألف مما دفعته مقابل الحصول عليه، بل لا تتعدى أجرة شحنه فبداخل الصندوق الخشبي الصغير قبعت دمية خشبية صغيرة في حجم كف اليد، مع رسالة قصيرة خُطت بخط أسود سميك على رقعة جلدية مدبوغة، تحتوي على تحذير عجيب يخص تلك الدمية وكان نصه:

- لا تتزوجها.. لا تدخل جنتها.

هل تتخيلون مدى سخف موقفي؟

والشيء الذي كاد يقتلني غيظًا، أن الدمية بعد فحص مُتأنٍّ، وتجارب عديدة عليها، ومحاولات لاستنطاقها، أو إثارة

غضبها، لم تكن مسحورة أو ملعونة أو مسكونة بروح شريرة أو حتى ناطقة.

فهي لا تتحرك من مكانها بعد منتصف الليل وتذهب إلى المقابر!

ولا تجوب ردهة فيلتي، حاملة سكين مطبخ حادة تنحر به الخدم!

ولا تتحدث معي عندما نكون وحدنا!

ولا تقوم بأي فعل يبرر المبلغ الضخم الذي دفعته فيها.

مجرد دمية خشبية صماء، لا فائدة منها.

حتى إنها لا تبكي، أو تقول بابا أو ماما.

تعلمون بالطبع مدى الحرج الذي عصف بي، مع نظرات «مازن» اللائمة التي تتلخص في عبارة واحدة:

- ألم أخبرك أيها الأحمق؟!

إن فكرة النصب عليك بهذا الشكل المهين، في أول تعامل تحمست له، بعد تدقيق ومفاضلات، وبعد تحذيرك، شيء محبط؛ ويُلصق بك دون مواربة تهمةَ الحماقة.

والمزعج أنه ينافي منطق عمليات النصب نفسها؛ فالنصاب المحترف لا يضرب ضربته بهذه السرعة والرعونة، ولا يختطف أول ما يُلقى إليه ويركض. إن رأس مال النصابين، هو ذكاؤهم، والعمليات الطويلة المدى هي متعتهم وشغفهم، فأي حظ لعين أوقعني في هذا الأفّاق؟ لقد قرأت عن العشرات من هؤلاء المحتالين، وأعرف أنهم ممثلون بارعون، يتقنون فن التلاعب والإقناع، ويتعاملون مع ضحاياهم بحنكة

وهدوء شديدين، كأنهم على رقعة شطرنج هائلة تمثل الحياة.

يلقون لضحاياهم الطُّعم، ويكتسبون ثقتهم في البداية، ثم يمنحونهم جزءًا مما يصبون إليه، ودون أن ينتبهوا يستنزفونهم ببطء وعندما يكتفون منهم، يلدغونهم اللدغة المميتة.

اخطف واركض هذا، لم يكن بها رائحة الاحتراف، وتضرب سمعة البائع في مقتل.

ومن المؤكد أن من يُنصب عليه لن يصمت، وسيحاول الانتقام على الأقل بالتشهير، أو إغلاق الموقع الأسود الذي نُصب عليه من خلاله أو أي فعل عنيف آخر، فهو عالم محدود برغم اتساعه، وتنتشر فيه الأخبار بسرعة البرق، وجميع عملائه رجال أعمال ثقال، ولديهم جيوشهم الإلكترونية التي تؤمِّن لهم دخول هذا العالم المفخخ وبعضهم لديهم متعقبو أثر إلكترونيون لا يُشق لهم غبار.

ومن يقوم بفعل على هذه الدرجة من الحماقة، ويجازف بموقع أسود يكلفه بناؤه جهدًا وثروة، بعد أن ثبت أقدامه في عالم الإنترنت السفلي، لا يمكن أن يتخطى بتلك السمعة الرهيبة التي دفعتني للتعامل معه.

كما أنه لا يسرق عملاءه، أو يتخلى عنهم مقابل هذا المبلغ الزهيد بحسابات هذه التجارة غير المشروعة.

فلا معنى لما حدث معي، إلا أن المشكلة تكمن في عدم قدرتي أنا على التعامل مع محتويات الصندوق، أو أن هناك شيئًا خطأ حدث عند شحن الطلبية، مثل تبدل الصناديق أو تبدل

العناوين؛ فعندما عرض البائع الصندوق على موقعه، نوَّه بأنه يحمل بداخله أحد الأسرار الخالدة.

ولا أعرف أي سر خالد قد يكمن في دمية خشبية قزمة، لا يتعدى حجمها كف اليد وأي جنة تَعِد بها؟ وكيف يمكن لأي شخص أن يتزوجها؟

أفكار سوداء عديدة راودتني للتعامل مع الدمية، أو لنقلْ للانتقام منها، ولكنني بالطبع لم أجرؤ على تطبيقها: مثل إيلاج الدبابيس الحادة فيها أو محاولة حرقها أو تحطيمها؛ لأنها قد تكون دمية فودو أجهل عنها كل شيء، وكل ما يؤذيها يؤذي شخصا آخر بريئًا في مكان ما من العالم.

ولا أخفي عليكم مدى إحباطي حينذاك، خاصة بعد أن شعرت بأن هناك شيئًا خفيًا يربطني بالدمية، ثم انقطع دون سبب أو مبرر. وهذا جعلني مقتنعًا، أن الأمر ليس مجرد عملية نصب واحتيال واضحة، كما يردد «مازن»، وأننا فقط لا نرى الصورة كاملة، وأن هناك جزءا غامضًا في الأمر فاتنا، أو لم نفهمه بعد.

ولأؤكد نظريتي هذه، قررت الاستعانة بالذكاء الصناعي بحثا عن نمط مخفى أو تتابع منطقي يربط بين حروف أو كلمات الرسالة المرفقة. وتابعته في اهتمام وأمل، وهو يستعين بالتحليل الإحصائي واللغوي، ومعامل التجربة والخطأ، والحذف والتبديل، محاولاً الوصول للسر المستغلق الذي استعصى على عقلي، ليعلن في النهاية فشله، وليتضاعف إحباطي. الرسالة لا تحمل أكثر من معناها. لا شفرات.. أو حيل.. أو أنماط خفية.

وهذا دفعني لأعيد فحص الصندوق نفسه، وأوراق تغليف الرديئة عدة مرات؛ بحثًا عن رسالة أخرى خفية، وأتوقف كثيرًا عند الشعار المطبوع عليه بشكل يدوي.

Veni , vidi, Vici والذي يعني «لقد جئت، ورأيت، وانتصرت» باللغة اللاتينية.

وهو الشعار الذي يعود في الأساس إلى «يوليوس قيصر»، أحد أعظم القادة العسكريين في التاريخ الروماني، والذي يحمل بائع الصندوق اسمه باللغة الإنجليزية «سيزر».

وفي النهاية رفعت صورة الدمية على أحد مواقع البحث المدعمة بالذكاء الصناعي، لعل هناك من تحدث عنها أو له تاريخ قديم معها أو ما يربطها بأي حادث أو حدث ميتافيزيقي، أو يفسر التحذير الغريب المرفق معها، دون جدوى!

هناك سر مستغلق يحيط بهذه الدمية العجيبة! سر لم أستطيع التوصل إليه بعد.

وبرغم كل هذا لم أقاوم شغفي للحصول على الصندوق المظلم الثاني، الذي تمنيت أن يعوضني عن فشلي الذريع مع الصندوق الأول، وأن أستطيع التعامل معه بسهولة بخبراتي المحدودة؛ فلا أعلم مكانًا أو شخصًا يمكن أن يعلمني الطريقة للتعامل مع هذه المقتنيات السحرية بعد وفاة أبي، الذي كان ملهمي ومرجعي الأول.

كما أنني بحاجة لأن أغير وجهة نظر «مازن» نحوها ليكف عن إزعاجي، فقد بات إلحاحه مثيرًا للأعصاب، بعد أن كرس

كل وقته ليحول بيني وبين انغماسي في هذا المستنقع كما يطلق عليه.

وهذا أثار مزيدًا من الغضب في أعماق «مازن»، الذي احمرت وجنتاه من الغيظ، واشتعل وجهه بالغضب، وبرزت عروق عنقه التي أظهرت طرفًا من ذلك الوشم العجيب، الذي لم أره هناك من قبل، والذي يتخذ هيئة امرأة ما، وهو يقول في ثورة:

- لماذا تتعامل كثريٍّ أحمق، لا يعرف ماذا يفعل في جبال الأموال التي يمتلكها؟ هل رأيت طوال حياتك شخصًا عاقلًا أو متزنًا يتعرض لعملية نصب واضحة من أحد المحتالين، ويركض إليه مرة أخرى، لينقده مبلغًا فادحًا آخر، ليحصل على نفس الهراء؟

وعندما أخبرته أنه ليس هراء، وأن لـ «سيزر» سمعته، في العالم السفلي للإنترنت، جز على أسنانه بقوة، ثم قال حانقًا:

من حق هذا النصاب الذي يثير انبهارك، أن يستمر في الترويـج هراته الباهظ الثمن ما دام زبائنه من نوعيتك. إن هذا الوغد المحتال مثله مثل غيره. تُرى ماذا سيضع لك في الصندوق القادم؟ دبًا محشوًا بالقطن أم حصانًا خشبيًا يحذرك من الركض به؟!

ليلتها، تقابلنا أنا و «مازن» في صالة التدريبات الرياضية المجهزة والملحقة بغرفة مكتبي الموجود في الطابق الأعلى من مقر المجموع الرئيسي، وأفرغ كل منا غضبه في الآخر دون رأفة.

وعلى مضض اقتنع «مازن» أخيرًا أنه لا ضرر من اقتناء صندوق آخر، ما دام سيثبت صحة نظريته، ويريحه من تهوري وجنوني بهذه الصناديق إلى الأبد؛ بينما أنا من أعماقي عزمت على أنني لو فشلت هذه المرة في التعامل مع الصندوق الجديد، سأوقف تعاملي نهائيًا مع «سيزر» وموقعه الأسود، دون أن أصرح بهذا بالطبع.

لن أستطيع لوم مازن على شكوكه، فإنها جزء أصيل من عمله، إن حسه الأمني عالٍ، وكثيرًا ما أنقذنا من مواقف غير متوقعة. وكون مسؤولاً عن سلامتي، يجعله دائم الحذر في التعامل مع أي شيء مجهول المصدر. وأنا على علم تام بأنه يجاريني في هرائي هذا مؤقتًا، لعل الفشل يكون من نصيبي، وأقلع عنه من نفسي.

هو لن يتغير.

وأنا لن أتغير.

وسأظل أتبع حدسي، وأنصت لصوتي الداخلي الذي يخبرني، أن وراء الدمية الغريبة والتحذير لغزًا غامضًا، لم يئنِ الأوان بعدُ لكشف، النقاب عن تفاصيله.. وأنني ذات يوم سأقوم بحله، فهذا الصندوق لم يُلقَ في طريقي دون سبب.

والقدر لم يمنحني كل هذه الثروة والإمكانيات عبثًا.

وكما كان يردد أبي على الدوام:

- لا شيء في هذا الكون يتم بعشوائية.

ميراث قديم

- لكل جواد كبوة.

قلتها لنفسي، وأنا أقلب الدمية الخشبية في يدي، قبل أن أعيدها مع الرقعة الجلدية وأوراق التغليف إلى صندوقها الخشبي الرديء، وأحكم غطاءه، وأتراجع بظهري على مقعدي الوثير مغلقًا عيني. وفي رأسي راحت تتجسد بعض الذكريات والمشاهد من مغامرات ورحلات قديمة؛ فلم يكن شغفي بالأمور الميتافيزيقية والغرائبية والغيبية، مقتصرًا على تلك الصناديق المظلمة وحدها، بل بدأ قبلها بكثير.

بدأ في تلك اللحظة التي استطعت فيها فك شفرة الحروف والكلمات، وتمكنت من القراءة بسلاسة والتبحر بين صفحات المخطوطات والكتب القديمة، الموجودة في مكتبة عائلتنا الضخمة واستكشاف عوالمها الغامضة.

لم تكن كأي مكتبة رأيتها في حياتي أو تخيلت وجودها، بل كانت كنزًا من الرقوق والمخطوطات والكتب القديمة والأثرية، التي جمعها أبي وأجدادي من كل مكان في العالم، وتحتوي على مجموعة من النوادر يعود بعضها لقرون خلت؛ لينمو معها شغفي بكل ما هو غامض وغريب، وينصب تركيزي على تتبع كل ما كُتب ونُشر عن تلك المقتنيات والتقنيات والعلوم الغريبة التي تركها القدماء، وكيف أن بعضها دليل على حضارات متقدمة سكنت الأرض في العصور الغابرة، وبعضها دليل على عوالم رهيبة يسكنها الشر ومفتاحها السحر، وبعضها عن زوار ومتسللين غامضين قادمين من وراء النجوم.

في تلك الفترة المبكرة والفارقة من حياتي، كان صديقي الأقرب والأكثر شغفًا وتعلقًا مني بمثل هذه الأمور، هو أبي، رجل الأعمال الناجح الذي جاب العالم من أقصاه إلى أقصاه، والذي كانت له مغامرة وحكاية في كل بلد وميناء، والذي علمني أن أجرب كل شيء، وأي شيء، فقط بعد أن أحسب لكل خطوة أخطوها حسابًا.

وهو الذي اكتشف شغفي بتلك الأمور المثيرة والغامضة، ومهَّد السبيل أمامي للتعمق في دراستها وتتبعها، بعد أن نصحني ألا أجعل شغفي بها يطغى على دراستي أو العكس.

وهو من زيَّن في عيني دخول كلية التجارة بالجامعة الأمريكية. ووجَّهني للتخصص في دراسة إدارة الأعمال، منوهًا بأنني من سأدير من بعده، إمبراطوريتنا التجارية، وعليَّ أن أكون مؤهَّلًا أكاديميًّا لهذا.

ولم يمانع عندما درست بجوارها التاريخ، واللغات القديمة؛ لأنه يعلم أن كل علم سلاح عندما يحين وقت استخدامه.

وعندما تعلقت روحي بالسفر مثله، كخطوة أكبر المطاردة شغفي جعله مكافأة لتفوقي، ثم نصحني النصيحة التي لا أنساها أبدًا:

- لا تجعل أي مكان جديد يأخذ منك، عليك أنت أن تأخذ منه.

وعندما حاولت أن أبين له مقدار فهمي لعبارته، وأخبرته أن للسفر سبع فوائد، هز رأسه في شرود، وقال في جدية:

- وآلاف المخاطر.

والمخاطر التي تحدث عنها، رأيتها بأم عيني، وأنا أدخل بقلب واجف إلى تلك الغرفة المهجورة التي تعج بالقوى النفسية الغامضة في «روما»، على ضوء مصباح خافت يلقي ظلالًا مروعة على الجدران المتهالكة، أتنفس هواءً ثقيلًا مفعمًا بالرطوبة، أكتم خوفي، وعيناي تتأملان طاولة عتيقة في وسط الغرفة، مغطاة بطبقة رقيقة من الغبار، وخيوط العنكبوت التي تتدلى من السقف لتكمل أنشودة الوحشة بانتظار ظهور كتاب «الطبقات السرية»، الذي يُعَد المفتاح الوحيد للتنقل بين العوالم، كما يشاع عنه.

ورأيت مزيدًا منها وأنا أغوص مع «مازن» ورجالي بقلب المحيط الهادئ، بحثًا عن تمثال لقنديل بحر زجاجي، يحمل في طياته لعنة قديمة، يقال إنها جعلته مسكونًا بروح بحرية شريرة غاضبة، محبوسة داخل القنديل الزجاجي اتقاءً لشرها.

https://t.me/art_of_book

وتصديت لها في رحلاتي المتتالية لمجاهل إفريقيا، لاقتفاء أثر تمثال شيطان مرعب يحمل شمعدانًا مشتعلًا في يده، لم تطفأ جذوته منذ ثلاثة آلاف عام للمساومة عليه، وكشف أسراره، والذي بسببه فقدت العديد من الرجال، بالإضافة لكل الحمالين المحليين.

ثم رأينا وجهها القبيح في رحلتنا المشؤومة إلى الكونغو، للحصول على قناع قديم مصنوع من جلد الحيوانات المفترسة ينبض بالحياة، ويومها رأيت ذلك الجانب مني الذي أكرهه.

وناهيكم عن غزواتي للعديد من القصور المهجورة والمقابر المظلمة والغابات المتشابكة. وتسلقي لقمم جبال شاهقة، وغوصي في أعماق بحار وبحيرات وأنهار لا ذكر لها على

الخريطة، متحديًا مخاوفي وتلك الأخطار، سعيًا وراء شغفي، وفي أعماقي فكرة واحدة راسخة: أنني ذات يوم سأعثر على أسرار تُغير وجه العالم.

أحببت السفر والمغامرة، وأحببت أبي، وحاولت بكل جهدي أن أكون الشخص الذي تمنى أن أكونه، أو على الأقل أكون مثله. لله. ومع الأسف لم يمهلني القدر أو يمهله ليحصد نتيجة ما زرعه.

وصُدمت، كما صُدم كل من سمع بخبر وفاته المباغت، لينسحق قلبي، وليضربوا كفًّا بكف، فأبي كان رياضيًّا، ويموج جسده بالصحة والحيوية كشابٍّ في عنفوان حياته، وفكرة أن يصاب بأزمة قلبية كانت دربًا من الخيال، ولكن لا أحد عصيٌّ على الموت.

وفي اليوم الأسود الذي دفنته فيه في «روما» -حسب وصيته العجيبة التي تركها عند محاميه، بأن يُدفن في البلد الذي يموت فيه أدركت كم أن الوحدة صعبة.

والأصعب عليَّ أن أواجه العالم بلا ظهر أو سند؛ فلا أب ولا أم ولا أشقاء، أمي سبقته إلى الموت قبل عدة سنوات، على عكس الشائع من موت الرجال أولًا في عائلتنا، كما أنهما لم ينجبا غيري، وهو لم يتزوج بعدها.

والمطلوب مني وقتها، مع خبرتي المحدودة، وجهلي بكثير من الأمور التي تخص عالم الأعمال، أن أتخطى الصدمة بسرعة، وأحل محل أبي في إدارة ائتلاف الشركات التي ورثتها عنه - والتي كانت أكبر مما ذهب إليه خيالي - سعيًا مني لأثبت للجميع أن هذا الشبل من ذاك الأسد، وأنني امتداد ناجح لذلك الرجل الفذ.

كان تحديًا صعبًا، واستهلك مني وقتًا وجهدًا فادحًا، وعرقلني عن متابعة شغفي لفترة لا بأس بها، ولكنني في النهاية نجحت فيه وبجدارة.

وجودي الدائم بجوار أبي له فائدة لا يمكن إنكارها في إلمامي بكل التفاصيل الهامة التي تخص العمل، وساعدتني في القبض على معظم الخيوط الأساسية لإدارة إمبراطوريتنا الضخمة في وقت قياسي، أبهرني أنا شخصيًا.

ودراستي لإدارة الأعمال في أرقى الجامعات كانت عاملًا مساعدًا آخر، ليس لإدارة العمل فقط بل لتطويره، لقد كنت مؤهلًا بشكل لم أتخيله لإدارة تلك المجموعة الاقتصادية، وكأنني خُلقت فقط من أجل هذا العمل.

المهم، بعد أن استقرت الأمور، وأثبت وجودي، وفرضت إرادتي على كامل شئون العمل، لم أعد أكتفي بالقراءة عن تلك الأمور الغامضة، وتعقبها بذلك الشكل المحدود، بل صارت جزءًا مهمًا من نشاطي اليومي، يمهد لي السبل إليها، ما وضعت عليه يدي من ثروة هائلة ونفوذ.

الثراء كان القوة الخارقة لرجل الأعمال «بروس وين»، الشخصية الحقيقية الكامنة وراء «باتمان» بطلي الخيالي المفضل. وهو قوتي الخارقة أيضًا التي تؤهلني لاقتحام هذه العوالم، وخوض العديد من المغامرات المذهلة.

أتذكَّر وجه «مازن» المحتقن، وهو يصرخ غاضبًا:

- وما ذنبي أنا؟

بالطبع لا ذنب لك يا «مازن»، ولكنه قدرك الذي قادك لتعمل مع مغامر مثلي تمتلئ روحه بالشغف لمعرفة

الحقيقة وراء تلك المقتنيات والأشياء الغامضة التي تركها القدماء خلفهم، بعد أن انقطع كل أثر لهم من الحياة.

ذلك الشخص الذي يؤمن أن هناك سرًّا غامضًا ينتظره هو شخصيًّا للكشف عنه، وأن الأقدار تعده لمهمة خاصة ستهبه فيها كل الإجابات التي يبحث عنها.

وبالطبع لأني أدفع جيدًا يا «مازن»، لن تجد ذلك الراتب المليء بالأصفار عند شخص آخر، ولن تجد تلك المكانة الرفيعة التي جعلتك على رأس منظومة عمل بها عشرات الآلاف من العاملين من كل المهن والتخصصات، في مكان آخر. إنك على قمة عالمك أيها الجاحد! فلماذا تتذمر لكونك تخوض بعض المخاطر؟

حسنا الكثير منها...

أعلم أنك كدت تفقد حياتك لعدد لا يحصى من المرات، وأنك تجد معظمها مجازفات بلا سبب مقنع، لأن كل ما أحوذه من مقتنيات لا يأتي بمنفعة مادية حقيقية من وجهة نظرك، وأن لهذا تأثيرًا نفسيًّ سيئًا عليك. ولكننا هنا في مصر لا نؤمن بهذه الأشياء. الضرر يقع عليك فقط، عندما تفقد أحد أطرافك أو تموت. الآثار النفسية هذه للخانعين المرفهين، وأنت أخبرتني في لقائنا الأول أنك لست منهم...

ثم إنك كالثور! والثيران لا تصاب بالأمراض النفسية.

ولست وحدك من جابه الموت في هذه المغامرات العنيفة؛ لقد اقتربت أنا أيضًا من حافته، وزكمت أنفي رائحتُه العفنة حتى ظننت أنه لا مهرب ولا مفر وأصيب جسدي بالعديد من الإصابات والندوب التي لا تزول.

عليك أن تعلم أيها الجاحد أن للمعرفة ثمنًا لا بد أن ندفعه، كما أن هذا جزء من عقدك، والأمر لا يمر دون مكاسب؛ أنت نفسك يا «مازن» تحتفظ بلؤلؤة سوداء في حجم بيضة يمامة، انتزعتها من شاهد ذلك القبر في اليابان، وفي خزانتك المنيعة بفيلتك الجديدة صندوق مليء بالعملات الأثرية التي نهبتها من تلك السفينة الرومانية الغارقة، والتي قد تؤمن لك ثروة تكفي لأحفاد أحفادك.

إن المغامرات بصحبتي مُجزية رغم كل الصعاب. ومحاولاتك المستميتة، لإطفاء شغفي نحو «الصناديق المظلمة»، رغم مرور عقد كامل قضينا سويًا ظهرنا إلى ظهر بعض، نقاتل لننجو بأرواحنا، وبما سلبناه من مقتنيات عبر العالم، بحجج كثيرة بعضها منطقي، وبعضها أمني، لن يوقفني.

إن هذه الصناديق بكل بساطة امتدادٌ حتمي لشغفي الأصلي بالبحث عن الغامض والمجهول والغريب.

وهناك شيء غامض يربطني بها، شيء لا أجد له تفسيرًا.

ولكني سأقاتل لأعرفه.

@ART_OF_BOOK

الآن أفتح الصندوق

أعتقد أنني تأخرت كثيرًا في تقديم نفسي لكم، وأن هذا هو الوقت المناسب؛ لأننا إذا خضنا في حكايتنا حول هذه الصناديق الجهنمية لن نجد الوقت لأي شيء آخر، فما سأقصه عليكم بدأت أول فصوله منذ عشر سنوات، ولم تنتهِ حتى الآن.

حان الوقت لأفتح أمامكم صندوقي الخاص، ولنكشف بعض أسراري!

هل لمعت عيونكم؟

هل شعرتم بالنشوة لمجرد الفكرة؟ هل تأكدتم أننا جميعنا يسوقنا ذلك الفضول الجامح الذي لا يحده حد؟ وأن كلًّا منكم لن يتورع عن شق صدري، أو نبش جثتي لإرواء ظمأه نحو المعرفة، لإطفاء جمرة فضوله.

على كل حال لن أترككم لتحترقوا بنيرانه أكثر، فقد كنت قربانا دائما على مذبحه، وأعرف كم أن الفضول عذاب مقيم.

اسمي «محمود المنوفي»، رجل أعمال مصري بالطبع - «المنوفية» لا توجد في أي دولة أخرى - أمتلك ثروة ضخمة يمكن أن تضعني على رأس قائمة «فوربس» التي تضم أثرى أثرياء العالم للقرن القادم - على الأقل - ودون منافس.

إن ثروتي المعلنة مجرد جزء ضئيل جدًّا مما أمتلكه، إنها قمة الجبل الجليدي الذي يختفي غالبيته تحت الماء. فقط من هم مثلي لا يحبون أن يُسلَّط عليهم الضوء، ويتعودون على السير في الظلام؛ كي لا يكتسبوا أعداءً جددًا.

وثروتي التي تضاعفت عدة مرات خلال السنوات الخمس الأخيرة، مع الحروب والأوبئة التي ضربت العالم، هي ميراثي الذي ورثته عن أبي الذي ورثه عن أبيه، حتى جدنا الخامس، الذي تدور حوله كثير من الشائعات عن كونه وجد كنزًا مطمورًا، بدأ به هذه الإمبراطورية الاقتصادية الهائلة.

وهو ما أجده وصفًا غير موفقًا؛ لأن جدي كان بحاجة إلى عشرة كنوز إضافية على الأقل ليؤسس لإمبراطورية مماثلة.

هناك شيء غامض ومريب يحيط بتجارة عائلتنا، لدرجة أنني وأنا على قمة هرمها لا أفهمه.

ويدعم هذه الفكرةَ كمُّ الأعمال المتشعبة التي تديرها شركاتي المختلفة، والتي تعمل في مجالات الأدوية، والعقارات، والأدوات الكهربائية، والإلكترونيات والملابس ومواد البناء، وغيرها مما أعجز أنا مالكه عن حصره.

وبالطبع، حجم أعمال كهذا لا يصلح شخص واحد لمتابعته أو إدارته مهما كانت مهارته أو قدراته؛ لذا يشاركني في حمل هذ العبء الكبير جيش كامل من المساعدين المحترفين على رأسهم «مازن»، والذين يحرصون كل الحرص على أن تتضاعف ثروتي كل عام لتتضاعف معها ثرواتهم.

وتساعدني هذه الثروة الهائلة في الإنفاق على رحلاتي ومغامراتي المكلفة، التي أجوب خلالها العالم من أطرافه إلى أطرافه في حملات سرية، أجمع خلالها كل ما هو نادر، وغريب، وخارق للطبيعة، مع ذكريات لا تُنسى، وخبرات ميتافزيقية مروعة.

والحقيقة أنني طوال السنوات العشر الماضية لم أترك حجرًا فوق حجر إلا قلبته، ولم ألمح طرف خيط بارزًا إلا جذبته، وحاولت بكل جهدي إماطة اللثام عن كل ما هو غامض ومستتر.

وربما لهذا لم أتزوج حتى هذه اللحظة...

لا توجد امرأة في العالم قادرة على تحمل غرابة أطواري، وسفرياتي العديدة التي تمتد بعضها عدة أشهر، والتي تنقطع فيها أخباري عن العالم تمامًا، والتي قد لا أعود منها أبدًا.

وإن عدت فسأكون مصابًا بمرض مُعدٍ لا علاج له يحيل ما تبقى من حياتي إلى جحيم، أو مشلولًا فوق مقعد متحرك لا أغادره حتى ألفظ آخر أنفاسي، أو فاقدًا بعض أطرافي أو جميعها، أو متحولًا لمسخ بشع يُطعمونه اللحم النِّيء.

وهذه ليست كلماتي أو تخيلاتي بالطبع، بل هي كلمات وتخيلات «شذى حمدي»، تلك الكاتبة الحسناء، التي هِمت بها وبأحرفها عشقًا، وكنت أرتب بكل حماسة لأجعلها ملكة حياتي، وسيدة إمبراطوريتي القادمة، حتى خيرتني بكل عناد بينها، وبين هوايتي المدمرة كما كانت تسميها.

لم أرَ في حياتي من هي أ أشد منها عنادًا؛ ولهذا عشقتها...

ولهذا هجرتها.

وحاولت إقناع نفسي بعدها أنني تعلقت بـ «شذى» فقط لأنها كانت تشبه فتاة أحلامي في المراهقة، دون أن أنتبه إلى أنني تغيرت وأن الأحلام ذاتها تتغير.

لتثبت لي الأيام مدى جهلي، وضيق أفقي، وأن «شذى» لم تكن مجرد حلم، بل كانت صانعة الأحلام...

الحلم الوحيد الذي هجرته، ولم ولن أنساه.

كانت بكل ذكائها وجمالها ورقتها، ترغب في حياة مستقرة، وزوج محب، لا مغامر جامح يحمل روحه على كفه، وكنت أنا بحاجة المغامِرة تجوب معي العالم، وتُقلب برفقتي أحجاره. نقترب من الموت تارة ونطارده تارة، ونتسابق حتى نصل الحافة الهاوية.

أي تكون النسخة الأنثوية مني! وهو الدور الذي يقوم به «مازن» حاليا للأسف!

أعتقد أن هناك مرضًا نفسيًا يحمل اسمًا لاتينيًّ معقدًا يتحدث عن أمر كهذا، ولكنني لن أشغل بالي بالبحث عنه، فأنا مؤمن بمقولة: «الأثرياء يفعلون ما يحلو لهم». وأنا أفعل ما يحلو لي، ولكني لا أفعله بعشوائية، بل بناءً على خطط موضوعة، وأبحاث دقيقة.

ومن أجل هذا استعنت بخبراء التقنية في شركاتي، وعن طريقهم جندت برنامجًا للذكاء الصناعي، لتتبع «شذى» عبر الأقمار الصناعية طوال الوقت لتبقى حبيبتي تحت نظري، حتى لو كانت تجهل كل شيء عن هذا الأمر، فقد تنقلب نظرتها ذات يوم لمثل هذه الأمور.

أنا واثق من عشقها لي، كما أثق في عنادها الذي أوصلنا إلى هذه المرحلة، وأجبرني على استخدام هذه الوسيلة الدنيئة.

ولا يحدثني أحدكم عن الخصوصية، أو أي من هذا الهراء، الجميع مراقَبون، طوال الوقت من أنظمة وشركات ومنظمات لا تحمل لهم الخير، عبر أجهزة وتقنيات دفعوا

ثمنها بأنفسهم، وبساعات عمل شاقة، ولن أبالغ لو قلت إن البعض باع عضوًا من جسده للحصول عليها.

والإنترنت يغص بكثير من الأخبار عن هؤلاء الحمقى، بعد أن بدأ بها ذلك الرجل الصيني الذي باع كليته مقابل 30 ألف دولار أمريكي، وذلك من أجل شراء جهاز «آيفون 7».

وبالطبع لم يقتصر استخدامي لهذه التكنولوجيا والإمكانيات التقنية على تتبع «شذى» وحدها، بل استخدمت أحدثها للبحث عن الأسرار المستغلقة، والاكتشافات الغامضة، ومن يتعاملون معها في جميع أنحاء العالم، عبر شبكة الإنترنت العميق؛ ليصبح لديَّ أرشيفي السري الخاص، وأدوات المتابعة على مدار الساعة.

والتي بسببها أصبحت مدمنًا على دخول المزادات السرية، والمتاحف السوداء، وتتبع الشائعات والأساطير، بحثًا عن كل ما هو غريب ومجهول.

وهواياتي الغريبة هذه دفعتني إلى خوض رحلات مميتة، لا يجرؤ على القيام بها شخص عاقل أو لديه أي قدر من العقل، كما يقول «مازن»، والذي تسمح علاقتنا، ومغامرتنا معًا، بكثير من التجاوز.

إنه ذلك التقارب غير المرتب الذي تصنعه العشرة والخبرات الصعبة، والاقتراب كثيرًا من الموت. ناهيك عن كونه حارسي الخاص ومخزن أسراري، ويدي اليمنى، وعيني التي أتابع بها كل شيء.

إنني أراه مزيجًا بين «ألفريد بيينوورث» خادم «بروس وين»، الشخصية المعلنة لـ «باتمان»، و «روبن» مساعده

الشخصي، و«لوسياس فوكس» مساعده التقني الذي أصبح فيما بعدُ الرئيس التنفيذي لشركاته، كما أصبح «مازن» الذي يعيش معي حياتي المزدوجة مرغما.

وهذا يجبرني أن أخبركم أن هذه الحياة المزدوجة التي نحياها معًا مرهقة جدًّا، وخطيرة إلى أقصى مدًى، ولم تكن يومًا سهلة أو هيئة أو بلا ثمن؛ فالمجازفة دومًا كبيرة، والطرق وعرة، والتكاليف المادية لتلك المغامرات كانت وما زالت وستظل باهظة. ولكن المتعة التي أحظى بها، لا تقدر هي الأخرى بثمن.

وتلك المقتنيات والكنوز التي تكتظ بها خزانتي أو متحفي الأسود - كما أحب أن أطلق عليه - لا تقدر بثمن.

بعضها فككت غموضه، وبعضها عجزت، وبعضها كشف لي عن أسراره دون جهد، ولكنني لم أكتفِ يومًا، ولا أظن أنني سأكتفي، فدائمًا ما أعتقد أن الغرض القادم هو الذي يحمل السر الأعظم.

الكثيرون يرون أني مجرد ثري جامح غريب الأطوار، يطارد بعض المتع الشاذة، ويبحث عن أشياء غير مطروقة، دون أن يدري أي منهم أن وراء شغفي هدفًا أكبر، يتجاوز الحدود العادية، والأفكار المحدودة.

أنا أبحث عن المعرفة، وليست أي نوع من المعرفة، المعرفة المحرمة، التي جاهد القدماء لإخفائها عبر القرون. وكل غرض أقتنيه يقربني خطوة من هدفي. وهذا ما جعلني أسعى لأكون عضوًا في كل الجماعات السرية والمعلنة عبر العالم، والتي - لا أخفي عليكم سرًا أني أسست بعضها بنفسي دون أن أظهر في الواجهة، والتي تبحث في هذه الأمور الماورائية،

ويسعى بعضها بدعم كامل مني للتواصل مع القوى الخفية، والجانب الخارق للطبيعة في الحياة.

أعرف أنني ثرثرت كثيرًا عن نفسي في هذا الفصل، وتجاهلت موضوعنا الرئيسي، وهو «الصناديق المظلمة».

ربما لأن حياتي بها أكثر مما تحويه هذه الصناديق؛ وكان لا بد أن تعرفوا مع من ستقضون الساعات القادمة، وأيضًا سبب تتبعي لتلك الصناديق المريبة عبر الإنترنت المظلم.

وقبل أن نخوض في دهاليزها المخيفة، أحب أن أحذركم أن هذه الصناديق ليست آمنة بتاتًا، وقد تتسبب في إثارة هلعكم.

إنها بوابة لكل ما هو شرير، ومؤذٍ.. وصادم.

فقد عثرت في أحدها على جثة طفل لم يتجاوز العامين، قُيد بداخله حيًّا حتى نفق. والأدهى أن جثته المنتفخة، قد انفجرت وتناثرت أشلاؤها المتعفنة في كل مكان فور فتح الصندوق.. كنوع من الدعابة السوداء.

كما كشفت أجهزة الفحص بالأشعة السينية، عن قنبلة موقوتة بداخل صندوق آخر كان يحمل شعار إحدى شركاتي، أبطلها خبير المفرقعات الذي استعان به «مازن»، والذي أخبرنا أنها ضُبطت لتنفجر عند فتح الصندوق.

ليرنَّ في رأسي تحذير «مازن» السابق.

بعد أن أكد لي خبير المفرقعات أن غالبية مكونات القنبلة من السوق المحلي المصري، وأنها صُممت لقتل شخص واحد.

شاع. أي إن ما كان يخشاه «مازن» حدث، وما كنت أعتقد أنه سر قد شاع.

وأخيرًا، وليس آخرًا! تلك المادة المهلوسة التي حولت أحد رجالي لشخص همجي عنيف غير واعٍ، وجعلته يهاجمني محاولًا قتلي، لولا صمودي أمامه حتى سيطر عليه زملاؤه، قبل أن تفتك بعقله تلك المادة اللعينة، ويصاب بالخبال وما زال حتى هذه اللحظة يعالَج في إحدى المصحات النفسية، ولا أعتقد أن هناك أملًا في شفائه.

إن الموضوع خطير، ومريب، وله أضراره الدائمة. خاصةً أن هؤلاء البائعين الملاعين، مشكوك في نيَّاتهم وأغراضهم الحقيقية، وأسباب تخليهم عن تلك المقتنيات التي لا يقدر بعضها بثمن.

والشيء المخيف أكثر أن هذه الصناديق، وخاصةً المظلمة منها، باتت هي البوابات الجديدة لعوالم، وأدوات، وتقنيات قديمة، أشد ظلمة ورهبة.

وأوراق التاروت إحداها.

هلموا معي.. واربطوا أحزمتكم.. فرحلتنا على وشْك البدء.

أوراق التاروت

من الثابت والمعلوم أن الوقت لا يمر بسرعة، عندما تنتظر شيئا هامًّا أو ضروريًّا أو فارقًا. هذا ما أدركته وأنا أحاول تجاوز تلك الأيام الثقال التي كانت تفصلني عن استلام الصندوق المظلم الثاني المرسل من «سيزر»، والذي نوَّه على موقعه الأسود أن بداخله أوراقًا مجربة، تقرأ المستقبل، وتكشف الغيب، وتحقق الأمنيات، والتي توقعت دون جهد أنها تلك الأوراق الساحرة: «أوراق التاروت».

صحيح أنني أمتلك منها عدة نُسخ في خزانتي مع العديد من مقتنياتي، بعضها قديم، والبعض الآخر حديث نسبيًّا، ولكنها جميعًا كانت أقرب إلى أوراق اللعب الترفيهية، ولم تساعدني يومًا على التواصل الروحي، أو التنبؤ بأي حدث مستقبلي.

نفسيًّا ومعنويًّا، كنت بحاجة ماسة لذلك الصندوق الجديد، بعد فشلي في التعامل مع الصندوق السابق ومحتوياته، وعجزي التام عن كشف أسراره، على الرغم من شعوري بنوع من التواصل غير المكتمل مع تلك الدمية.

كما أن هناك شعورًا مُلحًّا بأعماقي يخبرني دون هوادة، أن ما في هذا الصندوق سيُغير حياتي إلى الأبد.

وأنا اعتدت أن أنصت لهذا الصوت الغامض اللحوح، الذي هو مزيج من الشفافية والحدس والخبرات السابقة.

شهر كامل مر بطيئًا، ثقيلًا، قاسيًا على روحي، قبل أن يصل الطرد الذي يحتوي بداخله على صندوق الأوراق الرهيبة إلى العنوان المحدد، دون أن يحمل أي إشارة إلى شركة الشحن التي وصَّلته، أو من وضعه على باب المكان دون أن ترصده

كاميرات المراقبة، والذي كان يماثل تمامًا الصندوق السابق في كل شيء...

الحجم، والتغليف، وربما الوزن أيضًا. فقط يختلف في نقطة واحدة، لم ينتبه لها غيري هي الطاقة النفسية المروعة التي أحاطت به، والتي أكدت بما لا يدع مجالًا للشك، أن ما بداخله آتٍ من ذلك العالم المظلم، الذي أتت منه معظم مقتنياتي.

إن رائحة السحر الأسود تفوح منه بشدة.

كل من غامر، واقترب من هذه العوالم، واكتوى بنيرانها، تتكون الديه حاسة خاصة.

حاسة افتقدتها مع الصندوق الأول، وتعاظمت مع هذا الصندوق.

وفي غرفة الفحص المحصنة، انتظرت حتى انتهى رجالي من عملهم، وأكدوا لي أن الصندوق الجديد آمن، لأنتزعه من بين أيديهم وأُهرعَ به مباشرة إلى غرفتي، وقلبي يخفق في قوة.

وما إن انفردت بالصندوق، حتى غشيتني رهبة عظيمة، وعاد قلبي ليخفق في جشع، وأنا أتلمس الصندوق من الخارج كعاشق يستكشف جسد محبوبته للمرة الأولى في تهيب...

وبتوتر لا حدود له، فضضت الأوراق المحيطة بالصندوق الخشبي القديم، الذي يزين جانبيه الشعارُ اللاتيني الأنيق، ورفعت غطاء الصندوق في حذر، ونشوة عارمة تتدفق في عروقي.

كانت هناك رقعة جلدية غير متساوية الأطراف، تحول بيني وبين الأوراق، كُتب عليها بحبر أسود ثقيل:

عندما تتركز الطاقة الباردة، ستُنفذ الأوراق رغباتك، حتى لو لم ترغب في تنفيذها.

لم أفهم ما تعنيه الكلمات، فنحَّيت الرقعة جانبًا، والكلمات ما زالت تدوي في رأسي.

وبرهبة مضاعفة، رحت أتطلع إلى رُزْمة الأوراق المصفرة القابعة داخل الصندوق، والتي يعلوها ورقة الجوكر أو المهرج، الذي يرمز إلى البداية والنهاية، حسب معرفتي المحدودة بالأوراق في هذه الفترة.

وقبل أن أمد يدي إليها، راحت أصابعي ترتجف.. بل جسمي كله. كان للأوراق حضور كاسح، يؤكد على كونها نسخة أصلية مشبعة بالسحر والطاقة.

ويثبت بما لا يدع مجالًا للشك، أن النسخ الأخرى المحفوظة في خزانتي هراء خالص.

ولا أدري لماذا في هذه اللحظات المشبعة بالرهبة بالذات، قفز اسم «سيزر» ليتردد في رأسي! وأنا أحاول تخيل مقدار ما يحوزه من أمران ومقتنيات، ليتخلى عن كنز مماثل.

بل بدأت قناعاتي تتبدل، حول ما يُحاك حوله من أساطير، وعن كونه يمارس السحر الأسود، وأنه وريث الساحر البريطاني العتيد، صاحب كتاب «القانون» الشهير، والمعلم الأول لجماعة عبدة الشيطان «إليستر كراولي»، التي كنت أعتقد في البداية أنها مجرد دعاية ذكية للترويج لبضائعه الجهنمية الباهظة الثمن، أو نوع من الهالة المرعبة التي يضفيها على نفسه ليكتسب مهابة وغموضًا أكبر مما يحيط

به وبشخصيته، حتى أتت اللحظة التي استجمعت فيها شجاعتي وأطبقت فيها بأصابعي على تلك الأوراق الثمينة.

ليحدث نوعٌ ما من التواصل، وليجتاحني ذلك الإحساس الرهيب، بدنوِّ شيء مخيف.

كانت الأوراق هي التجسيد الحي لتلك الشائعات التي تحبس الأنفاس، وتجمد الدماء في العروق.

لقد حُفرت تلك اللحظة في ذاكرتي إلى الأبد.

أذكر الشهقة التي أطلقتها.

والرعشة التي اجتاحت كياني...

وعينيَّ اللتين اتسعتا، وهما تلتهمان تلك الرسوم المتنوعة التي تغطي أوراق السر الأعظم والأصغر.

وعقلي غير المصدِّق أنني أخيرًا حصلت على إحدى خزائن الأسرار الكونية القادرة على كشف المستور، والخفايا الغامضة والتنبؤ بالمستقبل.

ليس مستقبلي فقط، بل مستقبل العالم كله.

وأخذت أفكر كالمحموم، وأنا أقلبها بين أصابعي: تُرى كم يدٍ تداولتها حتى وصلت إليَّ! وكم شخصٍ عانى من أجلها! وكم منهم فقد حياته أو أكثر بسببها!

كانت لحظة مذهلة، تلك التي امتلكت فيها الأوراق، وامتلكتني برائحتها النفاذة التي هي مزيج من البخور، والتوابل الشرقية.

ومن وقتها لم أستطع أن أتركها من يدي لحظة واحدة، وبت أصحبها معي في كل مكان، وأجربها على كل من أقابلهم،

وأتأمل نتائجها المذهلة، كأنني دجال أو مشعوذ، أو مخبول في نظر البعض..

الكثيرين لو أردتم الدقة.

نعم استحوذت الأوراق على كل اهتمامي وأفكاري...

يل وقراراتي وعن طريقها عقدت صفقات رابحة، وزهدت في صفقات خاسرة، وأنهيت عمل كثير من المتخاذلين، ورقيت من توسمت أنهم الأفضل لشركاتي.

تنبأت بنهاية علاقات لم يتوقع أحد أن تنتهي، ونجاح أخرى آمن الجميع أنها إلى زوال، كأنني امتلكت نافذة مطلعة على الغد، حتى ضج «مازن» مني، ووقعت بيننا مواجهة عاصفة؛ لأنه كان يرى أني أقيم من حولي استنادًا على أوهام لا توجد إلا في رأسي.

وأحاسبهم وأعاقبهم أو أكافئهم، بناءً على أشياء لم يفعلوها، ولا أحد متأكد من أنهم سيفعلونها فى المستقبل، أو ما سيترتب عليه لولا يفعلوها.

ينحي وعندما اصطدم بعنادي، وثباتي على موقفي، قرر أن العصبية والغضب جانبًا، وأن نحتكم إلى العقل؛ لأن النقاش الحالي لا يدور حول رأي أو نصيحة، بل حول أرزاق العديد من الموظفين المخلصين الذين أظهرت الأوراق أنهم قد يتخاذلون أو يسيئون للشركة مستقبلًا.

وفي صالة التدريبات، وبعد أن أفرغ كل منا غضبه في الآخر كما اعتدنا، وبعد أن حصلت على كدمة زرقاء بجوار حاجبي الأيسر، وحصل هو على تمزق في أحد أربطة القدم، سألني مباشرة:

- لنفترض أن هذه الأوراق اللعينة صادقة، وأنها تُريك لمحات من المستقبل، فبأي حق تحاسب شخصًا على خطأ لم يرتكبه بعد؟ ثم هل أنت متأكد أنه لن يحدث تاليًا ما يبدل قراره ويعدل مساره، فتتغير الرؤيا الوقتية المحدودة التي كشفتها لك الأوراق؟

وساعتها ألقيت جوابي السريع في وجهه، قائلًا:

- الأوراق لم تكذب قط يا «مازن»، وبسببها ربحنا صفقات وأموالًا طائلة، وتجنبنا خسائر فادحة. إنها أيها الجاحد الأوراق نفسها التي تنبأت بطلبك الزواج من «سيليا» بعد أن أوقعتك في حبائلها، وهي الأوراق نفسها التي حذرت من تطور علاقتكما.. «سيليا» التي ما زلت تُخفي وشمها تحت ملابسك.

لتتسع عيناه في استنكار، ويهدر من الغضب، قائلًا:

- لا تخلط الأوراق كعادتك يا مستر «محمود»، أي إنسان لديه أبسط قدر من العقل وقوة الملاحظة، كان قادرًا على التنبؤ بمصير علاقة طرفاها يحرصان على إنجاحها.. الأوراق ليس لها يد في استكمالها أو إنهائها.. أنا لن أو من يومًا بهذا الدجل. دع وشمي و «سيليا» خارج الموضوع، أنا أعلم أنك لا تطيقها.. ثم إنها أشياء شخصية لا علاقة لها بالعمل.

وعندما رأى ابتسامتي الساخرة، وأنا أقول في عبث:

- لا يمكن إرجاع الزمن إلى الخلف.

عاد ليهدر في حنق قائلًا:

- الوقت لم يفت بعدُ يا سيدي.. أحرقْ هذه الأوراق اللعينة، وتراجع عن قرارات الإقالات التعسفية للموظفين، ليس من مصلحتنا أن تستحوذ عليهم شركة منافسة، بعد كل ما أنفقناه لإعدادهم، وما يعرفونه من أسرار.

وعندما رأى إصراري على قراراتي المتعسفة كما يصفها، أكمل في ثورة:

- لا تتصرف بجحود يا مستر «محمود»، ولا تنشر الشعور بعدم الأمان بين موظفيك؛ كي لا يتبخر ولاؤهم لك وللمجموعة، ويهدموا سنوات من العمل والبناء.

أشرت له أن ينصرف، فكسر أوامري، صارخًا:

- لا تظن أنك نصف إله، تتنبأ بالمستقبل، وقادر على إعادة وتشكيل قدر من حولك.. لقد سُمي القدر قدرًا، لأنه لا أحد يقدر على تغييره أو تبديله، فما تحكمه في إرادة عليا، أقوى وأعلى منك، وممن صنع هذه الأوراق الملعونة التي سلبت عقلك.

صرخت به لينصرف، فأكمل بغضب ممزوج بالمرارة:

- ثم هلم هنا وأخبرني يا ملك الأوراق أنت! هل في هذا المستقبل الذي تعبث به، تضمن أن تعيش إلى الغد؟ بل إلى اللحظة القادمة، أي شيطان تسلط على عقلك؟!

كانت هذه لحظة من اللحظات الفارقة، التي هبطت فيها كلماته على رأسي كدلو ممتلئ بالثلج لتهز كياني، وتبدل جزءًا كبيرًا من تفكيري، وساعتها أدركت أن هناك شيئًا شريرًا في هذه الأوراق.

وعندما غادر ألغيت كل مواعيدي؛ لأنني كنت بحاجة إلى التفكير.

ويومها، أعدت الأوراق بصعوبة إلى صندوقها، وقررت أنه في صباح اليوم التالي، سأصدر أمرًا إداريًّا بالتراجع عن كل قراراتي التعسفية وإعادة كل المفصولين إلى أعمالهم مع منحهم تعويضًا مناسبًا.

وفي منتصف النهار نمت وحلمت بالأوراق، وأن هناك من كان يجلس في الظلام ويقرأ لي طالعي من خلالها، ويحذرني من التخلي عنها.

وليلتها لم أنَمْ لحظة إضافية، ولكني تماسكت.

وفي صباح اليوم التالي، دُحرت إرادتي، وتبخرت كل قراراتي، وعدت مهزومًا إلى الأوراق.

ومن هنا بدأت علاقتي بـ «مازن» تتوتر أكثر، خاصة بعد أن صنعت الأوراق حاجزًا خفيًّا بيني وبينه، وعقَّدت كراهيتي لخطيبته «سيليا» الأمور أكثر وأكثر.

كل شيء من حولي كان ينهار ويتفكك، بينما كنت أظن أنني أعيد تشكيله عن طريق الأوراق. ولكن الصدام الحقيقي وقع، عندما علم «مازن» عند مراجعته لكشوف النفقات أنني قد دفعت مبلغًا حرفيًّا للاستحواذ على الصندوق المظلم الثالث، الذي رآه ضربًا من الجنون.

وعندما أخبرته أن الصندوق يستحق؛ لأن بداخله وسيلة اتصال مباشرة بالعالم الآخر، حسَب ما نُشر على موقع «سيزر» الأسود، ثارت ثائرته، ولعن «سيزر» والصناديق، وحماقتي التي جعلتني أدفع نصف مليون دولار غير عمولة

تحويلهم العملات رقمية، في وهم، وهددني أنني لو لم أتوقف عن هذا الجنون، سيرسلني هو بنفسه إلى العالم الآخر ومجانًا.

كان قد تجاوز حدوده بشكل كبير هذه المرة، أو أنني من صرت قصير الفتيل، أو هي قلة النوم والأرق اللذان أصبحا يلازمانني منذ بدأت في استعمال تلك الأوراق الجهنمية، أو كل ما سبق؛ لأنها كانت المرة الأولى التي أصده بمثل هذا العنف، ودون أن أدعوه إلى غرفة التدريبات، مع التشديد على أن يلتزم بعمله فقط ولا يظن أننا أصدقاء.

أعلم أنني عاملته بقسوة شديدة، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة لإيقافه. وبالفعل، قل وجوده من حولي بعد أن كان يلازمني كظلى وفى خطوة تصعيدية يعرب بها عن غضبه، كلف مساعدته نهى تلك الفضولية الثرثارة المصابة بـ «الهافيوفوبيا» أو فوبيا اللمس لتتولى إدارة شؤني الخاصة، ولتكون همزة الوصل بيننا.

ومن اللحظة الأولى كنت أعلم أن "نهى" تعمل جاسوسًا مزدوجًا تنقل له كل أخباري، كما تنقل لي كل أخباره، ومن خلالها علمت أنه يدير طاحونة العمل دون تهاون، ويهتم بكل تفاصيله دون تقصير وأنه في الوقت نفسه قد بدأ في تأثيث عش الزوجية الذي سيجمعه بمحبوبته الكريهة «سيليا».

وعلى الرغم من الفراغ الذي تركه في يومي، وثرثرة «نهى» التي لا تنقطع لحظة، لم أهتم كثيرًا بغيابه، فالأوراق كانت تستحوذ على كل اهتمامي.

وبعد عدة أسابيع، حضرت عرسهما مرغمًا، ووقعت بيدي على عقد سوء طالعها، وكان هذا يعني أن غياب «مازن» أصبح حتميًّا الآن؛ لأنه سيسافر لقضاء شهر العسل في الخارج.

وبالنسبة لي، كان هذا الفعل في هذا التوقيت، مشكلة كبيرة للغاية؛ لأنني سأجبَر على متابعة شؤون العمل بنفسي.

صحيح أن هناك العشرات القادرين على أن يحلوا محله، وهم مؤهَّلون هذا الدور تمامًا، ولكنها مسألة ثقة، ومبدأ.

«مازن» لم يكن مجرد حارسي الخاص، أو المدير التنفيذي لشركاتي، أو رفيق رحلاتي؛ إنني أيضًا أعتبره صديقي الوحيد. لقد اعتدت وجوده حتى لو كان من خلال «نهى»، وعلى الوقت والمساحة اللتين يوفرهما لي؛ لممارسة شغفي وسط دوامة العمل التي لا تنتهي.

ولكنه تعمَّد أن يتعامل في هذا التوقيت الحرج، كمجرد موظف عادي، ويبتعد تمامًا عن العمل في إجازته، كنوع من العقاب، ليشغلني عن اهتمامي بالأوراق، وفي الوقت نفسه يجبرني على فعل ما أكره، وهو الاستيقاظ مبكرًا.

لا أعتقد أنكم ما زلتم تحملون في رؤوسكم تلك الصورة النمطية عن رجال الأثرياء الكسالى الذين ينامون حتى الغروب، ويقضون أيامهم في اللهو! لأنها صورة خاطئة وخادعة.

الأثرياء ليصنعوا ثرواتهم يستيقظون مبكرًا وقبل أي شخص آخر؛ فروق التوقيت تجعل الأسواق المالية في القارات الأخرى تعمل مبكرةً عدة ساعات، ويمكن أن يستغلها

المنافسون والمضاربون في اتخاذ قرارات استثمارية تضر المتأخرين والنائمين.

لذا يحرص كل رجل أعمال، على أن يكون هو أو من يستأمنه فقط من رجاله متيقظًا ليتابع توجهات الأسواق المالية، وتقلباتها، ومؤشرات الأسهم، وعقد الصفقات؛ فبضع ساعات قد تعني الفيصل بين الربح والخسارة.

والمؤامرات في عالم الأعمال لا تتوقف.

وغياب «مازن» بمثل هذه الطريقة التي تفتقر لأي احترافية أعاد هذا العبء ليلقى على كاهلي من جديد، وهو ما أفقدني الفرصة للاستحواذ على الصندوق الرابع الذي كان يمنح مشتريه سلاحًا حقيقيًّا قادرًا على التحكم في الحياة والموت، كما نشر على الموقع.

بل عطلني عن مشاريع ورحلات كنت أنوي القيام بها، وعن التعمق أكثر في دراسة «أوراق التاروت».

وجوده كان يحقق لي كثيرًا من التوازن النفسي، وهو ما بتُّ أفتقد. مؤخرًا مع مشاحنتنا، وما سأعمل على عدم تكراره مستقبلًا، بعد أن يعود من شهر العسل في «سيريلانكا»؛ لأن زوجته - كما نوهت ضاحكة في عرسهما - ترغب في رؤية الحيتان - التي أتمنى أن تلتهمها -وصخرة الأسد - التي أرجو أن تسقط فوقهما - والتقاط بعض الصور معهما، كذكرى جميلة ومميزة، الجريمة الزواج التي كنت أحد شهود عقدها.

لم أحب «سيليا»، وأراها برغم هيامه بها لا تستحقه، وأدرك من أعماقي أن تلك الخبيثة، هدفها الأوحد من هذه الرحلة، المجوهرات والأحجار الكريمة التي تشتهر بهم سيريلانكا منذ

ثلاثة آلاف عام. الأحمق كشف نفسه أمامها، عندما أهداها تلك اللؤلؤة السوداء الثمينة التي أحضرها من اليابان، فظنت أن لديه ثروة علي بابا فقررت استنزافه بلا هوادة!

صحيح أنه جمع من عمله معي ثروة عظيمة، ولكن أي امرأة في العالم قادرة على إفناء مال قارون في وقت قياسي لو أطلقت يديها عليه.

وهو كما أخبرتكم مفتون بها، و.... اللعنة! ما الذي أفكر فيه؟ إن كراهيتي لهذه المرأة تصيبني بالجنون.

على كل حال سارت الأمور على خير حال، حتى اليوم الثالث لسفره، وأثناء وجود «نهى» في غرفتي لاطلاعي على بعض الصفقات الهامة، ومناقشتي فيها، وأخذ الرأي النهائي، بعد أن حولتها لغرفة عمليات طارئة لمتابعة أعمال شركاتي العاجلة عن بعد، بدأت الأمور تأخذ منحىً مختلفًا تمامًا.

فأثناء انهماكي في قراءة بعض التقارير وإبداء ملاحظاتي عليها، راحت «نهى» بحس المرأة الفطري، ترتب الغرفة التي ضربت الفوضى أطنابها في كل مكان فيها، وهي تُلمح بفجاجة إلى رائحتي، ورائحة المكان، ولا تتوقف عن نعت الخدم بالمقصرين، مع علمها التام بأني من منعتهم في الفترة الأخيرة من دخولها.

كانت ملاحظتها في محلها بالفعل، فرائحتي أصبحت سيئة بالفعل، وحال الغرفة التي لم أغادرها منذ أسابيع إلا إلى العرس أسوأ، مع كل ما تراكم فيها من بقايا وجبات وملابس متسخة، وأوراق مبعثرة وأكواب فارغة، اختلطت مع رائحة البخور الزاعقة التي أطلقها في المكان كالدجالين، إمعانًا في وضع نفسي في جو مناسب.

وفي الوقت الذي انتهيت فيه من إبداء ملاحظاتي على التقارير وتوقيع ما حاز على موافقتي من عقود وشيكات، كانت قد أعادت للمكان بعض رونقه، واستدعت بعض الخدم ليخرجوا القمامة التي راكمتها بالقرب من الباب.

وما إن انتهت من كل هذه التفاصيل التي كسرت أو امرى للخدم حتى عادت لي وهي تحمل في يدها «أوراق التاروت»، وتمد يدها بها نحوي، وتقول في فضول:

- مستر «محمود»، هل هذه الأوراق سحرية؟

انتزعت منها الأوراق، وقلت في غضب:

- ارحلي، ولا شأن لك بأي شيء في الغرفة.

ولكنها نظرت إلى الأوراق في اهتمام، وقالت بطريقتها المزعجة وهي تجمع الملفات التي أحضرتها:

- بالتأكيد هي سحرية؛ لأن حرارتها تنخفض إذا حجب عنها الضوء.

قالتها، وهي تستدير وتهمُّ بالانصراف، لأستوقفها في لهفة قائلًا:

- وكيف أدركت أنت الخدعة بهذه السرعة؟

قالت في اعتداد:

- بالإضافة لقوة ملاحظتي، إن بشرتي حساسة جدًّا لكل المؤثرات الخارجية، كالحرارة والبرودة؛ ولذلك أستخدم نوعًا من الكريمات المستوردة للعناية بها و.....

وحين شعرت بأصابعي القوية تضغط على يدها لأوقفها عن الاسترسال في لغوها هذا، سحبت يدها من بين أصابعي

بسرعة وانتفض جسدها في قوة، كأنما لدغها عقرب، بعد أن أيقظت حركتي المفاجأة بأعماقها فوبيا اللمس، وقالت في استهجان، وهي تنظر ليدها في هلع:

- لا تلمسني يا مستر «محمود»، أنت تعرف.. أنت تعرف.

نظرت نحوها في شفقة ممزوجة بالأسف، وقلت في توتر:

- لم أقصد.. لم أقصد.

ظلت ترتجف في مكانها برهة حتى هدأت تمامًا، وإن راح صدرها يعلو ويهبط من الانفعال، ثم أخرجت منديلًا ورقيًّا جففت به العرق الذي احتشد على جبهتها، وسحبت نفسًا عميقًا، وأطلقته، ثم نظرت بشرود قبل أن تقول، كأنها نسيت كل ما حدث منذ لحظات:

- عندما بدلت مكان الأوراق لأرتب لك طاولتك، كانت بدرجة حرارة الغرفة، لا يلفت لها الانتباهَ إلا رائحتُها النفاذة، وكي لا تتناثر هنا أو هناك أثناء عملية التنظيف، وضعت فوقها مطفأة السجائر الثقيلة التي غطتها بالكامل، وحجبت عنها الضوء.

وحينها أنهيت تنظيف الطاولة، ورفعت المطفأة عن الأوراق وتناولتها لأعيدها إلى مكانها، فوجئت أن حرارتها انخفضت بشكل ملحوظ، فأدركت أن بها خدعة سحرية، كذلك «المج» الأسود السحري الذي لا تظهر الرسومات الموجودة حوله إلا إذا وُضع فيه سائل ساخن، إن لديَّ مجًّا يمكن أن أهديه لك، وسترى بنفسك....

وهنا قاطعتها لأوقف ثرثرتها، وأنا أقول بسرعة:

- نعم، إنها نفس خدعة «المج»، أشكرك يا «نهى» لقد ساعدتني كثيرًا.

ثم أشرت لها لتنصرف، ولكنها ظلت على وقفتها، فسألتها:

- هل ترغبين في شيء آخر؟

فقالت في حيرة:

- لا شيء، مجرد شعور مقبض داهَم روحي فجأة، إن في هذه الغرفة شيئًا غير مريـح.

قمت من مكاني، وأنا أدفعها نحو الباب، وأنا أقول في لوم:

- لا يوجد غيري في الغرفة، فإلى ماذا تُلمحين بالضبط؟

ظهر على وجهها نوع من الحيرة، وأجابت في اضطراب:

- شعرت لوهلة، كأن الغرفة ازدحمت فجأة بأشخاص غير مرئيين، إنني ... إنني.

أغلقت الباب بسرعة، وقلت بصوت صارم:

- إنك واهمة.

وعدت بسرعة إلى الأوراق، وكلماتها تقرع شيئًا في أعماقي حاولت أن أتخطاه، وأنا أقبض على الأوراق، وأتحسسها بلهفة.

لم تكن حرارتها منخفضة إلى درجة كبيرة، ولكنها كانت أبرد من كل ما حولها بالفعل. إن ملاحظة «نهى» حقيقية تمامًا.

تأملت مطفأة السجائر النحاسية الثقيلة، ثم قست بيدي درجة حرارتها، لعل البرودة انتقلت منها إلى الأوراق.

كانت حرارتها عادية، ولا شيء مريبًا فيها.

حملتها ووضعتها فوق الأوراق التي تضاعفت رهبتها في قلبي وقررت أن أتركها فوقها قليلًا، لعل هناك نوعًا ما من التفاعل يحتاج إلى مزيد من الوقت.

كنت أعلم أن النحاس تنخفض درجة حرارته عند التعرض للضغط، ولكنه هنا هو مصدر الضغط، فهل يعني هذا شيئًا؟

حتى رائحتنا الكريهة. تذكرت ملاحظة «نهى»، وتعجبت كيف نعتاد كل شيء بسهولة، حتى رائحتنا الكريهة.

اندفعت صوب الحمام الملحق بالغرفة، لأحصل على دش دافئ سريع، وأعود بعدها بكامل نشاطي، ونظافتي، لأوراقي الثمينة.

وأثناء عبور الباب المفتوح هتفت:

- المغطس.

عملت أجهزة الاستشعار الصوتية على الفور، وبدأ الماء الدافئ يُضخ بقوة إلى حوضه الخالي. وأثناء مروري أمام المرآة التي تحتل نصف مساحة الجدار، تأملت وجهي المنهك، وهالني كم الشحوب والإرهاق اللذين ارتسما على ملامحي.

إنني لم أحظَ بأي نوم منتظم منذ فترة طويلة، ولم أنم غير ساعتين أو ثلاث في آخر ثلاثة أيام. كان يمكن أن أتجاهل الإشراف على العمل في هذه الفترة، وأكلف به شخصًا آخر مع حجم إرهاقي هذا، وانشغالي بالأوراق، ولكن تعلقي بالعمل أقوى من أي مؤثر آخر، والدش الدافئ ربما يعيد لي بعض النشاط.

ما إن وصلت إلى المغطس، حتى وجدته قد امتلأ بالماء العطري الدافئ. انتزعت ملابسي وغصت بداخله على الفور، ليتسلل شعور الدفء المخدر إلى كِياني.

لأول مرة منذ زمن بعيد أغفو بداخل المغطس. كان نومًا هادئًا. عميقًا.

لا أعرف كم مضى علي من الوقت؟ ولكني استيقظت بكامل نشاطي!

يحذرون دومًا من النوم في المغطس لأنه قد تكون النومة الأخيرة، ولكن الأمور مضت على خير.

وعندما نظرت في الساعة كان قد مر أربع ساعات كاملة.

ارتديت معطف الحمام القطني، وبخطوات سريعة خرجت من الحمام، إلى الممر القصير الذي يفضي إلى الغرفة.

والعجيب أن رائحة البخور الثقيلة أزعجتني، ولكنني تجاهلتها، وأنا أتقدم لمنتصف الغرفة، وعيناي تكادان تخرجان من محجريها من الدهشة والذعر.

المكان كله غرق في ظلام دامس؛ فالأضواء أطفئت أوتوماتيكيًا بعد مغادرتي الغرفة ووحدها الأوراق.. كانت هناك.. تتوهج تحت المطفأة النحاسية الثقيلة.. بضوء أزرق باهت مقبض... جعلني أشعر أن الغرفة أكثر برودة من المعتاد.

وإلا فلماذا سرت في جسدي هذه الرجفة؟

وهنا تداعت إلى ذاكرتي، الرقعة الجلدية التي كانت تغطي قمة «أوراق التاروت» في الصندوق، وما كُتب فوقها، فرحت أسترجعه من ذاكرتي بسهولة، كأنه نُقش هناك:

- عندما تتركز الطاقة الباردة، ستُنفذ الأوراق رغباتك، حتى لو لم ترغب في تنفيذها.

كانت المرة الأولى التي أكره فيها حجم الغرفة الكبير، الذي يتجاوز مساحة جناح فندقي كامل؛ فالظلام جعل قلبي ينقبض، واللون الأزرق البارد الذي صبغ كل الموجودات جعلني أشعر بوحشة كبيرة، لم أشعر بمثلها من قبل.

أن تسمع عن السحر شيء، وأن ترى أثره بعينيك شيء آخر! إنه خبرة مثيرة...

مبهرة.

ولكنها مرعبة بشكل لا يمكن وصفه...

الشعر ينتصب على ساعدي...

رأسي يموج بالأفكار والهواجس...

إن هذه الأوراق ليست مشحونة بالطاقة فقط.. بل مشحونة بالخوف الخام..

الخوف الذي سكن روح كل من سبقني في التعامل معها.

أي هول تخفيه تلك الأوراق؟

أو أي هول ستفصح عنه؟!

تمنيت من أعماقي لو كان «مازن» هنا في هذه اللحظة، ليرى بعينيه ما أرى، ونخوض معًا التجربة، كما كنا نفعل خلال

السنوات السابقة؛ لأثبت له جزءًا مما كان ينكره، ويعينني على تخطي هواجسي ومخاوفي، التي تتضاعف في كل لحظة.

ولكنه كان هناك...

في «سيريلانكا»..

يتمرغ بين ذراعَيْ تلك الحية الرقطاء، التي تتعمق كراهيتي هاني كل لحظة تمضي، بعد أن استحوذت عليه بسحرها.

تأملت الوهج الخارج من الأوراق بعض الوقت برهبة وإكبار. ما زالت كل هذه الأمور الخارقة للطبيعة تبهرني، وتثير روعي في الوقت نفسه! لذا، وبقلب مثقَل، وبصوت متهدج، ولأهرب من فيض المشاعر المتضاربة، وأخفف من حدة روعي، هتفت:

- إضاءة.. قهوة سوداء.

وعلى الفور عاد الضوء ليزيل عتمة الغرفة، ويبدد بعض من وحشتها، وبدأت ماكينة القهوة الآلية تقوم بعملها.

وبخطوات متثاقلة توجهت صوب الماكينة الرابضة في ركنها القصي، وانتظرت حتى انتهت من اعتصار حُبيبات القهوة الطازجة.

سحبت الفنجان الذي تصاعدت منه الرائحة الزكية، واستدرت عائدًا به إلى ركني الخاص، الذي يحتل ثلث مساحة الغرفة، وقد قررت أن أترك الأوراق لتتشبع بمزيد من الطاقة، ولأبحث خلالها عن تفسير لتلك الظاهرة العجيبة، ولأشغل نفسي بأي نشاط آخر، إلى أن أتخلص من تلك الطاقة السلبية التي تشبعت بها روحي.

توسدت مقعدي الوثير أمام شاشات الكمبيوتر العملاقة، فتلقى جسمي بشكل مريح، وأضيئت الشاشات جميعها آليًّا، بعد أن أنهت وضع الاستعداد، فور أن رصدت المستشعرات جلوسي على المقعد..

تأملتها بنصف وعي.. بعضها يرصد أسواق المال، ومعظم مؤشراتنا خضراء.. وبعضها يعرض مشاهد متفرقة من كاميرات المراقبة الموزعة في مختلف شركاتي، على أوضاع ثابتة تؤكد أن الوضع مستقر.. وإحداها ترصد «شذى» وهي منهمكة في رسم إحدى اللوحات في حديقة فيلتها.

ووحدها من جذب كامل انتباهي، فاعتدلت في مقعدي وضغطت على الشاشة مرتين لتقريب الصورة، لأشهق من المفاجأة، لقد أخبرتني «شذى» من قبل أنها تحب الرسم، ولكنني لم أتوقع أنها تجيده إلى هذه الدرجة!

إن البورتريه الذي رسمته لوجهي يكاد ينبض بالحياة.

لم تنسني تلك العزيزة بعد، ولكنه العناد.

رسمت دائرة على وجهها، فاحتلت الشاشة بالكامل، فرُحت أتأمل ملامحها الدقيقة التي سكنها الحزن، بعض الوقت، قبل أن أغلقها، وقبضة باردة تعتصر قلبي، وأنا أتساءل عن الأحمق الذي يضيع من بين يديه ملاكًا مثلها! ثم عدت لأتطلع إلى شاشة أخرى، ارتسم عليه وجه كرتوني مبتسم، وتحتها كتب بخط سميك:

- أما زلت تظن أنك أحمق لأنك هجرتها؟

هتفت في سخط:

- لست في مزاج مناسب لمزاحك يا كتلة الأسلاك الصدئة.

وهنا دوى صوت حورس المعدني البارد:

- لقد أخبرتك من قبل أن الأسلاك جزء من تكويني، ولا تعييني في شيء حتى لو كانت صدئة، كما أنك مكون من خلايا، كثير منها يموت ويتجدد طوال الوقت......

قاطعته هاتفًا:

- الصمت.

فعاد «حورس لصمته، وتوقف عن مزاحه وجداله الآلي، وببطء رحت أرشف من فنجان القهوة في رتابة، ومذاق القهوة المُر ذو النكهة القوية يصفع عقلي، ويمحو سحب قلة التركيز من خلاياه وأنا أتأمل أعظم مقتنياتي.

وحدة الكمبيوتر المتطورة المتصلة بسيرفر مؤمَّن هائل المساحة والمصنعة بطلب خاص من شركة «أبل»، ومن خلالهم تحظى بتحديثات سرية دائمة تفوق ما في الأسواق بعدة أجيال، وعبرها يعمل برنامج الذكاء الصناعي المتفوق «حورس»، الذي طورته إحدى شركاتي، والذي يساعدني بإمكانياته الهائلة على إدارة جميع أعمالي، وأيضًا في تتبع تلك الصناديق الرهيبة، فور أن يُعلَن عنها على الدارك ويب، عبر ساعتي الخاصة وهاتفي.

وهو ما حدث منذ ساعات قليلة، ولم أنتبه له إلا الآن، مع استغراقي مع «نهى» في شؤون العمل. لقد أعلن «سيزر» عن الصندوق السابع، الذي سيكون لا محالة من نصيبي. وهذا يستدعي تعاملا سريعا للحصول عليه قبل أن يقتنصه أي مهووس آخر.

تسألون عن الصندوقين الخامس والسادس، إنهما يقبعان بالطبع في قلب خزانتي المصفحة، لقد قطعت أشواطًا طويلة في طريقي هذا، منذ فقدت الصندوق الرابع.

لذلك، وقبل أن أعود للغوص في عالم التاروت الرهيب، وبالاستعانة بـ «حورس»، قمت بكل الخطوات الازمة، لأكون أول من يحظى بالصندوق الأسود الجديد، الذي يعد «سيزر» بأن يساعد من يملكه على قتل الوقت.

لقد فشلت مع الصندوق الأول، ولن أفشل مع أي صناديق تالية.. وأوراق التاروت خير دليل على هذا. فقط عليَّ أن أكشف سر هذا التطور الغريب، والقوة الجديدة التي ستمنحها لي، مع طاقتها الزرقاء الباردة التي تثير هلعي على الرغم من محاولتي لإخفاء هذا الطلع أمام نفسي.

ولذلك، وفور أن حصلت على التأكيد بقبول عرضي الخاص بالصندوق الجديد، وقمت بإجراءات تحويل المبلغ المطلوب إلى عملات رقمية، وتأكدت من وصوله إلى حساب «سيزر» الذي يتبدل في كل عملية إمعانًا في السرية، عدت بكل كياني، وذهني الذي عملت على تنشيطه حبوب البن الكينية القوية، لأبحث خلف سر ما يحدث للأوراق.

عندما دفعت مقابلها ما يقل قليلًا عن مائة ألف دولار، من خلال المزايدة عبر موقع «سيزر» الأسود، كان في أعماقي كثير من الشك، والآن زال كل شك، وسكن مكانه الخوف والهواجس، فقبل أن تكتسب تلك الطاقة الزرقاء، كان كثير من الأشياء التي أرصدها عبرها تتحقق، ولكن ليس كما يجب.

الآن فقط أدرك أن معظم نبوءاتها شوم، كأنها مختصة فقط بكشف المستقبل المظلم! أو هي ما تقود إليها!

فهل كانت تقوم بوظيفتها حقًّا، وتتنبأ بالمستقبل حقًّا أم ت أم تتلاعب بي؟

ومن أعماقي حسدت «مازن»؛ لأنه ليس لديه ذلك الشغف الذي يجعله يغرق حتى أذنيه في هذا المستنقع المظلم، ويضع نفسه في مهب القوى الغامضة لتعبث به.

لقد قالها ذات يوم لقد تبدل حظه عندما التقى «سيليا»، فهل حدث حقًّا؟!

لقد بدأت المشكلات بيننا يوم ظهورها المشؤوم، الذي مُنيتُ فيه بهزيمة نكراء من قِبل دمية خشبية بلا نفع، أثبتت صدق ادعائه بكون الصندوق لن يحتوي على شيء ذي قيمة.

فهل عدم وجوده في هذا التوقيت العصيب، الذي تكتسب فيه أوراق التاروت طاقة عجيبة مجهولة التأثير، طاقة من عالم آخر، هو استكمال لحظه الحسن.

إن تلك اللعينة لم تسرقه مني فقط، بل سرقت حظي الحسن ومنحته له! وبرغم غرابة الفكرة، ولكنها جعلتني مستاءً، وأنا ألعن «مازن» في سري؛ لأنه بلانا بتلك المرأة النحس في هذا الوقت العصيب.

ولطرد كل هذه الأفكار المسمومة من رأسي، انهمكت في إمداد وتغذية «حورس» بكل المعلومات الممكنة حول الأوراق الحالية وطبيعتها، وكيف أن النحاس وحجب الضوء عنها، يجعل حرارتها تنخفض، وتشع طاقة زرقاء باردة، وتركته ليبحث ويمنحني تفسيرًا، ولكنه في النهاية لم يجد أي رابط أو صلة!

وعندما تفتقت في عقلي الفكرة، أخبرته أن ما طلبته منه يقع ضمن مشهد في رواية خيالية، وأرغب في تفسير منطقي حتى لو كان غير واقعي يخدم الأحداث، فكان رده المقتضب أنه السحر، دون أنا يحاول أن يلقي أيًّا من نكاته، بعد أن رأى مزاجي متعكرًا.

كانت محاولة فاشلة تمامًا!

وهنا قررت أن ما أضعته من وقت يكفي، ونهضت من مكاني بسرعة، وأزحت المطفأة النحاسية الثقيلة من فوق الأوراق المتوهجة التي أصبحت في برودة الثلج، ثم وقفت عاجزًا عن توقع الخطوة التالية؛ لأن الرقعة الجلدية أشارت إلى أن القادم هو دور الأوراق نفسها التي تشبعت بالطاقة الباردة.

للأوراق المتوهجة في يدي ثقلٌ رهيب.

كما أن لها طاقة نفسية محسوسة.

لا أعرف كيف تخلى عنها ساحر عتيد مثل «سيرز»!

رهبة عظيمة تسللت إلى أعماقي، وقشعريرة باردة اجتاحت كياني، كأنني ألمسها للمرة الأولى.

وبكل لهفة وخوف، رحت أتأمل أوراقها المشعة الباردة تباعًا، وأنا أطلب من «حورس» أن يعيد على مسامعي باختصار أهم المعلومات عن تاريخها وتأثيرها، في محاولة مني للهروب المؤقت، حتى تستقر روحي، وتهدأ نفسي، وأحتوي حضورها الثقيل.. الثقيل جدًّا.

ليُدويَ صوته المعدني البارد في المكان، فرُحت أُصغي له وهو يقول:

- من الحقائق المؤكدة التي اتفقت عليها مراجع العلماء عبر البلاد، أن التاروت أورق مصرية الأصل، ويعود تاريخها إلى عصور المصريين القدماء الأوائل، وتدعم هذا مقولةُ دكتور «جيرار أنكورس»: إن حكمة مصر القديمة، والعالم القديم، مسجلة على هذه الأوراق برموز تنير مستقبل الحضارات القادمة، وإن كل ورقة منها سُجلت عليها أحداث قرن كامل سيأتي بعدهم.

ويرى دكتور «كارل يونج» تلميذ فرويد العتيد وعالم الفلسفة الأشهر: أنها طريقة للعلم، وتنمية الحدس عند الإنسان، لا تباع منهج علمي في حياته يتلاءم مع وجوده في هذا الكون.

وتشير أغلب الدراسات إلى أن كلمة التاروت مشتقة من كلمة تاروش التي تعني في اللغة المصرية القديمة الطريق الملكي، وبعضهم يرى أنها مشتقة من اسم تحوت إله السحر المصري القديم، وينسبها بعضهم إلى تحتمس، ويطلق عليها «كتاب تحتمس»؛ إذ إنه أول من وضع تنظيمها وأعلن طريقة استخدامها.

وأوراق التاروت مكونة من 78 ورقة، تُقسَّم إلى مجموعتين رئيسيتين: مجموعة السر الأعظم، وهي مكونة من 22 ورقة، وتُعرَف أيضًا باسم «الأوراق المقدسة». تُمثل هذه المجموعة القوى الكونية الأساسية، مثل القدر والحكمة والحب والموت.

ومجموعة السر الأصغر، المكونة من الـ 56 ورقة المتبقية، التي تُعرَف أيضًا باسم «الأساطير». وتُمثل هذه المجموعة جوانب الحياة البشرية المختلفة، مثل العمل والحب والصحة والثروة.

ويرى المتخصصون أن لها تأثيرًا سحريًّا حقيقيًّا على العالم.

جذبت انتباهي هذه الجملة؛ لأن هذا هو ما رأيته وأراه بعيني الآن، فرُحت أتابع بانتباه أكثر وهو يضيف:

- كما أن لها القدرة على جذب القوى الروحية والخارقة للطبيعة.

وهنا أخبرته أن يتوقف وأنا أربط بين كلماته الأخيرة، وما شعرت

به «نهى» قبل أن تغادر، فهل تلك الثرثارة الفضولية عندها نوع ما من الشفافية مكَّنتها من الشعور بذلك الحضور الكثيف لتلك القوى الروحية الخفية؟

أسئلة كثيرة تضاف لما لديَّ، وتزيد حيرتي، فطلبت من «حورس» أن يكمل، فقال:

- ويمكن استخدام هذه الأوراق للتنبؤ بالأحداث القادمة والمستقبل، والتأثير على الأحداث، وتغيير مصائر الناس...

اللعنة، إنه ما جرَّبته، وتسبَّب في خراب بيت عشرات الموظفين وكل تلك المشكلات التي نشأت بيني وبين «مازن» مؤخرًا، وفي الموقف المعقد الذي أمرُّ به الآن.

شردت قليلًا مع أفكاري، ثم عدت له وهو يقول:

- وقد تواردت أخبار عديدة عن أن بعض السحرة يستخدمونها لإطلاق التعاويذ أو إلقاء السحر، والبعض الآخر يستخدمها الحماية أنفسهم من القوى الشريرة، أي إنها متعددة المهام على

عكس ما يشاع عن ارتباطها بالكهانة والتنبؤ فقط.

وهنا قاطع سرد المعلومات، وسألني ليكسر جو التوتر:

- هل يمكن أن تقرأ لي طالعي أنا أيضًا؟

كنت في أسوأ حال، فتجاهلت دعابته، وقلت في غضب:

- أكملْ دون دعابات، أو إبداء آراء لعينة.

وهنا عاد صوته البارد، ليدوي في أرجاء الغرفة:

- وهناك طرق عديدة ومختلفة لقراءة أوراق التاروت، حيث يمكن استخدامها لقراءة الطالع الفردي أو الجماعي، أو توفير رؤًى شاملة حول الشؤون العالمية.

وفي قراءة الطالع يتم اختيار أقل من خمس بطاقات وتفسيرها، لو أردنا تفصيلًا أكثر تكون خمس بطاقات، أما لو قررنا ضم القراءة النفسية تكون عشر بطاقات، والقراءة الشاملة تتضمن اختيار ثلاث عشرة بطاقة وتفسيرها.

كنت أعلم أنه لا بد من شخص متمرس لقراءتها وفهم مغزاها؟ لأنها تختلف حسب العديد من المعايير؛ فيمكن أن ترمز ورقة المهرج إلى بداية جديدة في سياق قراءة طالع شخص يبحث عن تغيير في حياته، ومع ذلك، يمكن أن ترمز أيضًا إلى لحظة من عدم اليقين أو الغموض في سياق قراءة طالع شخص يواجه تحديًا.

الأمر معقَّد بالفعل، ويحتاج إلى تدريب مستمر وممارسة دائمة، ولكن ما يثير قلقي الآن، هو ذلك الشعور الملحُّ بأن شيئًا ما ليس على ما يرام؛ فملمس الأوراق البارد يتلاشى من يدي، ويسكن روحي، كأنها طاقة صافية تتخلل كياني.

لأشعر بعدها بوعيي ينفصل عني، وأرى بعين الأوراق مَشاهدَ غير مفهومة، تختلف عن كل الرموز التي تمثلها الأوراق، والتي أصبحت متمكنًا من تفسيرها؛ مما جعلني أتشكك في كون

الأوراق ناقصة أو لها ما يكملها، أو أن هذه الأوراق بالذات تختلف.

الرؤيا التي أعايشها الآن، كانت غريبة أكثر من كونها مخيفة؛ فهي تُظهر لي مجموعة من الحيتان الهائجة تطارد امرأة غير واضحة الملامح تركب زورقًا بقلب بحر أو محيط ، وأقسم لكم أن رائحة اليود زكمت أنفي، كأني هناك.

وصُدمت وأنا أرى صخرة عملاقة تهوي من حالق نحوها ونحو رفيقها الذي يحمل وجه الشيطان، وهو يشق بالزورق قلب الماء، محاولًا الهرب في استماتة قبل أن تمزقهما أسنان الحيتان الحادة إربًا.

كانت المشاهد عاصفة، لدرجة أنني شعرت بصدمة عنيفة زلزلت كياني، وأجبرتني على ترك الأوراق التي ظننت أنها التصقت في يدي إلى الأبد، لتسقط أرضًا، وتتناثر من حولي.

كنت في حالةٍ نصف واعية، ولا أعرف إن كنت مستيقظًا، أم إنني لم أغادر تلك الرؤيا التي لم أفهمها بعد.

حيتان وصخرة.. ورجل وامرأة.

تلك التوليفة تصلح لفيلم مرعب من إخراج «ستيفن سبيلبرج» على غرار «فكان»، ولكن لا علاقة لها بأوراق التاروت.

هل هذه هي نبوءة النهاية بالنسبة إليَّ؟

هل يُعقل أن موتي سيكون بين أسنان مجموعة من الحيتان، وبعدها تسحقني صخرة؟ وهل تلك الحيتان حيتان حقيقية؟ أم هي رؤية رمزية تصف المنافسين لي في السوق بالحيتان؟

لقد حاولوا بالفعل نسفي بقنبلة محلية الصنع، وإصابتي بالخبال بتلك المادة المهلوسة؛ أي إنهم لا ينقصهم الخيال.

رأسي يحترق من التفكير.

اللعنة عليك يا «مازن»!

أين أنت الآن لأستشيرك في هذه المعضلة؟

اللعنة عليك وعلى ... وهنا لمعت الفكرة المخيفة في عقلي، وقبل أن تختمر هناك، قاطعني صوت رنين الهاتف، وعلى الشاشة ظهر اسم «مازن» لأول مرة منذ سافر إلى «سيريلانكا»، كأنه سمع ندائي واستجاب لحظيًّا.

تناولت الهاتف بسرعة، وقبل أن أتحدث أتاني صوته المروع:

- اللعنة عليك أيها الأحمق، هل فتحت صندوقًا جديدًا؟

كان هناك صوت رياح هادرة، مختلط بصوت موتور يزأر، ولكن هاتفي المتطور استطاع تنقية الأصوات وإزالة التشوش مستخلصًا الأصوات من المحادثة، فسألته في توتر:

- اللعنة، ما الذي يحدث عندك؟

صرخ في جنون:

- الحيتان تطاردنا، والوقود يكاد ينفد من القارب الذي نفرُّ به، و «سيليا» تقسم أن أحد هؤلاء الحيتان يحمل وجهك.

قلت في توتر أكبر:

- ألم ترَ الصخرة أيضًا؟

هتف في جنون قائلًا:

- أي صخرة أيها المخبول؟! أوقفْ ما تفعله على الفور، وأحرقْ ذلك الصندوق اللعين.

صرخت في جنون:

- أنا لم أفتح أي صناديق، إنها «أوراق التاروت».

صرخ في غضب عاتٍ:

- لقد نفد الوقود أيها الأحمق، لقد قتلتنا.

وشوشت على عبارته صرخة تلك الأفعى «سيليا»، وهي تقول في هلع:

- هناك صخرة تسقط نحونا من السماء.

وعاد صوت «مازن»:

- أحرقْ تلك الأوراق الملعونة، أو أعدْها إلى صندوقها، ستُمزقنا الحيتان، وتسحقُنا الصخرة.

وما إن أنهى عبارته حتى سمعت صوت صدمة قوية، ودون أن أفكر، وفي لمح البصر، كانت الأوراق تقبع بداخل صندوقها الذي أغلقته بسرعة، وركضت لأودعه في خزانتي المدعمة بطبقتين من

الرصاص، وأغلقت بابها الضخم في إحكام.

عندها سمعت الصرخة، والهتاف:

- إننا نغرق.

@ART_OF_BOOK

وبعدها انقطع الاتصال تمامًا.

وكالمجنون، حاولت إعادة الاتصال عشرات المرات، دون إجابة.

فتركت الهاتف ليسقط من يدي فوق السجادة السميكة، وسقطت جالسًا بجواره، غير مصدق الكابوس الذي دار منذ لحظات، وفكرة واحدة تحتل كامل كياني أنني تسببت بجهلي في مقتل مساعدي فتاة بريئة كريهة.

أضاعت الصدمة مني بعض الوقت، لم أتحرك خلالها من مكاني.

وعندما أفقت، رحت أتساءل عما فعلته تلك الأوراق.

أهي تُجسد الأفكار أم تقتل من أكرهه؟

أهي «أوراق تاروت» حقيقية أم ملعونة؟

ثم توالت المشاهد في ذاكرتي

***

وكأنها مختصة بكشف المستقبل المظلم فقط، أو هي ما تقود إليه.

***

زوجته - كما نوهت ضاحكة في عرسهما - ترغب في رؤية الحيتان - التي أتمنى أن تلتهمها - وصخرة الأسد - التي أرجو أن تسقط فوقهما.

***

يا إلهي.. ماذا فعلت؟

***

وعلى الفور، طلبت من سكرتيرتي «تارا» إعداد طائرتي الخاصة، واستخراج التصاريح للسفر إلى «سيريلانكا» في أسرع وقت.

وعندما سألتني: هل أصاب «مازن» خطبٌ ما؟ أغلقت الهاتف في وجهها، فلم أعلم بما أجيبها.

كان عليَّ أن أصبح أكثر سرعة وبديهة.

ولكنه قدره.. أو لعنتي.

***

مرت تلك الساعات التسع التي استغرقتها الرحلة الجوية، بطيئة، ثقيلة، قاتلة، لدرجة ملأت روحي تعاسة، حتى ظننت أننا سنستمر محلِّقين إلى الأبد فوق المحيط الهندي. وخلالها، لم يرحمني عقلي لحظة، أو يتوقف عن رجمي بالأفكار السوداء، حتى وصلت إلى «سيريلانكا»

التي لم يبهرني جمال شواطئها في تلك اللحظات العصيبة.

وما إن لامست قدماي أرض المهبط، حتى زمجرت بصوت مكتوم:

- اللعنة عليك يا «مازن»! ألم تجد مكانًا أبعد من هذا؟!

لم أكن ملمًّا بأي تفاصيل عن رحلة ذلك الأحمق غير أنه هنا في «سريلانكا»، لقد تعمَّد الوغد عدم منحي أي معلومات أو تفاصيل عن برنامج شهر العسل أو اسم الفندق الذي سيقيم فيه، ولم تكن. هناك أي وسيلة تواصل مباشرة معه غير رقم هاتفه الذي يرقد الآن في قاع المحيط بالطبع؛ كي لا أفسد عليه شهر عسله مع تلك الحيزبون.

ولكنني قمت ببعض الاتصالات العاجلة، وجمعت بعض المعلومات التي لم تكن مُبشرة، ملخصها أنه استأجر جناحًا كاملًا في فندق «كيب ويليجاما - ريلايس آند شاتو» الواقع في

الجنوب، وهو الطبع أفخم وأغلى الفنادق هناك، لا حاجة للحديث مجددًا عن هذه بنقطة ما دامت «سيليا» في الموضوع.

والمشكلة أنه استأجر يختًا فخمًا يومين متتاليين. وبرخصته الدولية وبعض الرشاوي بالطبع، سمحوا له بقيادته وحده، ليظهر أمام زوجته ومحبوبته كفارس الفرسان ليقضيا يومين في قلب المحيط دون أن ينغص خلوتها أحد.

الوغد كان قد حذر العاملين في الفندق من الإفصاح عن وجوده بين النزلاء، لأي سبب من الأسباب، ولكن لا شيء لا تستطيع النقود فِعله.

رتَّب لي أحد رجالي مع أحد النافذين هناك، ويُدعى مرجان مانو» رحلةً بحرية عاجلة فور وصولي إلى الفندق الذي نزل فيه «مازن» وحيزبونته، لا أعرف حقيقة جدواها حقًّا، بعد مرور كل هذا الوقت، ولكنه واجبي نحوه.

وبالفعل استقبلني «مانو» استقبال الفاتحين، إلا أنه صدمني وأخبرني أنه لغي ترتيبات الرحلة البحرية لأنه لا جدوى منها!

وقبل أن أشتبك معه وأخبره أنني لم أقطع نصف العالم طائرًا ليقرر عني، أخبرني أن من سأذهب للبحث عنهم في قلب المحيط، موجودون الآن في لوبي الفندق.

واجتاحت كياني قشعريرة باردة، وأنا أتخيل بقايا الجثتين الممزقتين موضوعتين في أحد أركان اللوبي، وفوقهما ملاءتان غارقتان في الدماء، قبل أن أنتبه لأنه ليس من الطبيعي وضع الجثث في لوبي الفندق، حتى لو كانوا من النزلاء.

ثم تقدمت بخطوات مترددة، وأنا أفكر أنهم ربما يفعلون هذا هنا!

وعندما قادني «مانو» إلى حيث يجلس «مازن» في لوبي الفندق بصحبة زوجته، يتجاذبان أطراف الحديث، ويرتشفان «الشروة» في كؤوس زجاجية منتفخة من أعلى دون أن يشغل بالهما شيء، طفرت عيني بالدموع، وأنا أندفع نحوه لأحتضنه وأقبِّله، وعقلي الذي لم يتوقف لحظة عن التفكير يتساءل عن حقيقة ما حدث!

كان حيًّا يُرزق، ولم يُصَب هو أو حيزبونته بخدش، فهل خدعتني الأوراق، أم خدعتني أذناي؟ إن رسائله المسجلة على هاتفي، تؤكد صدق ما دار بيننا في المكالمة، فهل هو مقلب سخيف منهما؟

ولكن كيف يمكن أن تترتب المصادفات بهذا الشكل العجيب؟ إن في الأمر خدعة ما! ولكنها خدعة لا تخص أيًّا منهما، بل تخص تلك الأوراق المشبعة بالطاقة، التي بت أعتقد الآن أنها ملعونة بالفعل!

ما يثير فضولي حقًّا، هو معرفة كيف نجيا من هجوم الحيتان وأسنانهم الحادة، ومن الصخرة العملاقة؟!

وبعد كثير من اللوم والسباب الذي يندى له الجبين، والذي! يفهمه أحد غيري؛ لأننا ابتعدنا قبلها عن مكان جلوس زوجته، ولأن كل من حولنا يتحدثون اللغة السنهالية أو لغة التاميل كما علمت بعدها، و«مانو» الذي يتحدث الإنجليزية كان قد غادر.

وبعد اعتذار صادق قدَّمته له وحده، ومقاومته نفسه كي لا يكسر عنقي أو يهشم أسناني، عدنا لنجلس في ردهة الفندق

الأنيقة، أمام مشهد الغروب الساحر، والمحيط الممتد إلى مدى البصر، لتبادر زوجته قائلة في شيء من الوقاحة:

- إنها مفاجأة عظيمة أن أتيت لتُنورنا في شهر العسل يا مستر «محمود»، لا بد أنك قد اشتقت لـ «مازن» كثيرًا؟

لم يبدُ على وجهها أي أثر مما عانته قبل ساعات، أو كونها كانت على مشارف الموت هي وزوجها في قلب المحيط تحيط بها الحينان وتسقط فوقهما صخرة عملاقة لتسحقهما، مما جعل كثيرًا من شعوري بالذنب يتلاشى، وأهمُّ بالرد عليها بردٍّ كاسح يحرجها، عندما قاطعني «مازن» موجها الحديث لها:

- أخبرتك من قبلُ أن مشروعاتنا منتشرة في كل مكان، ومستر «محمود» كان ينهي بعض الأعمال العاجلة التي تركتها معلقة خلفي في «جزيرة ويليجاما»، وقرر العروج علينا بطائرة الخاصة.

ضيقت «سيليا» عينيها، وقالت في خبث:

- أنت لا تعرف كم يسعدني وجودك هنا يا مستر «محمود»، لقد افتقدناك حقًّا في هذه الفترة القصيرة.

أنهت عبارتها المستفزة، ثم ابتسمت ابتسامة صفراء، وأردفت:

- القصيرة جدًّا.

رمقت «مازن» في تساؤل، ثم همست قائلًا:

- أهي تعاني من أعراض ما بعد الصدمة؟

همس مجيبًا:

- ربما ... إنها لا تتذكر أي شيء مما حدث.

تنفست الصعداء، وكست وجهي ابتسامة راحة، سرعان ما وأدتها في مهدها، فلم أكن بحاجة حقيقية الآن لتبرير ما حدث لهذه الحيزبون، لو كانت قد سمعت مكالمتي مع زوجها أثناء مطاردة الحيتان لهما، وهو ما أشك فيه بسبب الصخب، وقوة الرياح، مع اندفاع اليخت بتلك السرعة العاتية.

لذا فإنني طلبت منها أن تجهز لنا بعض الطعام البحري على ذوقها، حتى أنهي محادثة عمل مع زوجها، فمنحتني نفس الابتسامة الصفراء التي منعت نفسي بعدها بصعوبة من هشم أسنانها.

وعندما انفردت بـ «مازن» في الشرفة، وبعد أن تخطينا أسوار التوتر واللوم، واعتذرت له مجددًا على أنني كدت أقتله هو وزوجته في شهر العسل، ثم قصصت عليه ما حدث، جز على أسنانه، ثم قال بلهجة الناصح نافد الصبر التي بت أكرهها:

- أخبرتك أن كل هذه الصناديق فخاخ للحمقى عليك أن تتوقف عن هوايتك اللعينة هذه، ثم تعالَ هنا وأخبرني، لماذا كنت تتمنى أن تلتهمنا الحيتان أحياءً، وتسحقنا الصخور؟

تجاهلت سؤاله، وأشحت بوجهي فهز رأسه متفهمًا، ثم فرد ظهره للخلف وقال بجدية:

- لولا أن «نهى» أرشدتك مصادفة لحل لغز ما خُط على الرقعة الجلدية من كلمات، وطريقة تنشيط الأوراق، لقلت إن كل ما يحدث مؤامرة مرتبة، دُفعت إليها دفعًا.

وهنا شهقت وأنا أدير كلماته في رأسي، وأتذكر تلك البرودة التي غشيتني عندما أخرجت تلك الأوراق الملعونة من الصندوق،

والطاقة الباردة التي تسربت إلى كياني وقتها، وقلت متجاهلًا سؤاله:

- الطاقة الباردة.. اللعنة لقد عبثت بنا تلك الأوراق بالفعل أو أن ذلك اللعين «سيزر» هو الذي عبث بنا، وجعلنا فئران تجارب في لعبته الجهنمية هذه.

هز رأسه في ضيق وقال ساخرًا:

- صباح الخير يا صديقي العنيد، هل فهمت الآن ما يدور في تلك العوالم المشؤومة؟

تجاهلت سؤاله، وقلت في دهشة:

- إن ما يحيرني الآن أنك وحدك من تتذكر تلك الأهوال التي. بها كلاكما، حيتان غاضبة تطاردكما وتصطدم بقاربكما وتقلبه لتسقط بعدها في قلب المحيط، لتتبعها صخرة عملاقة، كفيلة بإغراق بارجة كما أخبرتني، إنها أحداث لا تُنسى.

هز رأسه في توتر، وقال حيرة:

- هذا ما حدث على كل حال، وإن لم يكن نسيانها هذا ناتجًا عن الصدمة؛ لأنه لا شيء بها تغير أو تبدل. عن بعد الحادث فالتفسير الأقرب لأنها من خارج دائرتنا، ولم تخض ما خضناه معا، ولم تتلوث روحها بما تلوثنا به فليس لدى عقلها القدرة على متابعة أي من هذه الأشياء الخارقة اللعينة.

قالها، ثم سحب نفسًا عميقًا، وأردف:

- وعلى كل حال أنت بخير، ونحن بخير، فهل هناك شيء آخر تريده منا؟ لا بد أنك لاحظت أننا في شهر العسل، وما حدث ليس ذريعة لتفسده علينا ما دامت تلك المسكينة لا تدري بما يدور حولها، وأنت لن تفتح أي صناديق لعينة أخرى.

كدت أخبره بكونها علَّمته قلة الذوق في وقت قياسي، ثم تراجعت في آخر لحظة، وأنا أتذكر ذلك الصندوق المظلم الجديد، الذي أحضرته معي على متن الطائرة، وقلت في هدوء:

- سأتناول الطعام وأغادر.

ونهضت من مكاني لأعود إلى حيث تجلس زوجته، وقبل أن أخطو خطوة واحدة، اعترض طريقي بشكل فظ، وقبض على ذراعي بأصابعه القوية، قائلًا:

- إنك لم تجب عن سؤالي بعد، لماذا كنت تتمنى أن تلتهمنا الحيتان وتسحقنا الصخور؟

دفعت يده بغلظة وأنا أكمل سيري، ليتبعني بخطوات سريعة فالتفت نحوه، وقلت بصرامة:

- لأنك وغد أحمق.

لا أعرف هل أقنعته إجابتي، أم إنه قرر أن يتجاوز الموقف معتبرها شطحة من شطحاتي التي لا تنتهي؛ لأنه لم يسأل مرة أخرى بعدها، طوال تلك المدة التي استغرقتها في تناول الطعام، والتي سمَّمتني فيها نظرات زوجته الخبيثة وابتسامتها الصفراء التي أجبرتني على إنهاء الطعام بسرعة والمغادرة.

لا أعرف لماذا عندما تأملت ملامحها عن قرب، أيقنت أنها أقرب إلى دمية مجوفة، جميلة من الخارج، وفارغة من الداخل.

شعور عجيب! عمَّق من كراهيتي لها، ولا أجد لها أي مبرر تي.

أعتقد أن «مازن» لو ارتبط بأي امرأة أخرى في العالم، لما حملت لها ي قلبي كل مشاعر البغض هذه. إن الأرواح جنود مجنَّدة حقًّا.

وإمعانًا في مضايقتهم، عرضت عليهما وأنا في طريقي للمغادرة، أن أُقلَّهم ليعودا معي في طائرتي الخاصة، ولمعت عينيا «سيليا» العميقتان ير مقني بنظرة قاتلة. بنظرة جشعة علمت ما وراءها دون جهد، بينما شكرني «مازن» وهو يرمقني بنظرة قاتلة.

وبعد تفكير عميق، وجدت أن وجودي، سيكون عقابًا بسيطًا بجوار زواجه من حية رقطاء كـ «سيليا» فقررت المغادرة، لأتركها تمتص دماءه وتحيله إلى شحاذ، وأنا أرمقها بنظرة كره واضحة؛ فبرغم ملامحها، التي يتمنى نصف فنَّاني العالم تخليدها في لوحاتهم، فإن لديها روحًا أكثر لزوجة من القطران.

وعلى كل حال انتهت هذه المغامرة على خير، ولم أخسر فيها إلا تكاليف الرحلة، وبعض سلامي النفسي برؤية هذه الحيزبون ذات الابتسامة الخبيثة.

ولما كان الملل هو ما ينتظرني في رحلة العودة، فإنني قررت أن ألقي نظرة على محتويات الصندوق الجديد الذي أحضرته معي.

شيء ما في أعماقي كان يخبرني ألا أفتحه وأنا على هذا الارتفاع.

ولكنني أحمق.

والحمقى كالأثرياء.. يفعلون ما يحلو لهم.

أطفئ الشمعة

الطائرات الخاصة ليست مريحة كما يشاع عنها، وخاصة في الرحلات الطويلة، وأنا لا أحب أسرَّتها الصغيرة، ولا هدير محركها.

كما أنني لا أستطيع النوم ما دام هناك ما يشغل فكري.

ولا يحتاج الأمر لذكاء كبير لنعرف أن الطائرة هي أسوأ مكان يمكن أن تفتح فيه صندوقًا مظلمًا عليه شعار القيصر، ولا تعرف محتواه؛ لأن احتمال أن تسقط بك الطائرة وراد جدًّا، أكثر من أي شيء آخر.

ولكن الملل كان أكثر سطوة من الفضول.

الفضول يقتل بالفعل، ولكن الملل يعذبك حتى الموت.

تسع ساعات كاملة، أنهيت في الساعة الأولى منها كل ما يتعلق بالعمل، وفي الساعة الثانية والثالثة الروايةَ التي عكفت على قراءتها بشغف، والتي تتحدث عن حانوتي، وفتاة زرقاء من كوكب آخر لكاتب يُدعى «عمرو المنوفي»، ثم لعنت في سري خياله المريض، ولمن لاحظ تشابه الأسماء، أخبره أنها مصادفة أخرى، ولا قرابة بيننا،

ولكنها مصادفة مريبة ككل ما يحيط بي في هذه الفترة.

أخرجت الصندوق الصغير الخفيف الوزن من حقيبتي الخاصة ووضعته على المنضدة الصغيرة أمامي، غير مصدق أنه رغم المحنة التي مر بها «مازن» كانت الصناديق تحتل مساحة هائلة من تفكيري ولم أستطع التخلي عن إحضار أحدها معي.

وتذكرت تلك اللحظة الموترة للأعصاب، التي وضعت فيها الحقيبة فوق سير جهاز الفحص في المطار قبل أن أستقل الطائرة، وكيف أنها عبرت الفحص بأشعة رونتجن دون أي ملاحظات لها أو محتوياتها، لأحذف من قائمة الكوارث المتوقعة، فكرة القنبلة المعدة للانفجار فور فتحه أو العبث به.

تأملت الصندوق بضع لحظات، ثم عدت لألتقطه بين أصابعي وإن أثار ريبتي وزنه الخفيف جدًّا، الذي شجعني منذ البداية على إحضاره معي حتى بدأت أشك في كونه صندوقًا خاليًا، أو بداخله قطعة من الورق كُتب عليه بلهجة ساخرة:

- حظًّا أوفر في المرة القادمة...

لا داعي لأن أخبركم أن سعر هذا الصندوق تجاوز الخمسين ألف دولار، حتى لا أثير حنقكم، وأنه كما نوه عنه على الموقع الأسود، السبيل نحو نور الحقيقة.

أعلم أن المبلغ بأسعار الدولار الحالية يمثل ثروة، ويحل مشكلات شباب حي بالكامل، ولكنني قبل أن أنفقه كنت قد ربحت عشرة أضعافه، النقود آخر همِّ الأثرياء مثلي.

تأملت بعض السحب القائمة التي ظللت وجه القمر من النافذة، ثم عدت ببصري إلى الصندوق الصغير بعد أن عزمت أمري على فتحه، معرضًا نفسي وكل طاقم الطائرة للخطر في حالة احتوائه على ما لا أتوقعه.

وبكل هدوء فضضت الأوراق السوداء التي تغلفه، ليظهر كالمعتاد شعار «سيزر» المخيف، الذي أصبح بالنسبة إليَّ

علامة الجودة، ثم فتحت غطاء الصندوق كان تحته كالمعتاد رقعة من الجلد، كتب عليها بالحبر الأسود السميك:

- كل شيء غيرُ ما تراه.. وكل ما يرونه أوهام.

وضعت الرقعة الجلدية بكلماتها غير المفهومة على الطاولة الصغيرة، وتطلعت لمحتوياته لتتضاعف دهشتي.

لو كانت هناك دمية قزمة أخرى بقلب الصندوق، لما شعرت بالصفعة النفسية التي شعرت بها في هذه اللحظة، وأنا أتطلع إلى تلك الأسطوانة السوداء القصيرة القابعة في أعماق الصندوق، غير مصدق أني دفعت خمسين ألف دولار من أجل هذا الشيء التافه.

ولذلك لم تُثِر محتويات الصندوق شكوك رجال الأمن أو ملاحظاتهم في المطار؛ فبداخله تقبع شمعة وحيدة سوداء لها فتيل من نفس اللون، ومهما كانت المكونات التي صنعت منها، فلن يتعدى ثمنها الدولار.

قبضت على الشمعة بيدي ورحت أرمقها في غضب شديد.

وفجأة أظلمت الدنيا.

ودون مقدمات، اختفت السحب والسماء والقمر، ولم يبقَ سوى الظلام الدامس، الذي حجب الرؤية تمامًا.

نهضت من مكاني مذعورًا، مددت يدي حيث قدرت أن هناك أزرار الإضاءة بجوار فتحة المكيف الذي توقف عن بث الهواء البارد، وضغطت عليها بكل قوتي عدة مرات، ولكنها لم تعمل.

وللحظةٍ توقف عقلي عن التفكير..

كان الظلام الدامس يحاصرني من كل اتجاه.

وفجأة سمعت أصواتًا غريبة جمدت الدماء في عروقي...

أصواتًا أشبه بأسنان عملاقة تطحن وتمضغ، ممتزجًا مع أصوات نحيب وصرخات مروعة، كأنها صادرة من امرأة تُسلَخ حية.

كانت الأصوات قادمة من كل مكان، فلم أستطع تحديد مصدرها بدقة.

شعرت بالرعب، والوحشة، وشلال من العرق يُغرق وجهي.

وهنا أدركت أن ما يحدث ليس طبيعيًّا أبدًا، ولن ينتهي على خير، فاندفعت نحو باب قمرة الطيار، لأتعثر عدة مرات قبل أن أصل إليه.

الباب كان مغلقًا، ولا أحد يجيب من الداخل.

الأصوات المرعبة ترتفع إلى حد لم تستطع أذناي تحمُّله، فاندفعت بكل رعونة نحو باب الطائرة، فلم أجده في مكانه، فتحركت أبحث عنه، حتى اصطدمت يدي برتاجه العريض، فأدرته لأفتح الباب وأغادر هذا الجحيم، حتى لو كان لحتفي.

وفجأة، شعرت بشيء لزج رطب يلمسني.

خُيِّل إليَّ أنه يد باردة مبللة.

حاولت الصراخ، لكن صوتي لم يخرج.

لقد شلني الخوف.

وفجأة وجدت نفسي في مكان غريب، أقل ظلامًا من الطائرة، تفوح منه رائحة الموت. نظرت حولي، لأرى أني محاط بالعديد من الجثث البشرية الممزقة بوحشية، كأنما افترسها حيوان ضارٍ، ثم سمعت صوتًا أنثويًّا ينادي بإنجليزية، ذات لُكنة فرنسية:

- محمود.. محمود.. لا مفر هذه المرة.

نظرت باتجاه الصوت فلم أجد أحدًا.

وراح الصوت يتكرر بلا انقطاع، وأنا أتبعه إلى مصدره كالمغيب.

هبت رياح شديدة في برودة الثلج، وراحت تصفع وجهي كسياط لاهبة. ودون مقدمات شعرت بكياني كله يُسحب إلى قلب الظلام، ليسطع بعدها ضوء مباغت، وأجد نفسي مقيدًا على ظهري فوق محفة بدائية مصنوعة من فروع الأشجار الجافة، وهناك من يسحبني بكل خشونة، عبر طريق ترابي غير ممهَّد تحفُّه الأشجار من الجانبين، تسبب لي في كثير من الألم دون أن يبالي بمعاناتي، ولا بكمِّ التراب الذي استنشقته، وسد أنفي.

رفعت رأسي بصعوبة، لأرى من يسحبني عبر هذا الطريق الوعر.

كانت امرأة ترتدي قميصًا خاكيًا ضيقًا قصير الأكمام يُبرز قوامها المشدود، وسروالًا من اللون نفسه متعدد الجيوب، وحذاءً طويلًا من الجلد، وعلى ظهرها حقيبة ثقيلة، وقد عقصت شعرها البني الناعم على شكل ذيل حصان.

كانت المرأة تمنحني ظهرها فلم أعرف من هي! وإن لفت نظري أنه لا توجد ذرة واحدة من الدهون في تكوينها، كأنها منحوتة من الرخام.

رحت أتأملها بعض الوقت، محاولًا فهم الموقف.

وعندما عجزت، أخذت أتلفت حولي محاولًا معرفة مكاني فلم أرَ حولي سوى أشجار الماهوجني والموز والسنط.

إننا في غابة إفريقية عتيدة، غابة يخبرني عقلي أنها ليست المرة الأولى التي أكون فيها.

وعندما بدأت الأحداث تتداعى إلى عقلي، شعرت بالصدمة والماء يغرق نصفي السفلي، والمحفة، فصرخت في هلع:

- ماذا تفعلين أيتها المخبولة؟!

وببطء مثير للأعصاب، استدارت المرأة الحسناء لتواجهني، وعلى وجهها أكثر ابتسامة مرعبة رأيتها في حياتي.

وعلى الفور تذكرتها...

إنها «جوليا بيار»، تلك الرحَّالة الفرنسية الفاتنة، التي كثيرًا ما غازلتها، وتندَّرت باسمها الذي يعني في العربية «المُشرق»، والذي أخبرتني أنه تنويع على Iulia اللاتيني الذي له نفس المعنى، والتي تسببت عن غير قصد في موتها، عندما كنا في الكونغو، للحصول على ذلك القناع الحيواني النابض بالحياة كما أخبرتكم سابقًا.

اللعنة.. كيف عادت للحياة؟ وما الذي أحضرني إلى هنا؟ ولماذا تتجه بنا تلك الحمقاء إلى داخل النهر؟ هل ترغب في إغراقي؟

وبلا أي منطق صرخت فيها:

- عودي أيتها الحمقاء إننا نغرق.. إننا سنموت.

دوى صوتها كالرعد من حولي، كأنه صادر من كل مكان

- أنت وحدك من ستغرق.. أنت وحدك من ستموت.

كانت المياه قد أغرقت جسدي، ووصلت إلى عنقي، فرفعت رأسي بصعوبة فوق منسوب الماء، وأنا أتلفت حولي بحثًا عن مخرج.

لا شيء إلا مسطح المياه الداكن، وتلك المخبولة التي تخترق الماء بإصرار مرعب، كأنها ترغب في الانتحار وقتِلنا معًا.

حاولت أن أحرر نفسي دون جدوى، كأن الماء ملاط قوي منعني من الحركة!

الماء يرتفع بسرعة، حتى إني بدأت أبتلع كثيرًا منه، وأنا أقاتل لأحافظ على رأسي خارجه.

فيها. كان يفصلني عن الموت غرقًا لحظات، مضت أسرع مما فكرت

وبغتةً وجدت نفسي تحت الماء، وتلك المجنونة تواصل سحبي إلى داخل النهر، حيث الماء أعمق.

أقاتل الأرفع رأسي، ثم أهتف بها لتتوقف، ورعب الدنيا يتملكني، مع علمي التام أن وقوفها لا يعني لي إلا غرقي الفوري.

لماذا؟! لأنني أخشى المكان الذي تتجه إليه أكثر من الغرق.

لو كانت تبحث عن انتقام، فبعد قليل ستظهر التماسيح!

وكما التهمتها ستلتهمني.

إنني أذكر تمامًا ما حدث في تلك الرحلة المشؤومة.

عندما دخلنا إلى هذه المنطقة من الأحراش، حذرنا الحمالون المحليون من التماسيح، وأخبرونا ألا نحاول استفزازها أو إثارتها، وأن نبتعد عن صغارها؛ لأن التماسيح أمهات مخلصات، وسوف تدافع عن صغارها بكل قوتها.

المشكلة الكبرى يومها أنى كنت قد تناولت على سبيل التجربة مع الحمالين أحد مشروباتهم المحلية القوية الذي يسمى

«كابوكا»، وهو مشروب كحولي مصنوع من جوز الكولا، أعتقد أن الحمالين يتناولونه ليعينهم على مهنتهم الشاقة.

وقد كان من القوة بحيث تسبب لي في عدم الاتزان، وبعض الهلوسة، التي قادتني لأنفصل عن القافلة، وفي طريقي عثرت على أحد جحور التماسيح التي كان يمرح حولها الصغار حتى عودة التماسيح الكبار من رحلة الصيد.

وفي هذه اللحظة المشؤومة زيَّن لي شيطاني أن أتسلى بقتل أحد صغار التماسيح بكل وحشية مستخدمًا سكين الأشجار الطويل محاولا إبهارها. الحاد، وأخطف أحد الناجين من مذبحتي، وأُحضره إلى «جوليا» محاولًا إبهارها.

وتم كل هذا في وقت قياسي، وتحت تأثير الشراب الكحولي، دون أن يدري عني أي من المرافقين أو الحمالين شيئًا.

وعندما غادرت بأمان، وقرَّ بداخلي أنها مغامرة وانتهت، ولكنني كنت واهمًا، فالتماسيح ليست مجرد حيوانات مفترسة تدفعها الغريزة بل هي كائنات ذكية.. منتقمة.

ولديها حاسة شم قوية وبصر جيد، ويمكنها تتبع واكتشاف الفرائس من مسافات بعيدة.

فماذا لو خرجت للثأر؟ وإلى حافة النهر تبعتنا التماسيح، وتربصت بنا بعض الوقت، فمن سماتها دراسة العدو وأرض المعركة، ثم هاجمت الجميع بلا رحمة، ومزقت من طالتهم في هجومها المباغت الأول إربًا.

وانفردت الأم بـ «جوليا» التي كان بحوزتها صغيرها.

ولم تقتلها مباشرة.. بل سحبتها إلى النهر.. وهناك مزقتها بأسنانها القوية.

كانت الأم غاضبة وثائرة، وافترستها أمام عيني دون أن أتدخل، أو أتحرك من مكاني، خوفًا من أن تتركها وتهاجمني أنا، بعد أن استطعت تسلق أقرب الأشجار لي.

كان الأمر جنونيًا، وعاصفًا، ولم يكن هناك أي مجال للتفكير...

وأعتقد أنه لو كان هناك مخرج لبادرت لنجدتها.

ومع الأسف لم ينجُ الجميع، وعدت بروح كسيفة، وبنصف عدد من بدأت بهم هذه الحملة المشؤومة، وربما أقل.

عدت محمَّلًا بذنبهم جميعًا، دون أن يدرك شخص آخر غير «جوليا» أنني السبب.

بل التصقت التهمة بها؛ لأنها كانت تحوذ ذلك التمساح الصغير،

الذي أهديته لها.

هل تألمت؟

كثيرًا.

فمع الأسف، لقد ظلت حية حتى النهاية.

أشعر بوعي يتسرب، وبأنفاسي تضيق، والرؤية تغيم فيدوي السؤال في ذهني:

- هل حانت النهاية؟

الماء يُغرق رئتَيَّ..

البرد يتسلل إلى روحي...

إنني أموت ولكنني لا أبالي..

المهم أن أموت قبل أن تصل التماسيح..

شعور الاختناق رهيب...

الماء البارد مخدر.

إنني أموت ولكنني راض...

أصرخ دون أن يغادر الصوت حلقي:

فلتذهبي إلى الجحيم مرة أخرى يا «جوليا»، هل كنت تنتظرين مني أن أضحي بحياتي من أجلك؟ من عاقل ليحارب تمساحًا غاضبًا لديه كل هذه الأسنان؟!

الظلام يكسو كل شيء.

صوت جوليا يتردد في أذني كالرعد ويزلزل كياني، وهي تقول كأنها سمعتني:

- اللعنة عليك أيها الوغد، لقد وثقت بك.. و ... و....

لا أعلم هل سمعت كلمة أحببتك بالفعل، أم هي مجرد هلاوس؛ لأن الظلام الدامس غزا كل شيء...

وساد بعدها سكون تام...

ولم أعد أشعر بشيء..

هل الموت يعني انتهاء الإحساس بكل المؤثرات الخارجية والداخلية؟ أعتقد هذا؛ لأن هذا كان شعوري في هذه اللحظة...

على كل حال إنه مريح..

و...

- اربط حزام مقعدك يا سيدي، لقد توقفت بعض أجهزة الطائرة فجأة، وسأحاول أن أهبط بها يدويًا كأنها طائرة شراعية في قلب المحيط.. إنها لم تُصنع من أجل هذا،

ولكنني تدربت على هذا الاحتمال.. لا تخف يا سيدي، إنني طيار محترف...

أحاول أن أستوعب الموقف الجديد، ووجود تلك الشمعة المشتعلة في يدي..

حديث الطيار يبدو مبهمًا! فهل عدت للطائرة حقًّا؟ وأين ذهبت «جوليا»؟

صوت الطيار الملتاع يُخرجني من أفكاري:

- اللعنة! لقد اشتعل المحرك الأيمن...

أتلفَّت حولي على غير هدًى، فأرى المضيفة تركض هنا وهناك، ومساعد الطيار يركض خلفها، كأنه يحاول أن ينجو بحياته...

الشمعة في يدي...

الطيار يصرخ..

عقلي يستوعب فجأة ما يحدث...

وبلا وعي، أو هي أكثر لحظة واعية تمكنت مني، قمت بالنفخ في الشمعة لأطفئها...

ومع الأسف، لم تنطفئ الشمعة...

ووجدت المضيفة تنظر نحوي في هلع، وهي تصرخ:

- لماذا أشعلت النار في الطائرة؟

وقبل أن أجيبها، أو أقوم بأي رد فعل، تضخَّم لسان اللهب الصادر من الشمعة، وكثعبان ناري انقضَّ على المضيفة، وعلى كل شيء داخل مقصورة الركاب، وتحوَّل المكان حولنا إلى أتُّون

مشتعل، وتعالت صرخات المضيفة، وجلدها يذوب من شدة حرارة النيران.

فجأة سمعت صوت مساعد الطيار يصرخ من مكان قريب:

- ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟

لم أكن أعلم ما الذي يراه، ولا نراه، ولكن الرعب الذي ارتسم على ملامحه كان عميقًا ومروعًا.

حاولت أن أطفئ الشمعة مجددًا، فعاد ليهتف في روع:

- ألقِ تلك الأفعى من يدك قبل أن تلدغك.

صرخت في هلع:

- أي أفعى أيها الأحمق؟ إنها شمعة.

يصرخ مساعد الطيار:

- اللعنة! إنها تلتف حول عنقي.

صوت الطيار يدوي في مكبرات الصوت فيزلزلنا ويقطع حديثنا، وهو ينادي على مساعده ليعود إلى قمرة القيادة ليعاونه على الهبوط بالطائرة، معلنًا توقف المحرك الثاني...

الطائرة تهوي نحو المحيط من ارتفاع شاهق.

إن لم تحترق، فسنموت غرقى...

أو ربما نموت محترقين غرقى! اهل توجد تماسيح في المحيط الهندي؟ ومع الأسف كانت الإجابة نعم المحيط الهندي الذي نمر من فوقه بالطائرة الآن يشتهر بوجود تمساح الماء المالح الشهير، وهو حيوان مفترس يتغذى على الأسماك والثدييات والطيور والزواحف ويهاجم البشر أيضًا.

يا لها من نهاية...

وكبرقٍ يشق جلد السماء، شقت الكلمات ظلام روحي، وأضاءت هناك.

كل شيء غيرُ ما تراه... وكل ما يرونه أوهام.

كان هذا هو المكتوب في الرقعة الجلدية المرفقة مع الشمعة.

ومما عاصرته الآن، بتُّ أعلم أن كل شخص يرى بطريقة مختلفة...

إذًا الشمعة غير مشتعلة...

والمضيفة لم تحترق بعد، ولكنها ستغرق معنا...

و.... وبغتة شعرت ببرودة الماء، وبدأ الظلام يسود من حولي مجددًا، وصوت «جوليا» يتردد في تَشفٍّ:

- هل ظننت أنك ستهرب مني؟

قبضت على الشمعة بقوة، وراحت يدي تعبث في جيبي بسرعة بحثًا عن قداحتي، حتى وجدتها، فأخرجتها بسرعة، وقلت في امتنان:

- كانت تضحيتك كبيرة، وأنقذت حياتنا يا «جوليا»، أنا لم أهرب، أو أتركك، ولكنني كنت جبانًا.

وفي اللحظة التالية، اشتعلت الشمعة، وانفجر الضياء في وجهي وشعرت بروحي تنسحب وشهقت في قوة، عندما شعرت بيد المضيفة الناعمة تهزني، وهي تقول في توتر:

- سيدي، لماذا تقبض على شمعة مشتعلة وأنت نائم؟ هل ترغب في أن تحترق؟

نظرت حولي غير مصدق ما أرى؛ فأنا بخير، والمضيفة بخير، والطائرة..

وهنا شعرت بالطائرة ترتج، فسألتها في هلع:

- هل الطائرة بخير؟

أجابت المضيفة ببعض التوتر:

- خلل طارئ في محركات الطائرة، حتَّم علينا العودة.. لا تقلق، كل شيء سيكون على ما يرام...

وفجأة تذكرت، فسألتها بقلب منقبض:

- ومساعد الطيار، كيف حاله؟ هل هو أيضًا بخير؟

نظرت نحوي مندهشة، ثم أجابت:

- إنه بخير الآن يا مستر «محمود»، لقد شعر فجأة ببعض الاختناق، وظننا أنه يمر بأزمة قلبية، ولكنه تجاوز الأمر بسرعة، ويقوم بعمله المعاونة الطيار على الهبوط...

أنهت عبارتها، ثم عادت لتتساءل في دهشة أكبر:

- ولكن كيف علمت بأمره يا سيدي؟

أشحت بيدي في توتر، وقلت بلهجة حاسمة، يعرفونها جميعًا:

- أنا أعلم كل شيء.. هيا انصرفي.

وقبل أن تنصرف ظهر على ملامحها التردد، فسألتها في غضب:

- ألم آمرك أن تنصرفي؟

قالت بصوت متلعثم:

- هناك أمر آخر يخصك يا سيدي!

أشرت لها أن تواصل حديثها، فأكملت قائلة:

- لقد تلقينا رسالة مخيفة أثناء الاضطرابات التي أصابت الطائرة، كان هناك صوت أنثوي غريب يتحدث بالإنجليزية بلكنة فرنسية يأتي مشوشًا عبر أجهزة اتصال الطائرة، ويقول في غل:

- أخبروا «محمود» أنني لن أنسى، ولن أغفر، وسأعود.

توقفت في هذه اللحظة محركات الطائرة، ولكن قلبي على عكسها كان يدق كالطبول.

حاولت أن أتمالك نفسي، وأنا أعيد الشمعة إلى صندوقها، وصورة «جوليا» الفاتنة لا تفارق خيالي...

أعتقد أن الأمور لو سارت بطريقة مختلفة لكنا معًا الآن، ولدينا بعض الأطفال اللطفاء. ولكنني الأحمق الذي رفض أن يقاتل تمساحا من أجل امرأة مالَ لها قلبه...

تُرى ما هو موقف «شذى» لو علمت الآن بهذه القصة؟

لا أستطيع تخيل الأمر.

ورحمني من أفكاري هذه، باب الطائرة الذي فُتح، ودلف عبره «مازن»، وعلى وجهه علامات القلق، الذي انقلب إلى غضب فور أن رأى الصندوق المظلم أمامي، ليصرخ في جنون:

- اللعنة.. ألا تتعلم أبدًا؟! هل فتحت صندوقًا آخر وأنت على ارتفاع آلاف الأقدام في الجو؟ هل بلغ بك الاستهتار بنفسك وبمن معك إلى هذه الدرجة؟ لولا

مهارة «عارف» لكنا الآن نبحث عن جثتك في قعر المحيط؟

وعلى عكس كل مرة لم أجد لديَّ القدرة أو الرغبة في الرد عليه؛ فقد كان على حق.

إن الهوس قاتل بالفعل.

صحيح أني لم أفهم ما حدث بعد، وعلاقة الشمعة بـ «جوليا»، وعلاقة كل ما يحدث بذلك الساحر المخيف سيزر»، ولكنني أدركت أن «جوليا» غير مرتاحة في قبرها، وأنها تُحمِّلني وزر موتها، وأنها بشكلٍ ما ستعود لتنتقم..

وقاطع أفكاري صوت «مازن» الغاضب، وهو يقول:

- هل أنت مُصرٌّ على إفساد شهر عسلنا إلى هذه الدرجة؟

قلت في توتر:

- لقد عادت «جوليا»، عادت وحاولت أن تقتلني...

نظر نحوي كأنه ينظر إلى مخبول، ثم هتف متسائلًا:

- «جوليا» من التي عادت؟

ولما لم يجد مني إجابة شرد للحظات، كأنه يستعين بذاكرته الحديدية، ثم قال في أسًى:

- «جوليا» التي ماتت قبل عدة سنوات والتهمتها التماسيح عادت.. أنت في أسوأ حال بالفعل يا سيدي، ولا بد أن تتخلص من كل هذه الصناديق التي تراكمها في خزانتك قبل أن تصيبك بالجنون، والأهم عليك أن تخضع لعلاج نفسي مكثف على يد متخصص في أقرب وقت.

وقبل أن أرد عليه وأخرسه سمعت صوت زوجته الحيزبون «سيليا» يدوي بداخل المقصورة، وعيناها الشرهتان تلتهمان محتويات الطائرة وهي تقول:

- يا إلهي، إنها رائعة، بل أكثر من رائعة.. كنت أعتقد أنها أكبر حجمًا.. ولكن لا بأس بها حقًّا.. لا بد أن تبتاع لنا واحدة مثلها يا «مازن»، كم يبلغ ثمنها يا مستر «محمود»؟

وفي هذه اللحظة تمنيت لو أن الحيتان نجحت في مسعاها أو سحقتها الصخرة حقًّا.

أو أن «جوليا» حققت انتقامها، وأسقطت بنا الطائرة في المحيط...

إنني أكره هذه المرأة بجنون...

أكرهها أكثر من أي شيء في الوجود..

ولولا وجود «مازن».. لأهديتها هذا الصندوق القاتل.

@ART_OF_BOOK

قصة مسلية

-هذا الصندوق يحتوي على قصة مسلية جدًّا، عن قاتل مأجور لطيف المعشر... سعر الصندوق 4000 دولار، وفي حال أرجعت الصندوق تحصل على نصف ما دفعت، العرض سارٍ حتى الضحية القادمة.

كان هذا هو الإعلان الغريب الذي رصده «حورس» على أحد المواقع السوداء الحديثة الإنشاء، لتاجر جديد يُدعى «لوكي»، وهو اسم غير موفَّق إلى حد ما؛ لأنه يرتبط باسم إله الخداع والأذى في الميثولوجيا النوردية.

وإن كنت أعتقد أنه يستغل زخم شهرة الشخصية عالميًّا، بعد النهاية الملحمية للحلقة الأخيرة من الموسم الثاني، الذي عُرض على شبكة «ديزني»، وحققت نجاحًا كبيرًا.

على كل حال، من الواضح أنه يتمتع ببعض الذكاء؛ لأنه استغل أسلوب التسويق بالتسعير ليوحي للمشتري بشفافيته، وبأنه لا يخدعه.

السلعة واضحة، والسعر مناسب.

كما أنه يقوم بحيلة ترويجية ممتازة توهم الطرف الثاني بأن العملية لم تنتهِ، وأنه ما زال قادرًا على الربح في النهاية.

نصف الثمن مقابل إرجاع الصندوق، بعد إرضاء فضوله والاطلاع على قصة السفاح.

وهو في الوقت نفسه تصرفٌ غير احترافي لأنه يمكن لأي شخص أو جهة تتبع رحلة عودة الشحنة أو دس جهاز تتبع، والوصول إلى صاحبها.

لبعض المبتدئين تصرفاتٌ حمقاء.

والدليل على هذا نجاح الأجهزة الأمنية في العديد من الدول من تتبع نشاطات المواقع السوداء غير المشروعة عبر الإنترنت السفلي، ومنهم ألمانيا التي قامت مؤخرًا بإغلاق العديد من المواقع السوداء، التي تخصصت في بيع المخدرات، والمواد الإباحية للأطفال والأسلحة، بعد أن تجاوز مرتادي أحد هذه المواقع الخمسمائة ألف، وتمت عليه صفقات ناجحة تجاوزت في عددها الثلاثمائة وعشرين ألفًا.

الموضوع كله صادم ووجود عالم سفلي يرتاده الأشرار والمضطربون نفسيًّا والقتلة والسحرة في أي مكان حتى لو على شبكة الإنترنت، يوحي بشر رهيب كامن، وأن ما يحاك في الظلام أكثر إفزاعًا.

الإعلان مريب...

وتصرفات مالكه أكثر ريبة...

ولكنه نجح دون مراء في إشعال فضولي، وشجعني كثيرًا على اقتناء الصندوق، ومعرفة حكاية السفاح اللطيف، الذي لا أعرف أين يكمن لطفه وهو يفتك بضحاياه!

وهل يقتلهم بغاز «أكسيد النيتروز» أو غاز الضحك كما يشتهر.

على كل حال، إنها تجربة لن أخسر فيها الكثير...

والمبلغ المطلوب مقارنةً بما أدفعه في صناديق «سيزر» لا شيء.

وعلى عكس صناديق «سيزر» التي تتأخر عدة أسابيع بعد إتمام الاتفاق، وصل الصندوق الذي يحتوي على قصة القاتل المأجور بعد ثلاثة أيام من تحويل المبلغ، إلى الموقع الوسيط، الذي يعمد رجالي على تغييره دوريًّا، يساعدهم فيه خوارزمية خاصة يوفرها «حورس»، بعد استلام كل صندوق لمنع التعقب أو التعرف على هويتي أو هوية أي من رجالي.

وبعد مرور الصندوق بإجراءات الفحص المشددة، استلمته وأحضرته في حقيبتي الشخصية إلى غرفتي كالمعتاد.

والحقيقة أن هيئته لم تكن مشجعة على الإطلاق، وتوحي بأنه تم النصب عليَّ مرة أخرى، ولكن وقع الأمر لم يكن غير ذي بال؛ لأنني أتوقعه منذ البداية. كان مجرد صندوق كرتوني مماثل لما توضع فيه الأحذية، تزن محتوياته ما يقل قليلًا عن نصف كيلوجرام، أُغلقَ يدويًّا بشريط بلاستيكي لاصق شفاف، ولا توجد عليه أي علامات مميزة، أو أختام لأي جهة بريدية أو شركة شحن.

وقد تم تسليم الصندوق باليد عن طريق فتي توصيل طلبات بائس، يعمل في أحد المطاعم الشهيرة. عندما حاول رجالي معرفة من دفع له لتوصيل الصندوق - ورجالي مقنعون جدًّا - لم يكن لديه أي فكرة أو معلومات.

كما أن محاولتهم لتعقب الصندوق نفسه فيما بعد، لم تسفر إلا عن كونه يعود إلى أحد أشهر مصانع الأحذية في نابولي، بإيطاليا، وهو مصنع «جونتاتو فابريزيانو» الواقع في مدينة «أركيكولا»، والذي يُقبل العديد من المشاهير على أحذيته الرياضية، بما فيهم «ليونيل ميسي» و «كريستيانو رونالدو».

لم يكن هناك أي بصمات أو حمض نووي عليه، بخلاف ما يخص فتى التوصيل. وأثبت هذا أن صاحب الموقع لم يكن أحمق إلى الدرجة التي توقعتها على كل حال.

أعددت لنفسي كوبًا من القهوة المركزة، ثم أنهيت بعض الأعمال والمحادثات الهاتفية، ثم قررت أنه قد حان الوقت لأدخل إلى هذا العالم الجديد، لأرى ماذا يقدم «لوكي»!

وعلى الفور أخرجت الصندوق من حقيبتي، ووضعته على الطاولة أمامي، ثم شرعت دون تأخير في تمزيق الشريط اللاصق البلاستيكي الذي كان يحيط به، وكُلي فضول لمعرفة قصة القاتل المأجور اللطيف التي دفعت مقابلها أربعة آلاف دولار.

لم تكن تحيط بالصندوق أي طاقات سلبية أو سوداء مثل تلك التي كانت تنبعث من صناديق سيزر»، دليلًا على استعمال السحر الأسود عليها. لذا فتحت الصندوق، ومن أعماقي كنت واثقًا أن محتواه لن يكون هامًّا أو حقيقيًّا، ثم أطلقت شهقة كبيرة، عندما خطف عيني الجمال القابع بداخل الصندوق الرخيص، والذي يُعتبر إهانة كبيرة لمحتواه.

ففي قاع الصندوق كان يرقد دفتر يوميات من الجلد البني الأنيق المصنوع يدويًّا، له قُفل بدائي، نُقش عليه رسم الخنجر ذي نصل من الفولاذ المصقول له مقبض نحاسي، مطعَّم بحبة عقيق متوسطة الحجم في منتصفه، وحول الخنجر ثبتت بشكلٍ احترافي حبات أصغر، كأنما يقطر منه دم أحمر غزير.

أخرجت الدفتر من الصندوق، ورحت أرمقه في إعجاب.

كان قطعة فنية حقيقية، تتجاوز الثمن الذي دفعته عشرات المرات.

الفنان الذي صنع هذه التحفة، لا بد أنه صنعها لشخص شديد الثراء أو ذي مكانة عالية..

وبرغم رائحة القدم التي تفوح من كل جزء منه، ولكن الدفتر كان بحالة جيدة، بل ممتازة، كأنه خرج للتو من تحت يد صانعه.

حرك الدفترَ شيءٌ ما في روحي!

إنني أهيم بكل هذه الأعمال المتقنة الصنع؛ لذلك أمنح كل مقتنياتي اهتمامًا شديدًا.

أدرت القفل البدائي فانفتح دون مجهود، وتجاوزت الغلاف بصعوبة، وتطلعت إلى الصفحة الأولى بورقها الأصفر لينقبض قلبي فور أن رأيت ذلك الكف الدموي الذي يتوسط الصفحة، ويخضب الورق، كأن هناك من أراد أن يضع بصمته عليه، أو يوثق كونها ملكه.

إن بصمة الدم شيء بشع، ولكنها أوصلت الرسالة مبكرًا.

الأمر لن يخلو من مزيد من الدماء.

تجاوزت الصفحة الدامية بشيء من الاشمئزاز، ففاجأتني الصفحة التالية بوجود بضع شعرات لُصقت بعناية على الصفحة وكُتب تحتها: «تم الثأر».

قلبت الصفحة، التي كُتبت بخط جميل ومنمق، كأن من يكتب خطاطٌ رائق البال، ويحب ما يفعله، وكانت البداية مثيرة، وموترة للأعصاب في الوقت نفسه، وكانت تقول:

- لكل منا سر خاص يخشى أن يبوح به حتى لأقرب الأقربين إليه، ولا يأتمن عليه أحدًا لفداحته، وهذا السر سيظل ينخر في عظام صاحبه ويسقمه لو لم يقصَّه على أحد، ولا آمَن من الورق ليأتمنه عليه الرفيق الوحيد الذي لن يلوم أو يفضح، أو يرشد عنك العسكر، ورجال الدرك الذين عيَّنهم محمد علي باشا، وسلَّحهم بالأسلحة النارية، بالإضافة لما يحملونه من سيوف وخناجر..

إن الأسرار ثقيلة على الروح، وخاصة لمن يزهقها، وسرِّي من الأسرار التي يجب أن يموت المرء قبل أن يفصح عنها، وهو ما عجزت عنه مع الأسف.

اسمي «بدر السيوفي»، قاتل مأجور...

أقتل من أجل المال...

ها نحن سنبدأ القصة، والغريب أن للاسم صدًى خاصًّا في ذهني، كأنني سمعته. من قبل أو قرأته في مكان ما، ولكن الذاكرة لا تسعفني لأتذكر، لنكمل، وربما تكشف الأحداث كونه شخصية تاريخية ما:

هذه هي حقيقتي الدفينة، والحياة التي لا يمكنني التفلُّت منها، أو تبديلها، والتي يجب أن أعيشها، حتى يأتي اليوم الذي تأفل فيه، والذي أظن تمام الظن أنه أصبح قريبًا؛ لهذا أكتب هذه المذكرات، كي لا يموت السر معي.

وحتى يحين الحين، لا أعتقد أنني سأقلع عن القتل؛ لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي أتقنه وأجيده.

إنها مهنتي التي لا أهيم بها، ولا أنفر منها.

صحيح أن الأمر لا يخلو من نزعة إصلاحية؛ لأنني أقتل من يثيرون غضب مستأجري أو خوفه أو نقمته، ولكنه في النهاية أمر بغيض؛ لأنهم هم ذاتهم أو غاد، ويجب اجتثاث شأفتهم من جذورها.

لقد مر الوقت على الفخر أو الندم بأفعالي، ولا أعتقد أن من هو مثلي يعرف الندم.

يقولون إنه لا أحد يولد معلقًا من عنقه بجريرته، وإن الظروف وحدها تدفعه ليتحول من شخص صالح إلى قاتل. ولكن من حبلت بي، وحملتني بأحشائها تسعة أهلَّة، كانت على يقين تام من كونها ستنجب قاتلاً؛ لأنها أجَّرت رحمها لمن غرس بداخله نطفتي وأعالتني أيضًا بالأجر حتى الفطام.

لم تكن أمًا، بل مجرد وعاء وخادمة، وعندما سلمتني في النهاية لمعلمي، كان كل هدفها ما تبقى لها من أجر..

لقد أتيت إلى هذه الدنيا لمهمة واحدة، وأُنشئت في بيئة لا تعرف الشفقة أو الرفق؛ لتكون مهنتي القتل.

إنه قدري كما قال مُعلمي الأول، وهو يجبرني على نحر قطتي اللطيفة «زهرة»، التي أطلقت عليها هذا الاسم لأنني كنت أحب الزهور، وهو الحب المحرم الأول في حياتي، وكنت أراها وسط البيئة القاسية التي كنت أعاني فيها، رفيقتي الوحيدة، والتي لم تبارحني منذ أن كنت في الخامسة من العمر.

أذكر كلماته وهو يرمقني بنظرات ثقيلة، وأنا أقاوم عبراتي كي لا يقوم بعقابي، ويتركني معلقًا في سقف الحجرة رأسًا على عقب، حتى تصير الرؤية في عيني بلون الدم، ويُغشى عليَّ، وهو يقول بصوته الخالي من المشاعر:

- القاتل الحقيقي، لا يتعلق قلبه بشيء أو بأحد.

ومن بعدها دارت الأيام دورتها، وأصبحت برغم صغر سني أقتل بدم بارد أيَّ حيوان أو طير أو إنسان.

كانت المرة الأولى فقط هي الأثقل على الروح، وبعدها جفت الخامسة عشر. كل المشاعر، وتحولت لسلاح فاتك في يد معلمي، وأنا لم أتجاوز بعدُ الخامس عشر.

ولكني لم أتصور أن يوجه هذا السلاح البتة يومًا إلى رفيقتي الوحيدة، وعِشرة عشر سنوات كاملة. ولأول مرة أدرك كُنْه القتل وقسوته. لذلك لم أنسَها له، أو أغفرها، وأصبح بيننا ثأر ودم.

وساعتها رفعت ناظري بصعوبة عن جسد «زهرة» الغارق في الدماء، وسألته بكل كراهية الدنيا:

- ولا بمُعلمه.

ابتسم في خبث، وأجاب:

- المعلم ليس شيئًا أو شخصًا، إنه إله عالمك، يأمر فتطيع، وتدين له بالولاء إلى الأبد. ولكني أثمن حماستك، وتذكر: عيني عنك لن تغيب.

وأثناء دفني لـ «زهرة» قطعت لها وعدًا أنني لن أنتقم منه وحده، ولكن من العالم أجمع. وبعدها عدت إلى خان مُعلمي شخصًا آخر غير الذي غادر.. شخصًا مختلفًا تمامًا.

بينما أخضعني معلمي لخطة تدريبات قاسية، وأحضر معلمًا خاصًّا ليلقنني بعض علوم الكيمياء التي ستعينني على مهنتي، بعد أن أتقنت القراءة والكتابة.

فبعد أن تحولت لقاتل قرر أن يحولني لمقاتل لا يُشق له غبار، ودومًا ما كان يخبرني أنه يرغب في أن أكون مثل «الزيبق» لا أحد يستطيع أن يقبض عليَّ أو يحتويني.

وهذا ما طبَّقته بحذافيره في كل مهمة وكلني بها.

وبعد أن يُثني عليَّ وعلى مهارتي، كان يُذكرني أن عينه لا تغيب أبدًا عني.

حتى جاء اليوم المشؤوم الذي طلب مني فيه أن أرافق الشيخ «علي»، هكذا كان اسمه ولقبه من أول وهلة ستتعامل معه ستظن أنه شيخ ورع، يتقي الله حق تقاته، وما إن تخفت هالة المهابة الكاذبة التي يحيط بها نفسه، حتى يقع في نفسك أنه دجال.

ثم تتفاجأ بأنه يعرف مكنون نفسك بسهولة، ليصحح لك سوء ظنك به، ويخبرك أنه ساحر مكين، وشتان بين هذا وذاك.

وعندما يرى نظراتك المستنكرة، يخبرك أنك تكرهه، وكنت تتمنى أن تكون المهمة المنوط بها قتله، لا حمايته وقتل من يتعرض له، وأن هذا سيكون مصيرك بأبشع الوسائل، لو لم تقم بها على أكمل وجه.

قلبي الذي لا يعرف الخوف أو الروع أصبح يخشاه بشدة.

إن مثله من يخيف الآخرين، فلماذا طلب حمايتي؟

- سنذهب اليوم إلى «وادي الملوك»، لديك عمل هناك، فأعِدَّ عُدتك، الطريق طويل، ومجهِد.

قالها، ثم أغلق باب غرفته، وتركني أتجرَّع مخاوفي وهواجسي.

لم تكن هذه هي زيارتنا الأولى إلى وادي الملوك، ولكن شيئًا ما من أعماقي أخبرني أنها الأخيرة.

في المرات الثلاث السابقات دفعني كل مرة لقتل حيوان مختلف في الأولى ضب، وفي الثانية ضبع، وفي الثالثة ثعلب، وجعلني أدفنهم تحت الرمال، في المكان الذي يؤمن أن فيه المقبرة؛ المقبرة التي تحتوي على المساخيط...

لقد رأيته يشير إلى الرمال، فتنشق، ويخرج أحدهم ملفوفًا في كفنه الكِتاني البالي، ويخوض معه حوارًا جفت له الدماء في عروقي، بلغة لم أفهمها قَط...

أوهام! لا، لم تكن أوهامًا؛ لأنها تكررت على مدار الزيارات الثلاث.

المروِّع أكثر من كل هذا، هي جحافل القطط التي تتجمع من كل حدب وصوب عند حضوره، وتملأ المكان إلى مدى البصر، كأنهم حراس المكان، وتختفي فور أن يعود المسخوط المخيف إلى مقبرته تحت الرمال.

ومن بين جحافل القطط الكثيرة، كانت تتبعني قطة وحيدة لطيفة،

تشبه قطتي المغدورة «زهرة»..

وأقول تشابه؛ لأن قطتي ماتت...

بل نحرتها بنفسي...

لأنه لو لم يكن تشابهًا، فهو أمر مرجف.

تقطع القطة الطريق خلفي، كأنها ملاك حارس، وتختفي فور أن نصل إلى ضفة النيل الغربية، أي إنها تشيعنا سيرًا طوال ستة كيلومترات، هي التي تفصل وادي الملوك عن ضفة النهر.

لَمحت له ذات مرة عن وجودها، فقال:

- إن روحها ما زالت هائمة لن تحظى بالراحة إلا بعد الثأر.. لديك دَين في عنقك لم تسده.. «زهرة» لم تنسَ ثأرها.

وهنا سألته والرجفة تعتريني، بعد أن تحقَّق واحد من أسوأ مخاوفي:

- هل تراها؟

أجاب بما أثار رعبي أكثر:

- ما أراه يكفي...

وعندما سألته أين تذهب القطط عندما تختفي، أشار إلى التلال المحيطة بالمكان، فسألته بسرعة:

- وزهرة؟

فأشار إلى الجبل الموجود جهة الجنوب، وقال في غموض:

- هنا الحراس، وهنا الهائمون.

عندما وصلنا إلى الضفة، كانت قدماي تئنَّان من التعب، بينما كان هو يسير، كأنه لم يقطع سوى عدة أمتار...

تنفَّست الصعداء، عندما رأيت صفحة النيل الرقراق، وضوء القمر الذي جعلها كإناء هائل الحجم من الفضة، وقد سكن فكري أني سأقضي الرحلة كلها نائما، عندما قال في حزم:

- نحن لن نعود إلى المحروسة، وسنقضي الليلة في الأقصر، عملك لم يبدأ هنا بعد.

وفي هذه اللحظة حثَّني شيطاني على قتله، والعودة لأثار لـ«زهرة» وأبدأ حياة جديدة بعدها بالثروة التي أخفيها عن معلمي، والتي كنت أحصل عليها من قتلاي، والتي ستجعلني من أثرياء المحروسة.

وربما أغادر المحروسة أيضًا.

وهنا راح صوته المفزع يتردد في عقلي، دون أن يطرق أذني، قائلًا:

- حتى أفكارك سأحاسبك عليها فأحذر، لولا أن معلمك صديقي، لكنت الآن جثة هامدة في قاع النيل...

أنا لم أخشَ الموت لحظة ولكني أخشى هذا الرجل أكثر من الموت.

ودون أن أفكر وقَرَ في أعماقي أن هذا الساحر يجب أن ينتهي وجوده على هذه الأرض.

وأثناء ذهابنا إلى الخان على صهوة بغلين يجرُّهما مكاري شاب، انهمك الشيخ «علي» في حوار هامس معه.

حاولت أن أتنصت لأفهم ما الذي يسعى إليه هذا الشيطان البغيض وعجزت عن المعرفة، إن كل ما درسته من علوم لا قيمة له هنا، أمام ما يمتلكه من معارف وعلوم تتخطى كل العلوم.

في اليوم التالي أحضر المكاري الشاب معه أحد المرشدين، شابًّا أسمر نحيلًا، له عينان ملونتان يتبدل لونهما حسب قوة ضوء الشمس، كان هادئًا صموتًا، كأنه فتاة في خدرها.

غبطته على فكرة إحضاره المكاري والبغال، فالسير مرهق، وشاق، والشمس لا ترحم، ما لم أفهمه قط، لماذا أحضر أحد المرشدين معنا، ونحن نعلم موقع المقبرة، ولماذا تبدو نظرات المرشد شاردة كأنه في عالم آخر؟

ولم تطلْ حيرتي كثيرًا؛ فعندما وصلنا إلى المقبرة، تلقيت كل الإجابات دفعة واحدة، عندما قال في صرامة:

- اقتل المكاري والبغال، وابدأ في حفر قبر جديد.

وفي هذه اللحظة فهمت لماذا كان يحرص على أن نغدو ونذهب ملثَّمين، ولماذا أحاط كل شيء بالسرية، ولماذا كان يغدق بالأموال على كل عسكري درك يقابلنا، ولماذا أخبرني أن عملي لم ينتهِ بعد!

وبكل سرعة وكفاءة، أجهزت على المكاري، فلم ينتبه إلى أنه أسلم الروح، أو أن دماءه أغرقت ثيابه والرمال.

هناك موت مؤلم، وموت مريح، ولا أعرف لماذا اخترت له الثاني.

وبدم بارد، نحرت البغال الأربعة واحدًا تلو الآخر، ثم قطعت الليل كله لأحفر لهم جميعًا مقبرة جماعية.

لم أفهم لماذا أصرَّ ذلك البغيض على أن أقوم بهذا العمل الشاق ولماذا لم يستخدم قدراته ليجعل الرمال تبلعهم وفي أثناء قيامي بالحفر، غاص هو مع الشاب في قلب الصحراء.

وخلال الليل، لم تتوقف صرخات الفتى التي كان صداها يرجُّ الصحراء رجًّا.

أنهيت ردم الحفرة العملاقة بعد عناء، وواريت كل آثار الحفر بمهارة، وغفوت بعدها من التعب.

لا أعرف كم مضى عليَّ نائمًا، ولكنني استيقظت بكامل إنهاكي على وكزة عنيفة منه.

وكأنني أراه للمرة الأولى، رحت أتفرس في وجهه، مكذبًا عيني، هل عاد العجوز شابًّا؟

وعندما تنبَّه لنظراتي المندهشة، أرخى اللثام على وجهه ليخفي ملامحه، وهو يقول:

- الشباب يمنح الشباب.

لم أفهم، ولم أرغب في الفهم، فقلت بصوت مضطرب

- هل انتهت مهمتي؟

رمقتني عيناه القاسيتان، وقال بحدة:

- ستنتهي عندما تنتهي لن نعود اليوم إلى المحروسة، ولكنك وحدك ستذهب إلى الخان، وغدًا نلتقي هنا، قبل أن تموت الشمس.

قالها، ثم استدار، واخترق الظلام والصحراء.

وكان عليَّ في هذه اللحظة، أن أتخذ أخطر قرار في حياتي، إما أن أتبعه وإما أن أعود أدراجي إلى الخان...

صوت أبناء آوى يشق صمت المكان محذرًا...

فتُذكرني صرخات الشاب المسكين الذي قضى الليل يتعذب... ولا أدري هل مات أم ما زال حظه المنكود يخبئ له مزيدًا من المعاناة.

وهنا ظهرت «زهرة» كأنما انشقت الأرض عنها.

نظرت في ثم سلكت الطريق الذي سبقنا إليه الساحر البغيض.

كنت أعلم أنها غاضبة مني، فأنا لم أفِ بوعدي، ولكنها لم تكن لتؤذيني.

يقولون الفضول قتل القط، وربما الآن يقتلها هي وأصحابها.

جهزت القربينة وملأتها بالبارود، وجعلتها في متناول يدي، وامتشقت سيفي، وقررت أن أكشف سر ذلك الساحر البغيض...

بعد أن قطعت عشرة أمتار فوق الرمال، لمحته يسير بتؤدة على البعد، ولكن ليس هذا ما لفت انتباهي...

ما لفت انتباهي شيء آخر مروع.

لم يكن على مدى الشوف أي كائن حي غيره، ولكني شعرت أن المكان من حولي مزدحم!

بل شديد الازدحام!

جو الصحراء القارص ليلًا أصبح حارًا.

وصوت يشبه صوت عشرات العابرين، وأنفاسهم اللاهثة يتردد في أذني، كأن جحافل من المخلوقات الخفية تتبعه...

ظهر الفزع على زهرة»، وانتفش شعرها.

اقتربت منها لأحملها، ولكن يدي عبرت من خلالها، مما جعل قبضة باردة تعتصر قلبي.

لم أستطع أن أساعدها قديمًا أو أهون عليها الآن.

حاولت أن أتجاهل ما يحدث حولي من أمور مروعة، وأتقدم خلفه بقلب واجف.

ولساعة أو يزيد ظل يسير بالخطوات البطيئة نفسها، كأنه يتنزه أو ... يا للسماء.. لا يرغب أن أفقده.

وعندما ترددت الفكرة في عقلي وجدته يستدير، وصوته يتردد في أروقة عقلي:

- كان عليك أن تذهب وتعود في الغد، ما زال لديك مهمة أخيرة، والآن عليك أن تعود، ولكنني لن أضمن حمايتك، لقد خرجوا جميعًا، وحتى الفجر لن يعودوا.

انتهت كلماته، فحجب القمر غيامه، وارتفع من حولي هدير يصم الآذان.

اندفعت دون وعي نحو «زهرة»، لأحول بينها وبين الهول القادم ولكنها كانت قد تبخرت...

القادم كان أصعب من أن أقصه أو أحكيه؛ لأنه يُعدَ ضربًا من الخيال، بل يفوق كل خيال...

كنت قد سمعت في صغري عن غيلان الصحراء والسعلاة، والجن الأحمر والأزرق، ولكن ما رأيته كان يختلف اختلافًا بعيدًا..

أطياف مخيفة بلا وجوه، كانت تندفع نحوي من كل مكان...

أطياف تحمل كل وجوه قتلاي...

وأطياف لكائنات لم أتخيل وجودها، بعيونها العديدة، وأجسادها الخالية من الأطراف تهاجمني..

وبسيفي رحت ألوح، وأضرب.. يمينًا ويسارًا.

أحيانًا أشعر أنه يصطدم بشيء، وأحيانًا يضرب الهواء، كأنني أقاتل الهواء تارة، ومخلوقات خفية تارة...

مخالب خفية طفقت تمزق ثيابي، وتخدش وجهي وظهري وبطني...

وراحت دمائي تسيل دون توقف، وأنا أقاتل حتى أنهكني التعب..

وعندما لم أقدر على رفع سيفي، وتكالبت عليَّ الأطياف، جاءت النجدة من حيث لا أحتسب.

غطى على الهدير الرهيب للأطياف، صوت مواء رهيب، كأن آلافًا من القطط الغاضبة تموء في جنون...

وعندما نظرت بطرف عيني لمحتها..

كانت «زهرة» تقود جيش الحراس من القطط، وتهاجم حشود الأطياف التي تجسدت فجأة في المكان، بأبشع الهيئات، لتدور رحى معركة رهيبة كان نصيبي منها طعنة غادرة، من مخلب كائن جهنمي، أفقدتني الوعي، حتى مساء اليوم التالي.

لولا الطعنة الغادرة التي لا أعرف كيف التام مكانها، وإن ظل أثرها، لقلت إن كل ما مررت به في تلك الليلة المشؤومة، كان مجرد أوهام، بثها في رأسي ذلك الداهية البغيض.

نهضت من مكاني لأجد في يدي رقعة قماشية، كُتب عليها بالدماء:

- ستنتظرك الجارية في الخان، لا تقربها، وسأنتظرك قبل أن تموت الشمس.

في غرفتي في الخان، وجدت الجارية. كانت جالسة في صمت فتركتها على حالها، واستبدلت بثيابي المهلهلة ثيابًا جديدة، والعجيب أن منظري الغريب لم يلفت انتباه أحد، كأنها عميت عيونهم عني.

تناولت الطعام في نهم، ونمت، حتى أيقظتني الجارية، وهي تقول بلهجتها الشامية:

- لقد حان الوقت.

شيء ما في داخلي، كان يرغب في أن أحذرها، أن أخبرها أنها ذاهبة لقضاها؛ صرخات الشاب الأسمر ما زالت تدوي في أذني، ولكن غلبتني طبيعتي، لقد قطعت عهدًا للمعلم أن أنهي المهمة، ولن أخون العهد الأخير.

عندما هممت باستئجار مكاري نهتني الجارية عن الأمر، وقطعنا الطريق الطويل صامتين.

وبعد أن انتهيت منه، كنت قد أُنهكت وبشدة، ظهرت آثار الليلة الماضية، ولكني كنت أكابر؛ فالجارية تسير دون أي أثر لتعب، كأنها في روضة.

متى انتبهت إلى أن فيها شيئًا غير طبيعي؟!

لا أعرف! ولكني فجأة توقفت...

وهممت بأن أعود أدراجي، عندما دوى صوتها دون أن تستدير:

- هذا طريق بلا عودة، ستكمله بإرادتك أو مرغمًا.

أنهت عبارتها، فشعرت ببرودة رهيبة تسري في أطرافي، وبغثيان رهيب في معدتي، والجرح الملتئم يلتهب، فجثوت على ركبتي متألمًا، وأنا أصرخ:

- توقفي أيتها الحقيرة، توقفي يا عروس الشيطان.

وهنا رأيتها تنتفض في مكانها، وتستدير نحوي غاضبة، وقبل أن أنطق بكلمة وجدتها أمامي قبضتها القوية تضغط على عنقي، عيناها اللتان اشتعلتا بنيران حقيقية تخترق أعماقي، وأنفاسها النتنة تكاد تزهق روحي، وهي ترفعني لأعلى، كأني مجرد دمية لا وزن لها، وهي تزوم قائلة:

- انهض وواصل الطريق؛ مهمتك لم تنتهِ.

كان الألم رهيبًا ومتنوعًا، ويضرب كل جزء في جسمي بشكل مروع؛ ولذلك استجمعت قوتي، ونهضت لأسير خلفها مجبَرًا، وقلبي يكاد يقفز مع أحشائي من فمي، ورعب عاتٍ يسيطر على روحي، لدرجة أني فكرت للحظة أن أغمد السيف في قلبي، لأنهي كل هذا العذاب، ولكن صوتها عاد يتردد في رأسي محذرًا:

- لم يحن الأوان بعد.

ليتضاعف خوفي، أكثر وأكثر، حتى لمحت «زهرة» تنعطف خلف تبة رملية وترمقني دون صوت...

والعجيب أن وجودها محا كل خوف من قلبي.

وكأنما رصدت الجارية ما حدث دون أن تفهمه، قالت:

- لا تفكر في أي شيء يغضبني لأنه لن يمضي دون عقاب.

وعُدنا للسير، وأنا أشعر بضعف رهيب، كأنني أحمل أثقالًا على كتفي، أجبرني على بذل جهد مضاعف حتى وصلنا إلى المقبرة،

وقد أنهكني التعب، لأجد هيئة المرأة تتغير، وتتحول لهيئة الشيخ «علي» نفسه!

الشيخ «علي» الذي لم يعد شيخًا - لأن الشباب يهب الشباب ولكن الأغرب من هذا أني رأيت خمسة من العمال نائمين، وأكثر منهم يعملون على إخراج محتويات المقبرة، ويحملونها فوق مجموعة من الجمال، ويحكمون رباطها.

نظرت إلى الكنوز المستخرجة من المقبرة، دون أن أصدق أن مقبرة واحدة تحوي كل هذه الكمية من الذهب والحُلي والتماثيل الذهبية التي كونت حمولة اثني عشر بعيرًا...

ولكن ما لفت انتباهي بشدة، لم تكن كل هذه الكنوز، بل القنينة التي تهللت لها أسارير ذلك البغيض، والتي ما إن حصل عليها حتى أمر العمال بالتوقف، ثم أشار نحوي وقال في صرامة:

- أنْهِ عملك...

كنت في أسوأ حال، وجسدي كله يرتجف من الحُمى، وجرحي ملتهبًا، وأطرافي ترتعش من آثار البرودة الرهيبة، وبرغم هذا حاولت أن أعض فسقطت، فتقدم مني غاضبًا، وقال في عصبية:

- يجب أن تروي الدماء الرمال، يجب أن يموت هؤلاء الرجال... أنْهِ مهمتك في الحال.

ودون أن يسمع إجابتي، قرَّب من شفتي القنينة، وسكب قطرة واحدة من السائل الموجود داخلها في فمي، دون أن أملك أي قدرة على منعه لأشعر بنار حارقة في حلقي، ولأصرخ بعدها صرخة عانية، كادت أن تمزق أحبالي الصوتية، وأيقظت كل الرجال النائمين وأفزعت المستيقظين.

وبعدها، شعرت بنار باردة متصاعدة تجتاح كياني، هذا هو الوصف الوحيد لها، لتتلاشى بعدها ببرودة أطرافي، وتُشفى كل جراحي، ولأشعر بالدماء والحيوة تتدفق في عروقي، كأنني أمتلك حيوية ألف شاب ووحشيَّتهم، وتعطش ألف ليث لسفك الدماء...

وخلال دقيقة واحدة، كانت هناك اثنتا عشرة جثة ممزقة تفترش الرمال، وحولهم بحيرة من الدماء...

ما حدث بعدها كان مروعًا...

عشرات من الأيادي العظمية المخلبية، خرجت من تحت الرمال، وسحبت الجثث الغارقة في دمائها إلى أسفل، لتخفي كل أثر للمجزرة التي ارتكبتها في لحظات، وليسود بعدها صمت رهيب، لم يقطعه إلا صوت الساحر الرهيب، وهو يتحرك، وخلفه قطيع الإبل المحمَّل بالكنوز:

- انتهت مهمتك، يمكنك أن تعود، وأجرك فى هذا الصندوق وأجر معلمك سأمنحه له بنفسي. لو سبقتني نلت ثأرك ولو سبقتك، فسيكون مصيرك مثل مصير زهرتك.. هائم إلى الأبد.

حاولت أن أتحرك من مكاني، دون جدوى، كأنما تُثبتني إلى الرمال قوة خفية، حتى اختفى في قلب الصحراء، تتبعه زوبعة تمحو كل أثر له، ولقافلة الإبل التي تتبعه.

وساعتها أقسمت أن أقتله، ولو كان هذا آخر عمل أقوم به في حياتي.

وعندها ظهرت لي «زهرة» وهي تنظر نحوي بثبات، بأغرب نظرة رأيتها في حياتي، نظرة فهم عميقة، لا يمكن أن يملكها

حيوان شعرت ببعض التوتر. وبصعوبة حررت عيني من عينيها الآسرتين وحملت الصندوق الذي كان بداخله، ذلك الخنجر الأثري الذي يزين الدفتر، الذي سجلت فيه هذه الحكاية.

وكي أسبقه إلى معلمي لأحقق انتقامي وانتقام «زهرة»، نفق مني خمسة من الخيول، برغم أن «زهرة» كانت تقودني عبر دروب وطرق مختصرة لم أعلم لها وجودًا من قبل.

وعندما وقع بصر معلمي على وجهي، ورأى نظرة التصميم، حتى سألني مبتسمًا:

- هل حان الوقت؟

وكانت طعنتي النافذة في قلبه، بذلك الخنجر الأثري، هي الإجابة ونهاية القصة.

وبرغم أني شعرت بـ «زهرة» تتمسح في ملابسي، بل تركت بضع شعيرات من قرائها على ملابسي، وهي الموجودة في بداية الدفتر، ولكني لم أستطع لمسها قط، وهي تموء وتتلاشى من أمام عيني، بعد أن نفذت وعدي لها.

وأمام جثة معلمي أقسمت أن أقتل ذلك الشيطان البغيض..

وبعدها لتلحق روحي بـ «زهرة» أينما كانت.

انتهت المذكرات هنا، وفي الصفحة الأخيرة وجدت مجموعة من التواريخ، تحدد مجموعة من اللقاءات تمت، حتى ثلاث سنوات خلت، مع جملة كتبت في هامش الصفحة الأخيرة:

قطرة واحدة، ليست كافية كي أهدم كل ما بناه، لا بد أن أحصل على القنينة.

أنهيت القراءة، وتنفست الصعداء، وعقلي شارد في ذلك القاتل المأجور المولع بالقطط والذي قابل ساحرًا بغيضًا، استخرج من مقبرة في «وادي الملوك» كنزين، وكان أثمنهما ما بداخل تلك القنينة.

ولو صدقت القصة، ولم تكن من بنات خيال البائع المريب، الذي باع خنجرا أثريًّا لا يُقدَّر بثمن بسعر زهيد، فأنا. مع الأسف لم أفهم المغزى من ورائها، ومن وراء التواريخ.

إن التفسير الخيالي المنطقي الوحيد، أن تلك القنينة كان فيها شيء يمنح القوة، ويداوي الجروح، وربما يطيل العمر، وأن القاتل والساحر، ما زالا في عالمنا يتناحران.

وعندما أخبرت «مازن» بالقصة، هتف متجهمًا، وقال:

- صحيح أن هذا الخنجر يساوي وحده ثروة، ولكن عليك أن تعيده لمصدره، أو تتخلص منه. قبل أن يفتح علينا بوابة أخرى للجحيم، إنه هدية من ساحر لقاتل وتخضب بالدماء.

تجاهلت حديثه، وفي عقلي تدور فكرة مخيفة، جرت على لساني:

- أنا لا أو من بالمصادفات.. لكن ألم تقرع نهاية القصة جرسًا في رأسك؟

نظر نحوي متجهمًا، ثم سألني في حذر:

- أي جرس؟

شردت، وأنا أستعيد بعض أحداث القصة في رأسي، وقلت والقلق يعصف بي:

- لقد عثر هذا الدجال على كنز ذهبي هائل الحجم.. ولم تذكر المذكرات مصيره أو ماذا فعل به!

ظهر التوتر على وجهه، وهو يقول في هلع:

- هل تقصد؟

قلت في توتر مضاعف:

- عثر على كنز.. كما يشاع عن جدي جدي الشيخ «علي»..

شهق فأكملت:

- الاسم نفسه.. والكنز نفسه.. مصادفة غريبة، أليس كذلك؟! ولم يجب «مازن».

@ART_OF_BOOK

مسكون

- هل تعلم أنني لن أتنازل لحظة، عن حقي في الرهان.

ركنت سيارتي أسفل شجرة توت وارفة، لتخفيها قليلًا عن الأنظار، خاصة أن الطريق الرئيسي قريب، ولن نعدم أن نرى فضولي يجذبه ضوء عشوائي، في هذا المكان النائي غير المطروق.

هبطت من السيارة، لتهبط خلفي «نهى»، وتتحرك بخطوات مترددة، فوق الطريق الترابي، والشمس تدنو من الغروب في عجالة، والسماء لوحة من الألوان المبهجة، أتجاهلها عن عمد، كما أتجاهل الرد على «نهى»، وعيناي مصوبتان على المنزل العتيق الهائل الحجم، المبني من الطوب اللبن، والذي يقف وحده وسط الزراعات، كأنه شاهد قبر مهجور، على أيام ولَّت ولن تعود.

هرولت «نهى» خلفي، وهي تقبض على حقيبتها الكبيرة، التي تشبه الحقائب التي تحملها الأمهات، وهي تقول في جدية:

- إنها المرة الأولى التي أخرج فيها مع رجل غريب، والأغرب أن اللقاء سيكون في بيت مسكون، لماذا أشعر فجأة أنني حمقاء؟

أردت أن أخبرها أنها ليست وحدها من تشعر بهذا الشعور السخيف، خاصة أن رؤية البيت الضخم الكامن في هذا المكان الموحش، جعل قلبي ينقبض.

وإن أكد على شيء واحد بما لا يدع مجالًا للشك، وهو صحية العنوان.

المكان مخيف بحق، ويبعث على التوتر

تُرى أي شخص أحمق يبني منزلًا معزولًا إلى هذه الدرجة؟ ولماذا مع ارتفاع أسعار العقارات ترك هذا البيت مهجورًا، ولم يتم هدمه وإعادة بنائه؟

أي سر مخيف يقبع وراءه؟

ولماذا هذا البيت بالذات الذي وقع عليه الاختيار؟

كلب ينبح على البعد فتهرول «نهى» لتمشي أمامي، لتجعلني بينها وبين مصدر الصوت، وقد بات يفصلنا عن بوابة المنزل بضع عشرات من الأمتار.

كدت أزيحها لتفسح المجال أمامي، ثم تذكرت الفوبيا التي تعاني منها، فتراجعت وقللت من سرعة خطواتي لأجعل بيني وبينها مسافة آمنة، ومن أعماقي أشفقت عليها لتورطها معي في خوض مثل هذه المغامرة، والليل قد بدأ يطمس بفرشاته الزرقاء كل الألوان الأخرى، وينسحب الضوء خجلا ليعلن ملكوت الظلام.

إن موقفنا في كل الأحوال سيئ.

تتلفت «نهى» حولها، ثم تقول بصوت مضطرب:

- ألم يكن من الأفضل لو انتظرنا إلى الصباح، أو أحضرنا معنا مزيدًا من الرجال والدعم؟

أجيبها باقتضاب، وأنا أتحرك لأقطع الأمتار المتبقية التي تفصلني عن المنزل، كي لا تفتر من عزيمتي:

- الليل هو مملكة هذه الأشياء، قدومنا بالنهار لا معنى له، ونحن ما زلنا في بدايته.. وأنا معك، لا تقلقي، إنه مجرد منزل مجهور ولا حاجة بنا لرجال أو دعم.

صوت الريح يثير فزعها، فتسبقني بخطوة، مما جعلني العن حماقتي مرة أخرى، وأفكر في العودة...

إن جسدها كله يرتجف من الرعب، ولم ندخل المنزل بعد.

فماذا عندما ندخل؟

ولكنها قطعت أفكاري بفكرة المعية، قلبت تفكيري رأسًا على عقب، وهي تقول في اضطراب:

- هل تعرف ماذا سيقول الناس عن فتاة تدخل مع رجل غريب بيتًا مهجورًا؟

الغضب يحل محل الشفقة في أعماقي، فأشيح بيدي مستنكرًا، ولكنها لا تتوقف عن الثرثرة:

- أنا أثق بك بالطبع، وأعلم أنك لم تكن لتنظر لي بهذه النظرة الدنيئة، أنا أتحدث عن الناس.

أجزُّ على أسناني، وأقول بصوت مختنق:

- الصبر يا رب.

فتعاود الحديث، ونحن نقترب من البوابة المغلقة:

- ألن تفكر في هذا لأنك شخص محترم، أم لأني لا أروق لك؟ ألا تراني جميلة؟

وهنا استدرت، واعترضت طريقها بشكل مفاجئ جعلها تتراجع خطوة إلى الخلف في توتر، وقلت بصوت يحمل كل غضب الدنيا:

- أنا لا أراكِ إلا حمقاء، ستجبرني على تهشيم رأسها، ودفن جثتها في هذا البيت المهجور.

وهنا انتفض جسدها فرقًا، واتسعت عيناها رعبًا، وقلت في هلع:

- هل هذا ما خططت له، أن تحضرني هنا، لتعتدي عليَّ ثم تقتلني، كنت أعلم أن وراءك شيئًا مريبًا الجميع يتحدثون عن غرابة أطوارك، ورحلاتك المريبة، و.....

تجاوزتها بغيظ لأفحص البوابة المغلقة، وأنا أقول في غلظة:

- اللعنة على أفكارك المريضة، ربما قد أقتلك لو لم تصمتي، ولكني لن أعتدي على حمقاء مثلك، ثم لماذا سأترك الدنيا كلها لأعتدي عليك في خرابة مسكونة؟

توترت أكثر، وهي تناولني من حقيبتها جسمًا أسطوانيًّا غريبًا، لم أدرك فائدته من الوهلة الأولى، حتى تحدثت قائلة:

- هذا «ماستر كي» سويسري، أحضرته من هناك في رحلتي الأخيرة، أنت لا تعرف مدى شغفي بمثل هذه المعدات، إن لديَّ ورشة كاملة في المنزل، وهو قادر بالفعل على فتح أي قفل في لحظات، هل ما زلت تعتقد أنني حمقاء؟

تلاشت على الفور من أعماقي كل ذرة غضب نحوها، وأنا أختطف «الماستر كي» من يدها، وأقلبه في يدي بحثًا عن طريقة استخدامه لتشير نحو زر بارز في الجسم الأسطواني، لأعمل على إيلاجه في الرتاج وأضغط الزر، وأنا أقول في امتنان:

- بل أنت أذكى امرأة قابلتها في حياتي.

وهنا، شرد بصرها للحظة، ثم قالت في فزع:

- أنت لست تُخفي نيَّات أخرى، ولن تعتدي عليَّ؟

قلت في نفاد صبر:

- لو كانت هذه رغبتك، لو توفَّر لديَّ وقت فسأعتدي عليك.

أشاحت في يدها وقالت:

- لا بالطبع، لا أرغب.

أشرت لها في حزم لتعبر البوابة أمامي، ثم أغلقتها خلفي، وأنا أقول كمن يعامل طفلًا محدود الذكاء:

- حسنًا، لن أعتدي عليك، هل سأجد في حقيبتك هذه، ما يصلح لإزالة عتمة المكان أم نعتمد على ضوء الهاتف المحمول؟

أخرجت مغلفًا منتفخًا من حقيبتها، لم أخمن في الظلام محتوياته، وقالت في اهتمام دون أن تجيب عن سؤالي:

- ألا نتناول بعض الشطائر أولًا؟ إن التوتر يفجر جوعي، أنا لم أعتد خوض مغامرات مماثلة.

وقبل أن أجيبها، خُيل إليَّ أنى لمحت جزءًا من الظلام يتحرك وسمعت صوت صرير كان من الواضح أنها أيضًا سمعته لأنها تركت مغلف الشطائر ليسقط من يدها وراحت تعبث في حقيبتها العملاقة بضع لحظات، قبل أن تخرج منها كشافًا قويًا، أشعلته وهي تقول في روع:

- يا إلهي.. إنني سأموت من الرعب.. إننا لسنا وحدنا! لقد ربحت الرهان هيا يا مستر «محمود»، لنغادر هذا المكان المشؤوم.

لعنت حماقتي التي أوصلتني لهذه اللحظة، وأنا أُخرج من جيب معطفي مسدسي المرخص، وأخطف منها المصباح الكبير، وأوجهه مع المسدس نحو المكان الذي صدر منه الصوت، وعقلي يرجع إلى لحظة البداية التي انتهت بنا في هذا الموقف المخيف!

إلى اللحظة التي رصد فيها «حورس» الإعلان الجديد لـ«لوكي» وأرسله إلى هاتفي.

ساعتها كنت في مقر الشركة الرئيسي أنهي بعض الأوراق والمعاملات، وأتناقش مع «نهى في بعض الأمور الفنية. وأثناء توقيعي لبعض الأوراق وأوامر صرف رواتب الموظفين، وكشوف المكافآت التي أعدَّها قسم الحسابات، تناولت هاتفي بعفوية، ثم شهقت في قوة، كأنها رأت على شاشته محتوًى صادمًا، لأسحبه من يدها هاتفًا:

- هل لدغك ثعبان أم ماذا؟!

وعندما لمحت شعار «لوكي» الذي ملأ الفراغ الذي تركه «سيزر» بتأخره في عُرض صناديقه لفترات يطول بعضها لعدة أشهر -يزين جانب الرسالة، التي التقطها «حورس» للإعلان الجديد الذي بنه عبر موقعه الأسود على الإنترنت المظلم، ثم قرأت نص الإعلان، ابتسمت، وسألتها محاولًا إثارة ذعرها:

- هل تخشين الأشباح يا باشمهندسة «نهى»؟

أجابت بسرعة، ودون تفكير، من مخزون قناعتها الجاهز:

- لا يوجد شيء اسمه أشباح يا مستر «محمود»، هي أرواح أو أما عن الأرواح فهي من أمر ربي، وبالنسبة للجن... جن نعم.. أنا أخشى الجن ككل إنسان طبيعي.

ابتسمت لطريقة ردها الطفولية، وقناعتها أن كل إنسان طبيعي يجب أن يخشى الجن وشرعت في قراءة نص الإعلان مجددًا، عندما ارتفع صوت «نهى» وهي تردد نص الإعلان مستخدمةً ذاكرتها الفوتوغرافية السريعة الحفظ والاستعادة:

هل تؤمن بالأشباح، وبالقوى النفسية للأماكن؟ هذه فرصتك لتخوض تجربة حية مقابل 7000 دولار، صندوقي القادم سيرشدك إلى الباب الخفي، العرض محدود.

ابتسمت على الرغم مني؛ فقد أظهرت طريقة نطقها للإعلان كم يتمتع «لوكي» بالطرافة عند عرض مقتنياته، بشكل يختلف تمامًا عن طريقة «سيزر» العملية.

الإعلان كعادة «لوكي» واضح ولا يحتاج إلى أي تأويل، وبعد من يحصل على الصندوق الجديد بزيارة مكان مسكون...

ويمكن أن يوجد في أي بقعة من العالم.

وهي تجربة خضتها في صغري، دون أن أمتلك أي قناعات، بل مجرد مخاوف مسبقة. والنتيجة أصابتني بخيبة أمل وإحباط شديدين؛ فلم تتعدَّ كونها مقلبًا مرتبًا، ومزاحًا سخيفًا من زملاء الدراسة، ولم يكن البيت المهجور الذي دخلناه مسكونًا أو به أي أشباح، بل غص فقط بالأوغاد.

وإن ظل ما حدث هاجسًا ملحًّا يطاردني لمحاولة فهم هذه الظاهرة وتفسيرها، فكررت الأمر في بلاد مختلفة، وقضيت ليالي عديدة منفردًا، وبصحبة رجالي في منازل، وقصور، وقلاع، وأنفاق يقال إنها مسكونة، وشاع حولها الأساطير.

واستخدمت العديد من أجهزة الرصد، وأحدث التقنيات التي تفوق ما استخدمها «إيلسون أونيل» و«نيك جريفز» و

«جورج لانكستر»، وهم باحثون ومتخصصون في دراسة وتتبع ظواهر الأشباح والقوى النفسية، ولديهم كتب منشورة في هذا المجال، و «إيلسون أونيل» نفسها هي مؤسسة «جمعية الظواهر الخارقة»، ومن أبحاثي وتجاربي رصدت أمورًا عديدة، لم تكن دائمًا حاسمة.

دائما هناك شيء ما غامض يثير كثيرًا من المشكلات ثم يختفي... هل هو طيف؟

كائن غير معروف من سكان الأرض الخفيين؟

طاقة نفسية محتجزة في المكان؟

صدى القدماء؟

زوار من خارج الأرض؟

هناك ألف تفسير وتفسير.

ولكن الأشباح بتعريفهم الشائع، لم يكونوا من ضمنهم؟

أنا أؤمن بالقوة النفسية، وذاكرة الأماكن، وأن بعض الأماكن مختلفة عن غيرها، وتوحي بوجود أكثر مما يظن البعض، نظرًا لتفاعلها

مع أحداث عنيفة أو صادمة، في لحظات فارقة...

دائمًا هناك شيء غامض...

شيء غير مفهوم...

ولكنه هناك.

وأعتقد أن وجودي هنا الآن خبرة عظيمة، قد أحصل منها على دليل حاسم على وجود تلك الأبواب أو البوابات التي تربطنا بهذا العالم أو العوالم الأخرى، وتفسير مختلف لقصة الأشباح.

لذلك، ودون تأخير أو تردد أنهيت إجراءات الدفع عبر شبكة مدفوعات مؤمنة لا يمكن تتبعها، ولم يبق أمامي إلا الانتظار، ليصدمني صوت «نهى» المستنكر، وهي تقول:

- هل ستدفع هذا المبلغ الكبير لتزور بيتًا مسكونًا؟

أجبتها مندهشًا:

- أما زلت هنا؟

أجابت بطريقتها العفوية السريعة:

- بلى، أنا ما زلت هنا، أنت لم تُنهِ توقيع كل الأوراق بعد ولم تجب سؤالي!

شيء ما في ملامحها أو طريقتها يستفزني، ويثير غضبي منها، دون أن يدفعني للقيام بأي رد فعل؛ ربما لأنها مساعدة محترفة، وماهرة جدًّا في عملها كمهندسة، ولا تعرف العواطف في العمل، كما أنها تتعامل بعفوية شديدة، وصراحة قاتلة، ربما لهذا تقوم بالشق التنفيذي، ولا يدفع بها «مازن» للتعاقد على الصفقات التي تحتاج لكثير من المرونة والدهاء والمكر؛ لأنها قد تقوم بإفساد هذه الصفقات لو اكتشفت أن الطرف الآخر يحاول أن يراوغ أو يحصل على ما ليس من حقه.

وربما لو كنت أقيِّم البشر بظاهرهم لطردتها من اليوم الأول؛ لأن شخصيتها مستفزة إلى حد كبير...

صحيح أنها تحمل لي كثيرًا من الاحترام والهيبة، ولكن هذا لا يمنعها من الثرثرة والجدال والإصرار على إيصال وجهة نظرها ما دامت تؤمن من أعماقها أنها صحيحة، وأنها للصالح العام.

ولذلك قمت بتوقيع بعض من الأوراق والشيكات وكشوف المكافآت، وأخبرتها أن تترك ما تبقى، وسأدرسهم في وقت لاحق، لتضع يدها في وسطها وتقول في استنكار وجدية:

- لقد حذرني مستر «مازن» من أن ظهور هذه الصناديق سيعطل سير العمل، ويخرب هذه الشركة. من فضلك يا مستر «محمود» هذه الأوراق لا بد أن تبت فيها الآن.

مئات من الأفكار الدموية مرت في ذهني وأنا أتأمل وقفتها الغربية، ولكن ما أدهشني أنا شخصيًّا هو رد فعلي، عندما تناولت ما تبقى من الأوراق، وقرأتها في عجالة، ووقعت ما يحتاج إلى توقيع وعلمت على ما يحتاج إلى تعديل.

وكتلميذ نجيب ناولتها الملفات والأوراق، لتظل على وقفتها المستفزة المتحفزة، تنتظر مني أن أجيب عن سؤالها، وقد بدأت تهز ساقها اليمنى في توتر، لأقول في نفاد صبر:

- السؤل لا يحتاج لإجابة يا باشمهندسة، كما أنه لا يخصك.. لقد دفعت وانتهى الأمر.

رمقتني بنظرة غاضبة، لم تنظر بها أم لطفلها الذي أضاع مصروف الشهر، وقالت في حنق ممتزج بالغيظ:

- سبعة آلاف دولار يا مستر «محمود»؟! ما هذا الجبروت؟! لو أخبرتني منذ البداية أنك ترغب في دخول منزل مهجور، لذهبت بك إليه مجانًا، إن عائلتي تمتلك واحدًا، سيبهجك ما بداخله من فئران وعناكب وغبار

رمقتها في ذهول، غير مصدق ما تقول المنطق الأمومي المقيت نفسه.. إنها ترى أنني أهدرت نقودي على أمر أحمق، لم يكن ليكلفني إلا ثمن بنزين السيارة لو استعنت بها، وربما من أعماقها تفكر في عقاب ما؛ لذا فإنني قلت في حسم، لأنهي هذه المحادثة السخيفة:

- ربما في وقت لاحق.

كان من الواضح أن لديها حالة عصبية ما تجعل ساقها تهتز عندما تتوتر؛ لأن ساقها أصبحت تهتز بشكل أكبر، وتَّرني أنا شخصيًّا، وهي تقول في انفعال:

- أراهنك أن هذا الشخص نصاب، وأنك خسرت هذا المبلغ الفادح، وأنه لا وجود لأي أشباح، والوضع كله خدعة، مجرد وصلات خفية، وسوائل زائفة، وأصوات مفتعلة، مثلما حدث في فيلم «البيضة والحجر».

لعنت «مازن» في سري؛ على تركي مع «نهى» بكل أفكارها المستفزة، وكونه ما زال يعيش دور الحالم الذي ينهي عمله سريعًا، ويُهرع ليلحق بزوجته التي تنتظر عودته كل ليلة، ليقدم لها فروض الولاء والطاعة.

إن كل النساء المحيطة بـ «مازن» كريهات.. مزعجات.. مستفزات.

بدءًا من «نهى»، وتلك الشمطاء «فيروز» التي تعمل في الحسابات إلى زوجته المقيتة «سيليا».

هناك شيء مريب في هذه المرأة يجبرني على كراهيتها...

شيء له رائحة كريهة، ولكن عقلي يأبى القبض عليه، وإن كان يكره تأثيره على «مازن» نفسه.

لم أتخيل يومًا أن شخصًا بشخصية «مازن» يخضع لمائة وستين سنتيمترًا من مساحيق التجميل والدهون والهرمونات الأنثوية ويتبدل حاله بهذه الطريقة...

صحيح أن عمله لم يتأثر، ولكن علاقتنا تأثرت.

وجوده كان يمنحني شعورًا بالاستقرار والأمان، ويجعلني أخوض كل مغامرة، وأنا أعلم أن ورائي ظهرًا، وشخصًا قادرًا على إصلاح دفة الأمور عندما تميل.

اللعنة على تلك الصناديق التي جعلته وزوجته يتحولان إلى هاجس لعين في رأسي واللعنة على ضيق أفقك يا «نهى» الذي أجبرني في تلك الساعة على أن أقول في تحدٍّ:

- وماذا لو كان صادقًا، ولم يكن نصابًا؟

انتقل التوتر من ساقها إلى يدها المتعرِّقة، وهي تقول في جدية:

- لو كان صادقًا فاخصم لي عشرة أيام من راتبي.

قلت في عناد:

- بل شهرًا كاملًا.

ظهر على وجهها ملامح تفكير عميق، كأن آلة المكسب والخسارة الموجودة في رأسها عادت إلى العمل، ثم قالت بجدية:

- حسنًا، ولكن لو ثبت أن الأمر مجرد عملية نصب متقنة، فلن تنفق قرشًا واحدًا على أي صندوق جديد لمدة عام.

كان طلبها صادمًا، ولا أعتقد أنني كنت قادرًا على تنفيذه، بعد ذلك الكنز الذي ربحته من «لوكي»، ولكنني وافقتها بعد أن استفزني التحدي، وثقتي في «لوكي» التي تتكون على استحياء.

وليتني ما فعلت! إنها أسوأ رفيق يمكن أن يصحبك إلى مكان مماثل، بثرثرتها، وطريقتها الهستيرية، التي بلغت حدها الأقصى، عندما وقع ضوء المصباح، على أسرة متجمعة من الفئران، تلتهم شيئًا ما لا يظهر بوضوح.

صرخاتها الهستيرية القادرة على إيقاظ الموتى في قبورهم لو استمرت أكثر، فإن الفضيحة التي كانت تخشى حدوثها، ستحدث حتمًا.

ولا أعرف ماذا سيكون رد فعل هذه الحمقاء، لو رأينا شبحًا ما الذي حدث لعقلي لأقبل هذا الرهان، وأعرض نفسي معها الموقف لا يمكن تفسيره؟ صحيح أن المنزل في مكان منعزل، ولم يعترض أحدٌ طريقنا أثناء قدومنا أو دخولنا إليه، ولكننا ما زلنا أمام فوهة المدفع، والليلة ما زالت في أولها.

ليتني ما فتحت هذا الصندوق، ولا حصلت على هذا العنوان ولا خطت أقدامي إلى هذا البيت اللعين الذي يفوح بطاقة سلبية هائلة، كأنما بُنِيَ على مقبرة جماعية، أُحرقَ كل من كانوا فيها أحياءً، لتترك هذا الأثر النفسي المروع على الروح.

كتمت فم «نهى» بيدي، وقلت:

- إنها بعض الفئران، ماذا كنتِ تتوقعين أن ترَي في منزل مهجور؟

تبدلت ملامحها الجميلة على ضوء المصباح، وهي تُبعد يدي عن فمها في عصبية شديدة، وقد ظهر على وجهها ملامح

اشمئزاز في روع: شديدة، من لمسي لها، وأخذت تمسح وجهها في انفعال، وهي تهتف في روع:

- عن أي فئران لعينة تتحدث؟ ألم ترَ الشبح؟

هتفت مستنكرًا:

- أي شبح؟

أشارت نحو الركن البعيد، وهي تهمس في هلع:

- هناك فتاة باكية ترتدي زيًّا قديمًا من موضة الأربعينيات أو الخمسينات، إنها تشير لنا، ألا تراها؟! بالفعل لم أكن أرى أي شيء مما تشير إليه، فتوقعت أنها أصيبت بالصدمة، وتتوهم.

حاولت أن أسحبها من يدها، ولكنها تراجعت في هلع كي لا ألمسها مجددًا، وهي تهمس في هلع مضاعف:

- إنها تشير لنا لنتبعها، هيا بنا.

كنت أنظر إلى الظلام الدامس الذي لم يبدد ضوء المصباح رهبته في حيرة، أنا على يقين من أن هناك شيئًا، ولكنها وحدها من تراه.

من أين أتى هذا اليقين؟ لا أعرف.

هناك شيء يسكن هذا المكان، لا شك في هذا.

المكان كله يشع بطاقة رهيبة شريرة.

و «نهى» تقسم أنها ترى تلك الفتاة الباكية...

لا أعلم إن كانت حمقاء لتطيع شبحًا، أم إن الأوهام تمكنت منها؟

حاولت أن أُثنيها عن عزمها دون جدوى.

هددتها! ولكنها كانت في عالم آخر.

ومن الواضح أنها ستتبع تلك الفتاة الباكية لا محالة.

شيء قاهر يجبرها على تتبعها؛ ولذلك تبعتها مرغمًا.

رائحة الهواء المكتوم والقدم خانقة.

سِرت خلفها والانفعال يعصف بي متوقعًا أن نصعد الطابق العلوي، أو نقتحم إحدى الغرف العديدة المفعمة بخيوط العنكبوت والغبار، والأسرار، ولكنني فوجئت بها تنحرف من ممر إلى ممر عبر أروقة المنزل الضيقة، كأنها تحفظ الطريق عن ظهر قلب، أو أن هناك من يرشدها بالفعل، حتى وصلنا لبيت درج داخلي، توقفت أمامه وأشارت نحو جدار مصمت أضاءه ضوء الكشاف، وقالت:

- هنا الباب.

وقبل أن ينتهي صدى صوتها، اهتز الجدار للحظة وتموَّج الهواء من حوله، ليظهر باب خشبي بنصف حجم الجدار، مزيَّن بنقوش ورسوم عديدة، لم تظهر تفاصيلها في هذا الظلام.

كان ظهور الباب أعجب ما حدث في تلك الليلة.

شهقت من المفاجأة.

الباب الذي ذكره الإعلان، كان حقيقيًا لا مجازًا ... تقدمت من الباب أتفحصه، وأنا أقول في توتر:

- هذه نهاية مغامرتنا.. احذري أن تنجرفي وراءها، نحن لا نعرف ماذا يوجد خلف هذا الباب المخيف!

ولكن ما يحركها كان أقوى من تحذيري..

ومن الخوف ذاته.

انفتح الباب بصرير مكتوم، ومن خلفه اندفع فيض من الفئران الحبيسة، التي كانت تصرخ ابتهاجًا لتحررها.

كان الموقف مقززًا بشكل لا يمكن تخيله، خاصة أن عيون جميع الفئران كانت بيضاء، كأنها عمياء، وجلدها شفافًا يُظهر أحشاءها الداخلية، كأن هناك من نزع عنها فراءها وطبقات الجلد السميكة.

والغريب أن «نهى» لم تجفل منهم أو تطلق أي صرخات.

كان وعيها في عالم آخر، كأنما تم الاستحواذ عليها، وهذا جعل قلبي ينقبض بشدة.

اختفت الفئران، وعاد الصمت الموتر للأعصاب ليبسط سيطرته على المكان. نظرت نحو الباب الذي بدا كفم الموت الفاغر، وقد تصاعدت بأعماقي رغبة عارمة في الفرار لم أفصح عنها، فلن أترك تلك المسكينة لتواجه كل هذا وحدها.

كانت أمامي، وفي اللحظة التالية، وجدتها تعبر الباب.

هناك درج هابط متصدع...

وجهت المصباح نحو الدرج المغطى بطبقة ثقيلة من الأوساخ، ومخلفات الفئران بشكل يؤكد أن أحدًا لم يطَأه منذ سنوات، وبدأت في الهبوط خلفها.

والغريب أنني كلما تجاوزت درجة هابطًا، ازدادت درجة البرودة بشكل غريب، وغير منطقي؛ فبعد عدة درجات، بدأ جسدي

يرتجف، وقد تزايدت البرودة من حوله بشكل لا يمكن تخيله، وكأننا انتقلنا فجأة إلى القطب الجنوبي.

أمسكتها من كتفها، وقلت في اضطراب:

- مهما كان ما ترينه فلا يجب علينا أن نغامر لهذه الدرجة، إننا هكذا نهبط لحتفنا، لن يستطيع أحدٌ نجدتنا هنا.

لم تنفل للمستي أو تنظر نحوي، وواصلت الهبوط، وهي تقول بلهجة قاطعة:

- سنهبط!

صرخت فيها، وأنا أشعر بقلبي يكاد يثب من حلقي، بعد أن سمعت الحركة الدائبة القادمة من أسفل:

- يكفي يا «نهى»، الأمر يصبح خطيرًا، إننا بالفعل لسنا وحدنا.

ردت في لوعة:

- إنها تعاني، لا بد أن نساعدها، جميعهم يعانون...

صوتها المضطرب زاد من هلعي، ودفعني لأندفع نحوها، وأوقف هبوطها على هذا الدرج الطويل، وأنا أصرخ:

- إنها أوهام في رأسك فقط.

وفجأة شعرت بقوة خفية تدفعني، وتحررها من يدي، لتندفع الأسفل صارخة:

- أقسم لك إنني أراها، إنها بحاجة لكل عون.

نهضت من فوق الدرج، واندفعت خلفها، وجسدي يرتجف من البرد، وأنا أصيح:

- حسنًا.. لننسَ كل شيء عن الرهان اللعين ونغادر هذا الجحيم، وأقسم لك إنني لن أخصم منك قرشًا واحدًا، بل سأمنحك مكافأة كبرى.. فقط لنغادر.

هزت رأسها كأنها تتنازعها الأفكار، ثم توقفت واستدارت نحوي..

كان ضوء المصباح يمنحها سمتًا مرعبًا، وهي تقول في مرارة:

- أنت لا تعرف مقدار معاناتها، لقد مر عليها في هذا الجحيم سنون لا حصر لها.

قالتها، واندفعت تهبط الدرج، وأنا خلفها، حتى انتهى تحت أقدامنا بغتة...

البرودة هنا كانت شنيعة على عكس المفترض من أن الهبوط إلى باطن الأرض يرفع درجة الحرارة، ونحن كنا على عمق يوازي ثلاثة طوابق.

النفس نفسه يتجمد هنا.

كان الظلام دامسًا، كأن المكان لم يعرف الضياء قط.

ضوء المصباح يشقه بصعوبة، ويعجز تمامًا عن تبديد وحشة المكان، أو إظهار ما خفي عني.

أو ربما أنا وحدي الأعمى هنا كالفئران.

صوت ألف جسد يتحرك من حولي، أنفاس لاهثة، أنين، كل شيء يوحي بحضور كثيف، ولكني عاجز عن حصره أو معرفة ما يدور حولي.

وفجأة، تردد في أذني صوت لا يشبه صوت «نهى»، قائلًا:

- ما يولد في الظلام لا يُرى إلا في الظلام، أطفئ المصباح وقد ترى.

كان الصوت مغريًا..

ولن أنكر لو قلت مريحًا؛ ولذلك وبلا أي تردد أطفأت الكشاف على الرغم من عدم منطقية الكلام.

لأسمع همسًا مروعًا، أم هي صرخات مكتومة؟ وتضاعف البرد فجأة، وشعرت بحضور طاغٍ... حضور مهلِك، يمتص من أعماقي كل المشاعر الإيجابية، ويستبدل بها خوفا لا حدود له...

خوفًا عاتيًا يتملكني...

فزعًا بلا حدود ينهش في أحشائي.

أصرخ طلبًا للرحمة...

أبكي..

أتضرع.

إحساس مدمر بأنني في حضرة الخوف نفسه.

الظلام، يحيط بي، فأصرخ بـ «نهى»:

- لا تدعيه يستحوذ على روحي، إنني أتمزق، ساعديني..

«نهى» تصرخ في جزع:

- إنه يعذبها.. بل يعذبهم جميعًا.. إنه وحش سادي لا يرحم... إنهم يتألمون.. لن نستطيع مساعدتها أو مساعدتهم.

أصرخ والرعب يسحق كل ذرة من روحي، وقد بدأ اللعاب يسيل من فمي ليتجمد خارجه، وقلبي يكاد يحترق من هول نبضاته لأقول في ضراعة:

- ساعديني أولًا.

أصوات هادرة، موحشة، ترجُّ المكان، وتزلزلني من أعماقي:

- لا تتركينا.. لا تتركينا.. لا تتركينا.

ضوء المصباح يغمر المكان فجأة، ويثير فزعي أكثر من الظلام.

لقد بدأ الظلام يسكنني، وأصبح الضوء عدوي.

وقبل أن آتي بأي رد فعل شعرت بأصابع «نهى» الرفيعة تنغرس في لحم ذراعي، وتسحبني، وهي تقول هامسة:

- علينا أن نهرب قبل أن يستحوذ على أرواحنا.. إنه شيء بشع.. آه لو رأيت وجهه.. يا إلهي.. إنه ليس من هذا العالم.. إنه مخيف.

شعرت بوهن رهيب، فلم يكن هناك أحد في الكون كله، يدري مقدار بشاعته مثلي...

إن جزءًا منه في أعماقي...

الخوف كاسح...

أنا مرتعب...

دفعتني لأتحرك، فتحركت بأقدام مرتعشة لا تقوى على حملي.

تسحبني رغما عني، وهي تقول همسًا:

- هذا ليس وقت التخاذل يا «محمود»، لنهرب بسرعة، لقد رصد وجودنا، ويكاد يصمك بعلامته، ويضمك لضحاياه.

دفع الرعب بعض الأدرينالين في عروقي لأتحرك معها دون إرادة، وببطءٍ أثار غضبها، ولكنها تحمَّلتني حتى وصلنا إلى بداية الدرج.

كانت تتصرف بطريقة غير متوقعة، وبشجاعة منقطعة النظير.

صعدنا الدرج.. ربما في مائة عام...

يبدو كأنه بلا نهاية...

أعتقد أن كتف «نهى» إن لم تكن قد خُلعت فإنها مصابة برضوض عنيفة، من اتكائي عليها...

لقد أنساها الهول فوبيا اللمس، وفجَّر بداخلها طاقات لم تكن تدرك وجودها، ولكنها أنقذتنا.

وأخيرًا، وصلنا إلى الباب، فدفعتني لأخرج من خلاله، وقبل أن تغلقه خلفنا، نظرت إلى الفراغ، وقالت في انهزام:

- سامحني.

ثم بروح كسيرة سحبتني عبر أروقة المنزل الضيقة، وخرجنا من المنزل المشؤوم، وأنا أمسح الدماء عن أنفي الذي ينزف في غزارة، ليتلاشى جزء كبير من خوفي، ومن البرد الذي سكن كِياني قبل عظامي، لأقول في دهشة وأنا أتناول المنديل الذي أخرجته من حقيبتها التي لم تتخلَّ عنها لحظة:

- ما الذي حدث هناك؟

أجابت «نهى» باقتضاب:

- بل ما الذي يحدث هناك، ومستمر منذ مئات السنين؟ إن هذا البيت نافذة على الجحيم.

قالتها، ثم قادتني نحو السيارة، وبدون أي كلمة إضافية احتلت مقعد السائق وانطلقت بالسيارة.

لمحت المنزل في مرآة السيارة الأمامية، وخُيل إليَّ أن هناك شيئًا يتحرك أمام بوابته...

ثم بغتةً ظهرت أمام البوابة فتاة تبكي بحرقة..

أعتقد أنها هي الفتاة الباكية التي تحدثت عنها «نهى»!

استدرت لأنظر لها عبر زجاج السيارة الخلفي، فلمحت ما يشبه ذراعًا أخطبوطيه سوداء، تلتف حولها وتعيدها إلى داخل المنزل..

شعرت بصدمة رهيبة، ونظرت نحو «نهى» التي قالت في أسىً:

- الجحيم ليس واحدًا فقط..

عدت أرمق المرأة، فلم أرَ غير البيت الصامت...

كانت تجربة نفسية مروعة، أثبتت فيها «نهى» شجاعة منقطعة النظير، وكنت أنا بلا حول ولا قوة، رغم كتل العضلات التي أنميها، وكل ما أمتلكه من معارف وخبرات.

وطوال الطريق، ظل السؤال يتردد في عقلي:

- تُرى ما الذي حدث في هذا المنزل بالفعل، وأي هول يسكن في أعماقه؟ أنا لم أرَ ما رأته «نهى»، ولكن أحسست بحضور ذلك الشيء المروع، الذي كانت الأشباح أو الأرواح، تحاول الهرب منه.

الشيء الذي يعذبهم، ويبكيهم.

هذا البيت مسكون فعلًا...

مسكون بشيء أكثر إفزاعًا من الأشباح والقوى النفسية، والخوف والأوهام..

شيء رأته «نهى»..

وحمدت الله أني عميت عنه ...

فأحيانًا يفعل الجاهل ما يعجز عن عمله العارف.

@ART_OF_BOOK

لوح اللعنة

مرت ثلاثة أسابيع على الهول الذي عاصرته برفقة «نهى» في ذلك البيت المشؤوم، الذي يستحوذ عليه ذلك الشر الرهيب المجهول، ويحتجز بداخله الأشباح أو الأرواح أو البشر أنفسهم الذين اختطفهم من البلدة المنكوبة - فلم أرَ بعيني من يعمد ذلك الشر - إلى تعذيبهم دون هوادة طوال هذه الأعوام.

كانت تجربة مريعة، اختتمتها بتلك الفتاة الباكية - التي لا أعرف هل أكرهها أم أتعاطف معها - التي راحت تطاردني في أحلامي حتى أحالت حياتي إلى جحيم، إلى أن تخطيت أثر هذه التجربة النفسية المروعة بصعوبة، بمساعدة طبيبي النفسي العتيد دكتور «عدنان».

وإن لم أتخطَّ قَط فكرة أن يهزمني مكان، أو قاطنه القادم من أعماق الجحيم ليعيث في الأرض فسادًا. كما سيطرت عليَّ بشكل كاسح فكرة أنه باغتني حينما لم أكن مستعدًّا، لدرجة أني قررت أن أوازن الكفتين، ونلتقي مرة أخرى.

لقد بات الأمر شخصيًّا الآن.

لذا فإنني قُدت حملة من رجالي المحاولة كشف سر البيت الغامض، والسعي لتحرير هؤلاء المساكين الذين يتعذبون منذ أجيال، بعد أن عبروا ذلك الباب الخفي الذي يقود إلى جحيم باطن الأرض.

لا تتخيلوا منظري بعد أن قدت سيارتي، يتبعني خمس سيارات دفع رباعي ذات نوافذ معتمة، مليئة بالرجال المدربين والمسلحين بأسلحة تكفي للقيام بحرب صغيرة، متوجهين صوب تلك البلدة الريفية الموجودة على مشارف القاهرة، وقد

هُيئوا نفسيًّا لمواجهة عدو من عالم آخر، يسكن بيتًا مهجورًا، وكيف أثاروا ذعر الفلاحين الذين ظنوهم حملة أمنية مكبرة من أمن الدولة.

وكيف قطعنا الطريق وأنا أواصل مرارًا وتكرارًا، التأكيد على قادتهم من الحذر.

والصدمة الكبرى عندما وصلنا إلى الموقع نفسه الذي كان يقع فيه البيت المشؤوم الهائل الحجم، بممراته ورائحته الخانقة، وبابه الخفي ولم يكن له أي أثر هناك هو أو أطلاله أو أشباحه...

أي أثر.

كأنني مجرد واهم أو أحمق.. أو أن من في البيت ما زال يمارس ألاعيبه.

وقفت وسط الطريق الترابي أتأمل الفراغ الذي خلفه البيت في ذهول، ثم تلفَّتُّ حولي لأقارن تفاصيل المكان بما في ذاكرتي لعلني أخطأت الطريق، وتلك الأماكن الريفية تتشابه.

ومع الأسف كان كل شيء كما أذكره تمامًا؛ أعمدة الضغط العالي التي تخترق الحقول شجرة التوت الغليظة التي ركنت أسفلها السيارة، الطريق المترب غير الممهد الذي قطعته بصحبة «نهى»، الأراضي الزراعية التي غصَّت حتى مدى البصر بصفوف الذرة الخضراء التي لم تجف على أعوادها بعد.

كل شيء كما أذكره.

فقط البيت لم يكن هناك.

اقترح أحد المخضرمين من رجالي، أن ننتظر بعض الوقت، لأن ديدن كل هذه الأشياء المريبة، ألا تحدث إلا بعد الغروب، والبيت قد لا يظهر إلا ليلًا.

فأخبرته أني رأيته بنفسي، والضوء يغمر المكان، وقبل أن يقتل الليل النهار، ويسحب عليه رداء الظلام، فهز رأسه وانصرف.

لقد اعتاد رجالي على هذا الجنون في كل مغامراتي؛ ولذلك لم يكذبني أحدهم أو يجادل، بل انتقلوا إلى المرحلة التالية، مستخدمين بعض أجهزة فحص التربة وكشف المعادن، وأجهزة الترددات فوق الصوتية، ليمسحوا مسطح المكان الذي كان من الواضح أنه أصبح أرضًا بورًا لا زرع فيها على الرغم مما يحده من حقول من كل الاتجاهات.

قراءات الأجهزة أكدت صدق ادعائي عندما أظهرت أساسات المنزل المطمورة، وأساسات السور المحيط به، دون أن تدلهم إلى نفق مدفون أو باب يقود إلى جحيم سفلي، ليقفوا مثلي عاجزين منتظرين أن أخبرهم بالخطوة التالية.

كنت في حيرة من أمري فلم أجد أمامي إلا أن أطلب منهم أن يستخدموا الطرق العتيقة، ويبدأوا بالاستقصاء والتحري لمعرفة أي معلومة عن هذا البيت الرهيب.

وبلا تأخير توجَّه رجالي المهيبون، لسؤال الفلاحين المرتابين الذين بدأوا بالتجمهر عند مدخل الطريق الفرعي، وبخبرتهم وحُنكتهم بدَّدوا رهبتهم ومخاوفهم، بعد أن أقنعوهم برغم طبيعتهم المتشككة أننا من هيئة الآثار والمساحة، ونُجري مسحًا شاملًا للمنطقة؛ لاحتمال وجود مقبرة فرعونية أظهرتها الأقمار الصناعية.

كنت أعلم أن الكذبة تتوسع وتتشبع، وتلتهم كل الصدق في طريقها، ولكن هكذا أفضل. كلما زاد حجم الكذبة، كانت قابلة للتصديق أكثر، وأسالوا جوزيف «جوبلز وزير» الدعاية للحزب الألماني النازي القديم.

وعلى الرغم من نشاطي ونشاط رجالي بين الفلاحين مر الوقت ثقيلًا، وتسلل الإحباط إلى روحي كالسم. لقد توقعت مواجهة مباشرة مع ذلك الشر الكامن أسفل المنزل، سيتصدى لها رجالي بقاذفات اللهب التي لم تعجز عن دحر شر من قبل، وتأتي بعدها الجرَّافات العملاقة من أقرب فروع شركاتي لتسويه بالأرض، وينتهي خطره وأسطورته إلى الأبد.

ولكنني تلقيت الهزيمة الثانية.

الهزيمة المُرة..

لقد فر البيت.

لا أعرف هل هو تعبير أدبي صحيح أم لا، ولكنه يعبر عما حدث تمامًا!

فر البيت، وعدت أنا إلى نقطة الصفر خاليَ الوفاض.

أثار إحباطي نشاط رجالي أكثر، فبدأوا بالضغط على الفلاحين، ورشوة بعضهم، وأخيرًا وبعد إلحاح أخبرَنا بعض العجائز، أنهم لم يسمعوا من قبل عن وجود أي مقابر للفراعنة في بلدتهم أو على حدودها، ولم يكن هناك قَط أي نشاط تنقيبي في هذا المكان أو البلدة كلها في أي وقت من الأوقات، ولو حدث لم يكن ليمر هكذا مرور الكرام دون أن يعلموا به، فالبلدة جميعها تعرف بعضها، ويمكنهم رصد الغرباء بسهولة، كما حدث معنا.

فقط في الموقع نفسه الذي ندعي فيه وجود المقبرة، وقبل سبعين عامًا، كان هناك ذلك البيت المهجور ذو السور المرتفع الذي كانت توجد في محيطه «النداهة»، التي استمرت فترة طويلة تغوي أهالي البلدة البسطاء الذين يقعون في طريقها، وتسحبهم إلى داخله، سواء كانوا رجالًا أو نساءً أو أطفالًا، ولا يراهم أحد بعدها.

وعندما شرعوا في وصف شكل ذلك البيت، وجدته يتطابق تمامًا مع وصف البيت الذي دخلته بصحبة «نهى»، وعاصرت فيه ذلك الهول.

كما أن هيئة النداهة، وملابسها وبكاءها، كان يتطابق بشكل مذهل مع تلك الفتاة الباكية التي خدعتنا لنعبر الباب خلفها، والتي رأيت ذلك الشيء الرهيب يسحبها إلى داخل البيت.

وبالطبع لم يذكر أحدهم أي شيء عن الشر القابع في الأعماق؛ لأن كل معلوماتهم كانت تقتصر على الفتاة الباكية التي تحولت في وجدانهم الجمعي إلى «النداهة»، ولأن كل من خاض التجربة لم يعد منها، ليخبر عن الهول الكامن أسفل البيت والذي يفوق نداهتهم. ضراوةً.

وعندما سألت أكبرهم عن مصير البيت، أخبرني أنهم حاولوا إحراقه لعدد لا يحصى من المرات بعد تفاقم الأمر في حضور العمدة -وشيخ البلد والمأمور، ولكن النار لم تكن تشتعل بداخله قط، لدرجة ال أنهم - أستغفر الله العظيم - استعانوا بالعديد من السحرة والدجالين -الذين عجزوا جميعًا عن إحراقه أو إنهاء لعنته.

فتوقفوا في النهاية عن المحاولة، ونشروا عنه كثيرًا من الأساطير والتحذيرات، ولكن الناس دائمًا تنسى والفضول يسوق الكثيرين

إلى حتفهم، حتى أتى مدد السماء، بدعوات أهل البلدة وصلواتهم.

وفي النهاية، وفي اليوم الذي دفنوا فيه الحاج «أحمد» آخر ضحايا البيت، والذي شوَّهه الشر الذي يسكنه، وألقى جثته الممزقة بقلب الزراعات؛ أحرق البيتَ برقٌ صاعق متواصل دامَ طوال الليل، لم يرَوا لضراوته مثيلًا، أحال البيت وكل ما حوله إلى ركام ورماد.

وبفحص الركام والرماد، مرة واثنتين وثلاثًا وألفًا، لم يكن هناك أي أثر لجثث متفحة أو عظام أو أسنان.

ولم يستطع أحد بعدها أن يعثر على أصحاب الصرخات الشنيعة التي كانت تخرج من البيت طوال فترة قصفه، والذين كانوا يحسبوهم أهل البلدة المختطفين.

كان الصرخات كانت أوهامًا.

ولكن الجميع أقسموا في حينها أنهم سمعوها، وزلزلتهم من الأعماق.

وعندما سألت عن اسم صاحب البيت لم يعرف معظمهم،

ولكن عجوزًا كبيرًا اقترب من الأبدية، قال إن صاحب المنزل وزمام الأرض المحيط به كان هو نفسه آخر ضحايا البيت، وقد عاد بعد غياب سنوات ليموت على يد السر الساكن بداخله، إنه الحاج «أحمد المنوفي».

وكانت هذه هي الصدمة الكبرى، الأكبر من اختفاء البيت ذاته، وكل الأحداث التي عاصرتها فيه.

تلك الأحداث التي تشير بكامل أصابعها، إلى تورط عائلتنا أو فرد منها في أمور شيطانية مروعة نال عنها جزاءه، وإن كان ما حدث لا يدل على انتهائها.

المخيف في الأمر، أن ما يقودني إليها، هي صناديق «لوكي»، التي أصبحتُ لا أراها مصادفة بأي حال من الأحوال! هناك علامات استفهام كبيرة أصبحت تحيط بـ«لوكي» هذا؛ الذي يبدو كأنه يرغب في أن يرسل لي رسالة لم أقرأ بعدُ حروفها الأولى.

أعتقد أن رجالي عادوا إلى بيوتهم سعداء بما لم ينجزوه، بعد أن رأوا كثيرًا من الجنون في مغامراتي السابقة، وخرج بعضهم بسببها مصابين بإصابات خطيرة، أو في أكفان بلاستيكية سوداء.

ووحدي من عاد من هذه المغامرة الفاشلة، بكثير من الهواجس والمخاوف والألغاز.

على كل حال، كانت تجربة المنزل المسكون من أسوأ تجارب حياتي..

تجربة لا أتمنى تكرارها، فأثرها على روحي كان مروعًا، وأورثتني أبشع إحساس بالعجز يمكن أن يصيب شخصًا في الوجود، وكل ما نتج عنها كان محفوفًا بالموت والغموض، وأثبتت لي أنني برغم ان غروري، وكل ما أملك من معارف وثروات ومقتنيات، لا شيء.

وأن فتاة لا حول لها ولا قوة، كانت أشد مني ثباتًا، وأعظم مني شجاعة، وأسرع مني بديهة في التعاطي مع الخطر، واتخاذ القرارات وأن ما أعرفه عن نفسي، وعن عائلتي، وعن هذه العوالم الغامضة، أقل بكثير مما أظن.

بل بتُّ أرجح أن تعلقي بها، لم يكن تراكميًا أو وليد قراءاتي أو خبراتي الشخصية كما كنت أظن، بل له جذور وراثية، وكأنه زُرع في الجينات.

إلى هنا انتهت هذه التجربة الشنيعة.

والغريب أنني و«نهى» لم نأتِ على ذكرها قط، وكأننا قررنا معًا أن نطوي هذه الصفحة من حياتنا إلى الأبد.

ولكن الأكيد أن «نهى» التي دخلت المنزل المسكون، غير «نهى» التي خرجت منه.

وبطبيعة الحال كان هذا هو شعوري أيضًا.

وإن أشعلت الألغاز التي بدأت تحيط بعائلتي وتلك الصناديق المريبة شغفي لاستجلاء حقيقة الهدف وراء كل هذه الأمور الغامضة، بل شجعتني لأفتح صندوق «سيزر» الثالث، الذي تم التنويه على موقعه الأسود، بأن به وسيلة اتصال مباشرة بالعالم الآخر، يمكن لو أتقنت استعمالها، أن أفهم ما حدث في ذلك المنزل المشؤوم، أو أجلى ما يحيط من ضباب عن تاريخ أسرق أو هذا ما آمُل.

ولكن هذا لم يحدث سريعًا؛ لأنني في هذه الفترة المشحونة، كنت أقضي جل وقتي في شركة المقاولات التابعة لمجموعتي الاقتصادية، من أجل مشروع حكومي عملاق، يُعدَ واحدًا من أكبر المشاريع التي تسعى للاستحواذ عليها في هذا القطاع، ومن أجله تم رفع حالة الطوارئ في الشركة لإعداد المقايسات، والتصاميم، والدراسات الفنية، وآلاف من التفاصيل الأخرى التي تثير الجنون؛ فالدقة دائمًا وأبدًا شعارنا.

لو رأيتم «مازن» و «نهى» وهم يقودان كتيبة المساعدين والمهندسين والرسامين والعمال والفنيين، الغارقين في العمل، لقلتم إنهم أشخاص آخرون غير من تحدثنا عنهم، إنهم الأساتذة في ملعبهم.

والحقيقة أني كنت أشفق عليهم من ضغط العمل، وضخامة حجم المشروع، والفترة التي عليهم إنجازه فيها، وإن دعمتهم بكل قوتي دون أن أشير لهذا؛ كي لا أثبط عزيمتهم، كما كان يفعل أبي -الذي أسير دومًا على خطاه- في المواقف المماثلة، ثم انسحبت من وسطهم بهدوء، بعد أن أنهيت دوري، ولم يعد أمامي إلا الانتظار.

ومع الوقت بدأت أشعر بالملل.

أو لنقل إن الملل كان حجتي؛ لأنه ما زال هناك عشرات التفاصيل الأخرى التي أحتاج لمراجعتها، ومثلها من التقارير التي أحتاج لقراءتها، وغيرها من الأمور التي تتدفق إلى مكتبي من شركاتي التي تحتاج للبت في شأنها. مختلف فروع شركاتي التي تحتاج للبتِّ في شأنها.

والملل -لقد اتفقنا - هو ما دفعني لأن أصطحب معي صندوق «سيزر» الثالث إلى مكتبي في مقر شركة المقاولات الذي يعمل فيه المئات كخلية نحل، مع علمي التام بأنه قد يتسبب فى مشكلة كبيرة مع «مازن»، الذي أصبح رافضًا بشدة لفكرة هذه الصناديق بعد أن كادت تتسبب في هلاكه هو وزوجته في «سيريلانكا»

كما أن فكرة رجل الأعمال الدجال هذه، التي بدأت تروج عني في كل الأوساط، قد تضر بأسهمنا في البورصة، وتعود علينا وعلى المساهمين بخسائر مادية فادحة.

وهي التهمة التي كادت تلتصق بي مع «أوراق التاروت» وتهوُّري في استخدامها مع القريب والغريب، قبل أن تكتسب تلك الطاقة الملعونة، وأعيدها إلى صندوقها إلى الأبد، غير مأسوف عليها.

وعندما هدأت الأمور في مكتبي، أخبرت سكرتيرتي «تارا» أنني سأغفو قليلًا، ولا أرغب في مقاطعات، وهو أمر معتاد في الشركات الكبرى، فأحيانًا لا نغادر مقرها عند ضغط العمل لأسبوع أو أكثر حسب ما يتطلب من وقت.

إن حياة رجال الأعمال قاسية جدًّا، وليس مثل ما يدعي الحالمون. هيأت نفسي، ثم أخرجت الصندوق من حقيبتي، ووضعته أمامي على المكتب بعد أن أفرغت سطحه من كل شيء.

الآن حانت اللحظة الحاسمة.

رمقت الصندوق في حميمية، كأنني أرمق جروًا مستأنسًا، وهمست لنفسي: إنه مجرد وسيلة اتصال بالعالم الآخر؛ أي لا تأثير له على عالمنا، أو على الموظفين في المبنى.

مجرد نافذة لألتقي بمن فقدتهم.. أمي.. أبي.. أجدادي، أو استخدمه لإقناع «جوليا» بألا تعود مرة أخرى لتنفذ انتقامها.

سأفتحه دون ضجيج في مكتبي المؤمن، الذي لا يجرؤ أحد على التلصص عليه، مع حزمة الإجراءات الأمنية المشددة التي يستخدمها «مازن» في تأمينه.

وعلى ذكر «مازن»، فهو و«نهى» لن ينتهيا من أعمالهما هذه قبل أسبوع كامل في أفضل الأحوال.

أنا وسري آمنان في مكتبي تمامًا، وكل شيء كما كان يقول «مازن» تحت السيطرة.. مجرد اتصال مع العالم الآخر، وأحمل الصندوق، لأضعه في خِزانتي المحصنة ليقبع آمنًا مع رفاقه.

والواقع يؤكد أن الموتى لا يؤذون، الأحياء فقط يفعلون.

حسنًا، كل شيء مهيَّأ الآن لهذه المغامرة الغريبة، وأنا مهيَّأ لإجراء الاتصال، وهنا دوت الفكرة في عقلي: تُرى لو كان الأمر يقتصر على اتصال واحد فقط، فيمن سأتصل؟!

الأمر محير للغاية، ولأحسمه، لا بد من فتح الصندوق...

كان محتواه ثقيلًا، ربما يبلغ كيلو ونصفًا أو يزيد قليلًا. أهو نوع من الهواتف التي عفا عليها الزمن وتم طلسمتها؟ إن هذه الخردة القديمة أفضل وسائل لمثل هذه الممارسات.

أم هو مذياع له تردد معين؟ فما يفصلنا عن كل العوالم من حولنا، كما يقول العلماء، هو الوصول لترددها.

على كل حال لن أبقى حائرًا طويلًا.

سحبت نفسًا عميقًا، وأطلقته، ثم فضضت الغلاف الورقي الذي يحيط بالصندوق منتظرًا أن أرى الشعار الذي رحت أردده بلا وعي بعد أن صنع له عقلي لحنًا حماسيًّا.

وكانت الصدمة عندما لم أجد الشعار، ووجدت تحت الغلاف الورقي، غلافًا آخر مصنوعًا من الكَتان أو مادة شبيهة، عليه بعض الطلاسم والرموز الغريبة، التي رأيت بعضها في مخطوطات سابقة، وعلى دمًى ملعونة وفوق ألواح قديمة تركها السحرة القدماء خلفهم.

لست بحاجة لكثير من الذكاء لأدرك، أنه تم إحاطة الصندوق

بغلاف مطلسم لغرض من اثنين:

إما لمنع ما بداخل الصندوق من الخروج!

وإما لمنع شيء آخر من الدخول.

وكلا الاحتمالين مفزعان.

أزعجني جنوح عقلي في لجة الأفكار، وكأن رؤية هذه الطلاسم أحيا في أعماقي بعض المخاوف التي زرعها بداخلي ذلك الكيان الشرير الذي قتل جدي الأكبر في ذلك البيت المشؤوم، وكافحت لأتحرر منها في جلسات العلاج النفسي مع دكتور «عدنان».

ولأخرج من دوامة الأفكار العاصفة، رحت أردد مقولته التي طالما رددها على مسامعي: «نحن من نصنع مخاوفنا، ونحن من نستطيع وأدها».

وأخيرًا نجح الأمر، وخفتت حدة مخاوفي، وأزلت الغلاف المطلسم المحيط بالصندوق جانبًا، ليصفع كياني على الفور أكبر قدر الطاقة السلبية شعرت بها في حياتي...

طاقة شر مركَّزة، بخرت من رأسي تلك المقولة، وتحت تأثيرها، وأعادت إحياء ذلك الخوف الكاسح، الذي لم أذق مثله إلا في أعماق ذلك المنزل المسكون.

وكأنها تنبع من مصدر واحد..

مصدر شرير.

لقد ورطتني حماقتي مجددًا...

كان الأمر بسيطا جدًّا.. الغلاف المطلسم كان رسالة تحذير واضحة، وأنا تجاهلتها، وعليَّ أن أدفع الثمن.

وبكل ذعر الدنيا، انتزعت تلك الرقعة الجلدية من داخل الصندوق، ورحت أقرأ ما كُتب عليها بخط أحمر سميك له رائحة كريهة، لا أسود ككل مرة:

- حضور «بعلزبول» لا يستلزم إلا فتح الصندوق.

وكأنني أكذِّب المكتوب، ألقيت الرقعة الجلدية على طول ذراعي، ومددت يدي لأقبض على القطعة المعدنية الثقيلة التي كانت تقبع داخل الصندوق، والتي كان لها رائحة كريهة لا تطاق، وكأنها استُخرجت من مكب نفايات أو بالوعة صرف...

تجاهلت الرائحة المقززة، وتأملتها في حذر...

كانت هناك نقوش غريبة محفورة بأحرف صغيرة على جوانبها، وبالكاد يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وكان نصها:

ܫܩܘܢܬܐ ܕܫܡܝܢܐ ܒܠܙܒܘܩ ܡܚܡܘܕܐ ܒܪܝܬ

التقطت صورة واضحة للنقوش بكاميرا هاتفي الدقيقة، ورفعتها إلى مخدم «حورس» ليترجمها.

ولم يستغرق برنامج الترجمة المدعوم بالذكاء الصناعي كثيرًا من الوقت ليفك شفرتها، وأخبرني أنها عبارة باللغة الآرامية، وعند تفكيكها وجد أن:

- ܫܩܘܢܬܐ (shaqunethā) تعني لعنة.
- ܕܫܡܝܢܐ (d-shamayna) تعني الشيطان.
- ܒܠܙܒܘܩ (belzebuq) هو أسم أحد الشياطين.
- ܡܚܡܘܕܐ (Mahmoud) هو اسم شخص.
- ܒܪܝܬ (berith) تعني العهد أو الميثاق.

التقطت اسمي من بين كلمات الرسالة فشعرت بالفزع، إن «سيزر» يبلغني رسالة محددة، مفادها أنه يعلم من أنا وباقي العبارة لا تحتاج لكثير من الذكاء، فهي ببساطة تعني أنه قام بلعني. فترجمة الجملة المروعة تقول مباشرةً: «إن صاحب اللوح يدعو الشيطان «بعلزبول» للحضور، ولعن صاحب الاسم بموجب العهد».

لقد قرأت كثيرًا عن «ألواح اللعنة» هذه، و«حورس» قد ألحق بالترجمة كثيرًا من المعلومات عنها، ومختصرها أنها وسيلة شيطانية معروفة بالفعل منذ العصور القديمة، وعُثر على العديد منها في جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم، بما في ذلك مصر، وسوريا، والعراق، وفلسطين. وقد أرِّخت إلى فترات مختلفة من العصر البرونزي إلى العصر الروماني. وكانت تنتشر قديمًا في المناطق اليونانية والرومانية من 800 قبل الميلاد إلى 600 بعد الميلاد.

وقد عُثر على لوح لعنة في مقبرة مصرية من العصر البرونزي مكتوب عليه باللغة الهيروغليفية، دعوة إلى الآلهة لابعاد الأرواحالشريرة عن القبر وعلى لوح لعنة فى سوريا من العصر الحديدي مكتوب عليه باللغة الآرامية، دعوة إلى الآلهة لإيقاع الأذى بأعداء الشخص الذي صنع اللوح. كما عُثر على لوح آخر في العراق من العصر البابلي القديم، مكتوب باللغة السومرية، وفيه دعوة إلى الآلهة إلى إحداث الفيضانات والجفاف والحروب على أعداء الشخص الذي صنع اللوح. وفي فلسطين عُثر على لوح لعنة يعود للعصر الحديدي، خُط عليه باللغة العبرية، دعوة إلى الله لنشر الموت والمرض بين أعداء الشخص الذي صنع اللوح. وفي موقع بناء في مدينة رستوك شماليَّ ألمانيا، عُثر

على لوح لعنة يعود إلى القرن الخامس عشر، وهو عبارة عن لعنة موجَّهة نحو امرأة، سينفذها الشيطان «بعلزبول» بنفسه، أي اللعنة الموجهة لي نفسها، دون ذكر لأي تفاصيل أخرى.

ويُذكر أن عالم الآثار في جامعة «جرايفسفالد» الألمانية «يورج الأنسورج» عثر على لوح لعنة آخر مصنوع من الرصاص عمره 1500 عام، في إحدى المدن الفلسطينية، منقوش عليه باللغة اليونانية، دعوة للشياطين لإيذاء راقصة منافسة.

وبحسب دراسة نُشرت نشرت في مجلة «لايف ساينس» العلمية، عُثر على ألواح أخرى يبلغ عمرها 2400 عام في اليونان تطلب من آلهة العالم السفلي استهداف العديد من حراس الحانات.

إن ألواح اللعنة، كانت وما زالت وسيلة شريرة لإيذاء المستهدفين، وكان يتم إخفاؤها في أماكن يصعب أو يستحيل العثور عليها كقاع المراحيض، وهو ما يفسر رائحتها الشنيعة.

لقد أهداني «سيرز» لعنة حية...

لعنة تستدعي «بعلزبول» ملك الذباب، وأكثر الشياطين شرًّا وفسادًا، القادر على الإيذاء حتى الموت، والإصابة بالمرض، والفقر، والعار، والاستحواذ.

لقد وقعت في شر أعمالي كما يقولون.

وعندما بدأت أفكر في نوع اللعنة التي سيسلطها عليَّ ذلك الساحر الملعون، تسلل رعب مفاجئ إلى كياني، وشعرت بحرارتي ترتفع باطراد، والعرق يتفصد عن جبيني، وتحت إبطي، ومن مؤخرة عنقي، وكأن صنبورًا تالفًا منه يصب فوق رأسي صبًّا.

ودون تردد نزعت، معطفي وفككت رابطة عنقي، وألقيتها أمامي على المكتب، لأنتبه لأن الهواء أمام عيني يتموج كأنه يغلي، ولأدرك مذعورًا أن حرارتي ليست وحدها التي ترتفع، بل حرارة المكان كله، وبشكل غير طبيعي.

حتى تحول المكتب الموقد عملاق. ولم يتوقف الأمر على تلك الحرارة التي راحت ترتفع باطراد،

بل راح ذلك الصوت الوحشي يرج المكان، كأنه يصدر من كل مكان خلف الجدران، مع صوت همسات وحشية غير مفهومة، باتت تطن في المكان كسرب نحل غاضب.

لتعاودني كل مشاعر العجز والهلع التي تملكت مني في ذلك البيت المسكون. ولكن الفرق هذه المرة أنني كنت أرى بعيني الهول ذاته، لا أتعامل مع أثره فقط؛ فالمكتب راح يظلم تدريجيًا، كأن هناك من يسحب منه الضياء، ويبعثره في العدم.

والخوف أصبح شيئًا ماديًا يمكن أن ألمسه.

لم أكن أعرف ما الذي يُرتَّب له أو تُمهِّد له تلك الأحداث، لكنني أدركت أن شيئًا فظيعًا سيحدث في الدقائق القادمة. وسيطرت عليَّ فكرة واحدة: يجب أن أفرَّ من هنا!

حاولت أن أتحرك لأغادر، ولكنني لم أستطع.. مهما حاولت فقدماي لا تستجيبان، وكأنما التصقتا في الأرض بغراء قوي.

ومع كل محاولة كان الصوت الوحشي يرج المكتب من حولي بشكل أقوى والهمسات تتضاعف، وكأنهم غاضبون من محاولتي. عجز رهيب يتملكني، والظلام يهبط على المكتب وعلى روحي، والعرق مع الحرارة الشديدة يزيدني بؤسًا.

حاولت أن أصل إلى زر الذعر. الأنبه فريقي الأمني بأنني في خطر، أو إلى هاتفي لأطلب النجدة، دون جدوى.

وفي النهاية، أظلم المكتب تمامًا، ثم ارتفعت درجة الحرارة إلى مستويات غير مسبوقة، حتى شعرت بشعيرات ذراعي تحترق،

وبشرتي تجف، وبدأت تظهر من خلف حجب الظلام عشرات الظلال، ويرتفع طنين الهمسات، والصوت الوحشي الرهيب.

الظلال المشتعلة تدور من حولي كراقصات من لهب..

نوع من الطقوس الغامضة يدور في مكتبي...

إن في المكان قوة شريرة تتجاوز فهمي البشري...

قوة كاسحة، تتلاعب بالمكان وتزيد من حرارته.

الهواء شحيح، ومشحون بطاقة عالية، والمكتب أصبح كموقد ملتهب، وراح أثاثه يتهشم، وبدأت أغطيته الجلدية تحترق، ودهانات حوائطه تتساقط، وعبقت المكان مع رائحة كبريتية عالية التركيز.

زلزلني خوف شديد تقلصت له أحشائي، وراح قلبي ينبض بلا وعي: بسببه بقوة، وبدأ رأسي يدور، وكأنني سأفقد الوعي، ثم رحت أردد بلا وعي:

- ما الذي يحدث.. ما الذي يحدث؟

وبدون مقدمات اندلعت النيران في الهواء من حولي وكأنه مشبع بغاز سريع الاشتعال، وتجلت في شكل حلقات، أحاطت بي من كل جانب، مع انبثاق شرارات متطايرة كسرت حدة الظلام، وكشفت عن ذلك المخلوق الطويل القامة الذي له قرنان كبيران، وهو يتجسد من العدم وحوله غيامه من الدخان.

لقد تسبب لوح اللعنة في حضور «بعلزبول» بنفسه إلى مكتبي.

وتسببت أنا بحماقتي في عبور ذلك القاتل الجهنمي، من الجحيم إلى الأرض، لينفذ انتقام «سيزر» أو من هم خلف «سيزر»؛ فالأمر بمثل هذه الطريقة أكبر من شخص واحد.

وكأنني أخشى أن تأتي النهاية سريعة، أغمضت عيني، مبعدًا ذهني عن صوت الخطوات الثقيلة التي راحت تقترب مني، وأخذت أفكر؛ هل كانت معرفتي بوجود تلك الصناديق الملعونة صدفة أخرى، تضاف إلى تل الصدف التي تنهال على رأسي هذه الأيام؟ الآن أشعر بشعور السمكة التي ألقوا لها طعامها المفضل، ومن لهفتها لم تنتبه لسن السنارة الحاد الذي نشب في حلقها.

الأمر كان أوضح من أراه!

وتورطت فيه باحترافية عالية.

وكل ما سبق، كان يقود إلى تلك اللحظة المخيفة، التي سينفرد بي فيها «بعلزبول».

أي نهاية لعينة هذه؟

كيف يمكن أن أطلب النجدة، أو «مازن»، مع الشلل المتمكن من كل أطرافي بهذا الشكل الرهيب؟!

لا أعتقد أن أيًا من التقنيات الصوتية ستعمل، بعد أن احترقت محتويات المكتب، وحتى لو عملت فلساني هو الآخر قد شل.

وفي النهاية استسلمت لمصيري، وفتحت عيني، لأجد «بعلزبول» يخترق دائرة اللهب، ويقترب مني، وهيئته المرعبة تتجلى أمام عيني، بجسمه الوحشي الضخم، وأجنحته العملاقة

التي لا تتوقف عن الخفقان، وصوت خطواته الثقيل يرج المكان.

حاولت أن أهرب بأفكاري مرة أخرى، متسائلًا: وكيف مع كل هذه النيران، لم تعمل أنظمة الإنذار ومكافحة الحريق؟!

أما ما جمَّد الدماء في عروقي، وبخَّر كل أفكاري، فكان عينيه الحمراوين المشتعلتين بالنيران اللتين راحتا ترمقانِني بشراسة وشر.

وفي هذه اللحظة تركزت كل أفكاري في فكرة واحدة: الفرار.

فتجسُّده بهذا الشكل المروع حكمٌ مؤكد بالإعدام.

إن عهد تجسد الشياطين وظهورها بهذا الشكل المروع، قد ولَّى منذ زمن، وما يحدث معناه أنه هنا لمهمة واحدة، وهي: قتلي.

قدماي لا تزالان ملتصقتين بالأرض، وأنا محاصر بدوائر اللهب المشتعلة. أشعر بالضعف يتسلل إلى كل عضلة في جسدي، وبأنني عاجز عن مواجهة هذا الشر.

دعوت وابتهلت من أعماقي أن يكون كل هذا مجرد كابوس، وأن ينتهي.. أو أستيقظ منه.

وفي اللحظة نفسها، كأنما استُجيب لدعواتي وابتهالاتي، تجمَّد كل شيء بغتة.. وتوقفت الهمسات.. والأصوات.. وكأنه مشهد سينمائي تم إيقافه.

كان المشهد مذهلًا ومرعبًا في الوقت نفسه...

ووقف الشيطان أمامي بهيئته المروعة، تحيط به دوائر النيران الثابتة، ونظرة عينه المخدرة تشملني من أعلى إلى أسفل، وتسحب وعي.

عيناي تتشوشان وأنا أراه يلفُّ جناحيه السوداوين حول جسده المشوَّه، ثم يدور في فراغ الغرفة حول نفسه بسرعة رهيبة، ليتحول إلى عمود من الدخان...

دعوت الله أن ينصرف أو يحترق، أو يقتلني لينتهي هذا العذاب.

ولكنه انقض عليَّ، ودخل بهيئته الدخانية إلى أحشائي عبر فمي...

ومع الألم الرهيب الذي مزَّقني من الداخل..

والنيران التي أحرقت كل خلية في جسدي...

أدركت أن الشيطان استحوذ عليه.

و.... وفي اللحظة التالية، تلاشت دوائر اللهب، والهمسات، والظلام...

كل الظلام...

وسكن بأعماقي.

@ART_OF_BOOK

صندوق وهمي

كانت صدمة لا مثيل لها على الأصعدة كافة، نفسيًّا وعقليًّا وجسديًّا، فالشيطان الرجيم الذي قام «سيزر» بتضليلي لأقوم استحضاره، لم يقم بقتلي أو إيذائي مباشرة، بل استخدم قدراته الجهنمية في التبدل والتشكل لينقلب إلى كيان دخاني رهيب، اخترق أحشائي عبر فمي بقسوة، لأشعر به يتغلغل في كل خلية من خلايا جدي، كحمض حارق يُسكب على نهاياتها العصبية، ليعصف بكياني ألمًا لا يمكن أن يتحمله بشر في الوجود.

لا أعتقد أن الأمر تم عفويًّا، بل ذلك الزنيم القادم من أحقر حفر الجحيم، تعمد أن يؤلمني ويؤذيني...

إنه يحمل لي حقدًا مكينًا.

أشعر به...

وأشم رائحته...

وأخشى تبعاته...

وأخشى بعد أن صار بداخلي أن أتحول بين يديه إلى دمية عاجزة يحرك خيوطها كيف يشاء، بعد أن أفقدني كل تواصل لي مع أعضائي وأطرافي، وبت كتمثال جامد، يعجز حتى عن تحريك جفنيه، أو فتح عينه.

أن تنتظر الأسوأ.

هذا هو الإحساس الوحيد الذي سيتملكك بعد الاستحواذ على جسدك، وتتأكد من أنه لم يعد لك وحدك، وأن هناك من تسلل ليسكن تحت جلدك، ويتربص بك.

فمنذ اللحظة التي اندمج فيها هذا الشيطان البغيض في كياني، وأصبح يسري مني مسرى الدم، وأنا أنتظر تلك اللحظة المرعبة التي سيقرر فيها أن يفتك بروحي أو جسدي أو كليهما، بعد أن تلاشي ذلك الحد الواهي الفاصل بين العالمين.

لم يكن ذلك الظلام العقلي، الذي امتد زمنًا لا أحصي مداه بعد صدمة الاندماج الأولى، هو ما أخافني، بل تلك الصحوة العقلية، التي تنبهت فيها إلى أن ما اعتدت عليه لم يعد متاحًا، وأن وعي بها حولي قد انتهى، وأنني الآن -وإن كنت لا أعرف ما هو الآن حقًّا- محتجز داخل عقلي مع أخبث شياطين العالم، لأصبح بالنسبة إلى كل من أهتم لأمرهم، مصدر خطر عظيمًا، لا يدرون عنه شيئًا..

قنبلة موقوتة تستعد للانفجار في غفلة من الجميع.

لم أفكر قَط، ولا حتى في أسوأ كوابيسي، أن أكون في مثل هذا الموقف المعقد، غير قادر على المقاومة أو طلب النجدة، أو الحركة، أو تحذير من أهتم بأمرهم.

إنني واعٍ بشكل ما أشعر بالنواقل العصبية، وهي تتبادل الإشارات، وبالمخ وهو يترجمها لأوامر لتقوم أجهزة الجسم بمهامها المختلفة، والسيالات العصبية، وهي تتدفق بين الخلايا الرمادية، لقد أصبحت متواصلًا مع عالمي الداخلي، وفقدت كل اتصال مع الخارجي.

الوقت نفسه تجمَّد.

تخيل أن تظل منتظرًا، وحيدًا، في مكان بارد مظلم، وأنت تعلم أن انتظارك لن ينتهي.

وهو إحساس شديد البشاعة؛ لأنني بت على يقين بأنه لن يأتي أحد، لبرجً الساعة لتعود عقاربها للدوران، وأنني سأعيش لحظة العجز الحالية إلى الأبد.

هل تتساءل عن إرادتي؟

والاجابة أنها تبخرت كما تبخرت أي رغبة في الفعل؛ فذلك الوغد يقيدني بخيوط خفية متينة لا أستطيع الفكاك منها.

أنا الآن في موقع المشاهد، أرى فقط ما يعرض أمامي دون أي قدرة على تغيره أو تبديله أو التفاعل معه...

الزمن يساوي صفرًا.

الإرادة صفر.

كل شيء صفر كبير.

إنه الاستحواذ في أبشع صوره...

لقد صرت أنا نفسي «لوح اللعنة» القادم.

الآن بت أعلم إحساس المحكوم عليه بالسجن مدى الحياة في زنزانة فردية، ولماذا يصاب في مرحلة ما بالجنون! لقد استنفد كل رصيد الأمل، وخسر كل شيء، ولم يعد لديه مساحة يتحرك فيها إلا تلك الجدران الأربعة التي لم أجدها هنا فى ذلك الصندوق العقلي المحكم الذي يحيط به الظلام.

ولن أخفى عليكم سرًا، أن ذلك الانتظار السرمدي الطويل عذاب مقيم...

هشَّم إرادتي..

ومزَّق ثباتي..

وجعلني مستعدًّا للتعاون مع هذا الشيطان الزنيم.

وليس هذا فقط...

بل لأن أطيعه وأصير عبده...

إنني أوهن من خيط عنكبوت وحيد، وأعتقد أن هذا ما كان سيحدث حتمًا، لو طال الأمر فترة أكبر، لولا أن عادت لي حاسة السمع بغتة. وبداخل صندوقي العقلي المظلم تردَّد صوت الطبيب مخاطبًا «مازن»، ومن أتى بصحبته، قائلًا:

- مستر «محمود» واقع في غيبوبة عميقة (Deep Coma)، ولا يوجد أي استجابة منه لأي محفزات خارجية، سواء كانت سمعية أو بصرية أو ألمية.

ليسأله «مازن» في إحباط:

- حسنًا، ما الخطوة التالية؟

ليجيب الطبيب بسرعة، كأنه أعد الجواب مسبقًا:

- الفحص الظاهري والمتعمق لم يُظهر أدنى علامة من علامات الوعي أو الاستجابة، وهذا سيتطلب منا استخدام وسائل ثورية، كأن نقوم بحقنه ببعض المحفزات العقلية التجريبية وهذا بالطبع سيتطلب موافقتكم الخطية أولًا.

قرع صوت نسائي رفيع كريه، جرس إنذار كبير في ذهني، وهو يقول في صرامة:

- أعتبر هذه الموافقة الخطية في حوزتك، وأخبرنا بـ «ثم»!

هز الطبيب رأسه بحركة لا إرادية، وقال بتوتر:

- لقد قمنا بالفعل بكل ما نستطيع القيام به لنحافظ على نشاط المخ وخلاياه من الضمور، وبعد فشل الوسائل التقليدية في إمداد خلايا المخ بما يحتاجه من أكسجين، قام التقنيون ببراعة ببرمجة جهاز تنفس خاصًّا، ليعمل بشكل غير تقليدي بدرجة ضغط خاصة؛ لأن هناك شيئًا مجهولًا يعوق تدفق الأكسجين إلى المخ بشكل طبيعي، على الرغم من أن كل خلايا الدماغ سليمة.

كما استبدلنا بسريره سريرًا آخر متطورًا به آلية حركية تبادلية لتفادي قرح الفراش؛ لأن الموضوع قد يمتد أشهرًا أو سنوات.

ونأتي هنا لـ «ثم» في حالة فشل المحفزات التي سيُحقَن بها، على مدار ثلاثة أيام، سنضطر إلى استخدم نظام تجريبي قريب من نظام Brain Gate الذي طوَّرته شركة yberkinetics الأمريكية، والذي عن طريقه ستُزرَع شريحة إلكترونية في دماغ مستر «محمود»، لمراقبة نشاط المخ، ويمكن عن طريقها أن يتحكم في الأجهزة الخارجية، مثل الكمبيوتر أو الكرسي المتحرك، لو تسببت الغيبوبة في أكثر من الضرر الدماغي.

ولكن الجديد هنا أنه ستُوصَّل مبدئيًّا بشكل خارجي دون حاجة إلى زرع، باستخدام تقنية التبادل الكهربي، ثم دراسة جدواها. وفي حالة عدم الاستجابة للبرنامج العلاجي، قد نُضطر لزراعتها في القشرة الحركية للدماغ مباشرة، ولكنه كلام سابق لأوانه.

بدأ الضيق في صوت المرأة الرفيع، التي بدأت أستجمع صورتها من أعماق الذاكرة المشوشة، وهي تقول:

- هل كل شيء لديكم هنا تجريبي؟ ألا يوجد شيء حاسم؟

لم أركز في رد الطبيب، وأنا أحاول أن أقوم بأي رد فعل ينبههم إلى يقظتي، وينهي من تفكير هذا الطبيب المتحمس فكرة العبث في مخي، أو وضع شرائح إلكترونية تجريبية قد تؤدي لتلفه دون جدوى.

والنتيجة.. لا نتيجة! أنا مجرد مستمع، لا حول له ولا قوة.

وبسبب هذا سيطر عليَّ شعور موحش بكوني فأر تجارِب، أو إحدى تلك العينات المحفوظة داخل برطمانات زجاجية في المشرحة يغمرها الفورمالين.

المختلف فقط في حالتي أن جسمي كله بداخل برطمان عملاق وليس عيني أو قلبي أو جمجمتي، والسائل الثقيل يعزلني عن العالم. والمدمر للأعصاب أنني أشعر بذلك الوجود الرهيب لـ«بعلزبول» وهو يجلس هناك ويراقب وينتظر، وكأنه ينتظر لحظة بعينها.

ماذا ينتظر؟

هذا ما يخيفني بشدة.

يقطع أفكاري الصوت النسائي الرفيع، الذي أدركت حالًا اسم صاحبته، وهو يتساءل في اهتمام قائلًا:

- هل نحن بحاجة إلى نقله إلى أي مستشفًى متخصص أو مركز أبحاث متطور في الخارج، قد يكون لديهم ما يعجل بعودته لوعيه، أو أي شيء غير تجريبي، لن نحوله لفأر تجارب هنا.

ليجيب الطبيب بحماسة وفخر غير مبرَّرين:

- لقد كان مستر «محمود» حريصًا جدًّا على جعل هذا الجناح من مستشفاه الاستثماري الضخم تحفة طبية لا مثيل لها، يشرف عليه أمهر الأطباء والمتخصصين، جنبا إلى جنب مع mainframe الكمبيوتر الطبي المركزي الذي يعمل بالذكاء الصناعي، والمتصل مباشرة مع عدة مراكز أبحاث متخصصة، تتابع من يرد إليه من حالات على مدار الساعة، مع كم الأمراض والإصابات الغريبة، التي يعاني منها هو ورجاله في مغامراته الخطيرة عبر العالم. لذا، فما يوجد هنا من تقنيات علاجية لا يتوفر مثيل له في معظم المستشفيات المدنية عبر العالم.

كما أنه وُضع نظام طبي محكم، في حال لو احتجنا لأي تدخل طبي أو جراحي عاجل. وفي الحالات الخطيرة أو التي تتطلب دعمًا خارجيًّا، يُستدعى فوريًّا طبيب أو فريق طبي كامل من أي مكان في العالم خلال ساعات.

أنهى عبارته ثم هز رأسه بتلك الحركة اللاإرادية، وحك أنفي، ثم أكمل بصوت يكتنفه كثير من الحيرة:

- المشكلة المحيرة يا سيدة «فيروز» أنه لا يوجد سبب علمي مر يبدو كأنه نوع من واضح لوقوعه في مثل هذه الغيبوبة، الأمر. تمرد المخ، ورفضه القيام بعمله.

لو كنت في موقف آخر، لكنت فخورًا جدًّا بذلك الصرح الطبي الهائل الذي أنشأته، وما به من إمكانيات متطورة، ولكن عقلي كان يركز على شيء واحد رآه الأهم، وهو وجود السيدة «فيروز» مديرة الحسابات المالية بالمجموعة على رأس الحاضرين.

والسيدة «فيروز» من الشخصيات القيادية المشهود لها بالكفاءة والبراعة، إنها إضافة رائعة لأي مكان تعمل به، ولا أستطيع أن أنكر أنها تتمتع بعقلية تحليلية أسطورية، وهي ضلع أساسي ضمن كتيبة عمل «مازن»، التي تعارض دائمًا إسرافي غير المقنَّن كما تطلق عليه.

والسيدة «فيروز» ليس لديها قلب، ولا تهتم إلا بعملها فقط، ولا تمنح للجانب الإنساني أو الاجتماعي أو النفسي أي اهتمام...

العمل ثم العمل ثم العمل.

والمحير والمثير للدهشة أكثر، أن اهتمامها هنا بدا حقيقيًّا للغاية، ليس لأنها تخشى على رب عملها أو تأثر العمل بغيابه، فالمجموعات الاقتصادية المماثلة لها كيان اعتباري منفصل، ولن يؤثر في سير عملها دخول مالكها في غيبوبة أو حتى موته.

ومن ثَم لن يتأثر عملها كثيرًا بغيابه، بل ربما يزيد نفوذها مع سيطرتها على هذا المرفأ الحيوي في المجموعة.

إن اهتمامها بحالتي، وحرصها على حياتي، حقيقيان بشكل مريب.

إن رصدي للمشاعر من قلب هذا الصندوق العقلى الكريه أصبح أكثر حدة، ولا خداع في الأمر.

والنقطة المريبة الثانية، كونها تتحدث بمثل هذه الطريقة المسيطرة فى ظل وجود «مازن» ومجموعة غير قليلة من قيادات مجموعتي الاقتصادية. لا أعتقد أنهم قد اتفقوا جميعًا، وولَّوها زمام القيادة لاعتبارات السن في هذا الموقف المعقد الذي يحتم تصدر «مازن» مساعدي الأول فيه للمشهد.

الأمر يعود لنفوذ من نوع ما، أجهل عنه كل شيء.

والأكثر غرابة من كل ما سبق هو ما دار بعدها من حوار، بينها وبين «مازن» عندما سألته بصوتها الرفيع، وبلهجة حازمة تتعامل بها دائمًا مع من هم أقل منها شأنًا:

- هل قمتم بتأمين المستشفى ومحيطها؟

أجابها «مازن» دون غضاضة

- المستشفى وكل ما حولها من مبانٍ تابع لنا، نحن لا نترك أبدًا أي شيء للظروف، ورجالي بكامل أسلحتهم يطوقون المكان، وكل الطريق المؤدية إليه، وينتشرون في كل الممرات.. لا تقلقي، لن تستطع ذبابة الوصول إليه وهو في مثل هذه الحالة.

فقالت في غضب عارم:

- وما دمت واثقًا في نظامك الأمني إلى هذه الدرجة، فكيف وصل بنا الحال إلى هذا الموقف المعقد؟ أريد مزيدًا من الرجال حول هذا الجناح، وعليك أن تظل مستيقظًا أنت ورجالك على مدار الساعة، وحتى حضور «يوشيدا».

هتف في دهشة:

- هل طلبتِ حضور «يوشيدا» هنا؟ اللعنة، بل ألف لعنة، لماذا لم تستشيرني في هذا الأمر أولًا؟

أجابت في حسم:

- إنه البروتوكول، ألم ترَ محتويات الصندوق، وما كان يحيط به، وما أصاب غرفة مكتبه؟ لو أن ما أشك فيه

هو ما حدث، فلن يصلح له سوى «يوشيدا». هل أتى في اعتقادك أننا لو دارينا عنهم إخفاقنا، لن يعرفوا في كل الأحوال كانوا سيدفعون به للحضور، إن عيونهم لا تغيب عنه.

أطلق «مازن» سبة بذيئة لم أعتد مثلها منه، ثم أمر رجاله بالانصراف، لتدور المحادثة الأكثر عجبًا وغرابة، في هذا اليوم!

مع تعقد الأمور وقتها، وجهلي بمعظم ما يدور حولي، لم يكن لاسم «يوشيدا» هذا أي صدًى في ذهني، فلم أعلم ما وظيفته أو دوره فيما يحدث أو سيحدث.. الاسم فقط كان يوحي بكونه يابانيًّا!

ولو ربطته باستحواذ ذلك الشيطان على جسدي.

فهل هو من الـ «أوياكو -سان»؟

هل هو طارد شياطين وأرواح شريرة ياباني؟

تمنيت من أعماقي أن يكون كذلك، ولكن الشيء الذي جعلني أتمنى قدومه، هو أن «بعلزبول» يعلم الكثير عنه، وعن خطورته؛ لأن غضبه تسرب إلى روحي، وأحرقها.

مرحى..

هناك إذًا ما يمكن أن يثير قلق ذلك الحقير الذي استعمر جسدي..

المجد لـ «يوشيدا» إذًا.

حاولت أن أتخطى تلك المشاعر الموحشة التي أتشاركها مع ذلك الشيطان، وأركز في ذلك الحوار المريب الدائر بينهما، وعقلي يحاول الربط بين كل ما يحدث، وحقيقة من قالت

السيدة «فيروز» إن عيونهم لا تفارقني، فمن هؤلاء؟ وماذا يدور في كواليس حياتي دون أن أعرف؟

ومع كم المؤامرات التي أصبحت تحيط بي بت أشك في كل شيء، لأكتشف أن هناك فجوة كبيرة في المعلومات تفصل بيني وبينهم فعدتُ لأنصت لـ«فيروز» التي كانت تتساءل في حنق:

- ألم تخبر هذا الأحمق بمغبَّة الركض خلف هذه الصناديق، والعبث بمحتوياتها؟

أجاب «مازن» بصوت يحمل كل ضيق الدنيا:

- إن رأسه أصلب من أبيه، وفضوله بلا حدود، والتعليمات لدينا أن نقدم له النصيحة لا أن نمنعه، ثم إنني لم أكن بجواره طوال الوقت لأبعد عنه الخطر المباشر.

سألته في شراسة:

- وهل رأيت ما آلت إليه الأمور بسبب التعليمات يا «مازن»؟

أجاب بصرامة:

- لن نعود لمثل هذا الحديث مجددًا يا سيدة «فيروز»، إن دورنا حمايته فقط، وليس وضع السياسات.

قاطعته في مرارة:

- ويبدو أننا فشلنا في القيام بدورنا.

قال في غضب:

- إنه حي على الأقل.

صمتت قليلًا، ثم سألته:

- حسنًا، وماذا سنفعل الآن؟

أجابها في ضيق:

- القرار ليس قرارنا.

ردت في مرارة:

- مع الأسف.

وسمعت بعدها باب الحجرة يُفتح، وصوت كعب حذائها العالي الذي لا يناسب عجوزًا في سنها، يضرب الأرض عدة ضربات كأنه يرغب في اختراقها، قبل أن تتوقف عن الحركة، ويعود صوتها ليرج المكان بلهجة ناصحة:

- وأنت أيضًا احذر من ذلك الثعبان الأرقط الذي يرعى في حديقتك.

قال في حسم:

- لا تقلقي.. كل شيء تحت السيطرة.

فقالت في شك:

- أتمنى هذا.

وبعدها، تعالى وقعُ خطوات حذائها، قبل أن يختفي تمامًا، لأسمع صوت «مازن» المضطرب يهمس في سخط:

- «يوشيدا» قادم.. اللعنة.. بل ألف لعنة.

ألقى عبارته في الغرفة، ثم انصرف، وتركني وحدي نهبًا لأفكاري أحاول أن أفهم ماذا يدور من حولي؟

وبغتة رصدت حرارة جسدى تتصاعد وصوت أزيز الأجهزة يُدوي في عنف، وكأنني على وشك الإصابة بأزمة قلبية، لينتفض جسدي بعدها فى قوة، وذلك الشيطان اللعين المستحوذ عليه يحثه على النهوض لسفك الدماء.

ولكن كان هناك ما يعوقه...

عيناي مغلقتان، ولكن حواسي الأخرى تعمل جيدًا.

وهنا اكتشفت اكتشافًا خطيرًا للغاية، أنني مقيَّد بقيود جلدية قوية منعتني من الاستجابة لهذا اللعين، وأجهضت مخططه الدموي.

والفكرة التي راجت في عقلي وقتها، أنهم لم يتعاملوا معي كمجرد مريض يرزح تحت نير غيبوبة مجهولة، بل تعاملوا معي باحترافية من يدرك طبيعة ما حدث معي بعد فتح الصندوق المظلم اللعين.

حسنًا.. ما أراه الآن... رغم ما يجتاحني من ألم وخوف، أن ذلك اللعين حُوصِر داخل جسدي، الذي حجَّم من قدراته الشيطانية، بعد كبح جماح حركتي بالقيود القوية.

ومن أعماقي رحت أقهقه صارخًا:

- لقد هزمناك أيها اللعين، ومن الجولة الأولى.. وبقي أن يأتي ذلك المدعو «يوشيدا» ليخلصني منك إلى الأبد.

ومع الأسف لم يترك لي هذا اللعين لحظة واحدة لأهنا فيها بالانتصار بعد أن صرخت بالعبارة، أو يدع لي مجالًا لأواصل سخريتي منه، وبدأ الجولة الثانية أسرع وأعنف مما كنت أتخيل.

ففجأة أظلم عقلي، وانبثقت من داخل الظلام نيران سوداء رهيبة.

كيف يمكن أن تكون النيران سوداء؟

لا أعرف، ولكنه ما رأيته.. أو شعرت به.. فلا شيء مؤكد وسط هذه الفوضى العقلية.

وبكل ثقة بدأت النيران السوداء في رحلتها الجهنمية، لتنتقل من ظلام العقل بحرارتها اللاهبة إلى عمق اللحم والدم، لأشعر بجسمي يحترق ملايين المرات مع احتراق كل خلية على حدة، ومعها تسيل روحي، وكأنني أنصهر من الداخل.

كان الألم لا يطاق.

ألمٌ تمنيت معه الموت السريع دون أن أجده...

تخيل أن يموت جسدك خليةً.. خلية.

يموت محترقًا.

عذاب مقيم لا ينبع إلا من قريحة شيطان رجيم.

عذاب أجبرني أن أعتذر له ألف مرة...

وأقاومه ألف مرة...

والعنه ألف مرة.

ومن وسط النيران المحرقة، والآلام المهلكة، وُلدت الفكرة.

إنه يحاول أن يستغل قسوة الألم وعنفه، في حثي على تمزيق القيود...

وأظن أنه في النهاية قد ينجح.

كنت بين يديه كدميةٍ يحركها كيف يشاء...

ويحرقها كيف يشاء...

ويعذبها كيف يشاء...

ليسيطر عليَّ يأس وإحباط مرعبان، وأنا أرى نفسي محاصرًا بداخل صندوقي العقلي الذي لا يتجاوز جمجمتي، وأنه لا مهرب حقيقيًّا إلا الموت، الذي كان أبعد مما أتخيله.

صرخت بأعلى صوتي، فلم يتجاوز الصراخ حلقي.

حاولت أن أقاوم...

أن أسيطر على نفسي...

ولكن دون جدوى.

الشيطان اللعين أقوى مني...

أقوى من كل محاولاتي...

أو هو ما يحاول أن يوهمني به.

ثم فجأة، خطرت لي فكرة...

فكرة بسيطة، قد يكمن الحل في تفاصيلها، وهي أن ذلك الشيطان حبيس معي في الصندوق نفسه، وهو يعبث الآن بعقلي، وهذا معناه أنني لو تمكنت من السيطرة على عقلي وأفكاري، وتجاوز ألم الاحتراق، فقد تكون خطوة حقيقة نحو التحرر.

إنه شر خالص، وكل أفكاره تنحصر في الأذى، والكراهية، والتدمير، والخراب، ويسعى ليملأ بهم روحي، وصندوقي الوهمي.

لذا رحت أبعد تفكيري عن ألم الاحتراق المستمر، وأبحث في عقلي عن أشياء إيجابية، أشياء جميلة، أشياء لطيفة، أشياء تجعلني أشعر بالأمل.

ومع الأسف كان عقلي مثل وعاء خاوٍ، لا يوجد به غير الشر والموت وتلك الصناديق المخيفة، التي كان يخرج من كل منها مسخ ليزيد من معاناتي.

كنت أعلم أن الأمر لن يكون سهلًا، ولكن ليس إلى هذه الدرجة؛ فكل محاولاتي باءت بالفشل، وضاعفت معاناتي، وكأنما سكنني الظلام، ولم يعد منه مهرب.

وفجأة رأيت الضوء، وسمعت الصوت الذي أتى كطوق نجاة

- احقنوه على الفور بالمهدئ، إننا سنفقده.

كان الضوء هو ضوء الكشاف الصغير الذي يحمله الطبيب والصوت هو صوته المنزعج، وهو يفحص حدقتي ليتأكد من مدى وعيي واستجابتي.

صوت طنين الأجهزة مع صوت الطبيب، وصوت صراخ ذلك الشيطان زلزلني من أعماقي، ليتبخر وعيي ويسود الظلام...

فقط الظلام.

و...

- تم توصيل الشريحة التبادلية بنجاح، وجارٍ تفعيلها.

أظن أني شهقت فور أن أكدت لي العبارة على عودة حاسة السمع مجددًا.

لحظة فهم.

لقد أنهى الطبيب حتمًا توصيل الشريحة الإلكترونية التي تحدث عنها بالأمس؛ أي إن هناك ساعات طويلة قضيتها في الظلام، وإننا

في الغد...

لحظة فهم أخرى.

لا ليس الغد!

لقد قال الطبيب إنه سيستخدم المحفزات العقلية أولًا؛ أي إنه مضى ثلاثة أيام أو أكثر، قضيتهم خارج الزمن، والإحساس، والعذاب، والصراع ضد ذلك الشيطان الرجيم.

لحظة فهم أعلى.

معنى هذا أن المخدر لم يخدرني وحدي، بل جرف في طريقه ذلك الشيطان البغيض، وأنه بدخوله جسدي فقد كثيرًا من قواه، وبات يخضع لما أخضع له.

أي إن جسدي أصبح صندوقه المغلق وزنزانته، وهي معلومة قد تنفعني، وأتمنى أن تصل للفريق المعالج، ليبقوني تحت التخدير أطول فترة ممكنة.

ومضات متتالية تلمع في فضاء عقلي، تلتها صواعق كهربية متتالية راحت تحرق بعض خلاياه التي اعتصرت وعيي معها عصرًا.

وهذا درس عملي في أن التكنولوجيا ليست آمنة على أي حال، وخاصة التجريبية منها.

يقولون إن ما يتلف من خلايا المخ لا يمكن استعادته إلا في حالات خاصة جدًّا...

فماذا عما يحترق؟

عقلي مثل شجرة وحيدة في مهب ريح عاصف، تهتز فروعها-

وتتساقط أوراقها بعشوائية.

ولكن لا ألم هناك.

لا بد أن هذه الاضطرابات التي عصفت برأسي في حينها، ناجمة عن بدء تفعيل الشريحة الإلكترونية التي لم أفهم تمامًا طبيعة عملها، والتي أتمنى أن تكون وسيلتي للتواصل مع العالم الخارجي من داخل عالم الغيبوبة، والسبيل لإنهاء هذا الاستحواذ الشيطاني.

وبغتة استقرت الأمور، وهدأت الرياح العقلية العاصفة، وانجاب ظلامي الداخلي، وتوقفت الشجرة عن الاهتزاز أو فقد أوراقها، وإن لم تعمل رغم هذا أي حواس خارجية غير السمع.

المخيف أني شعرت به يستيقظ...

وأنه غاضب.

اللعنة لن أعود لمثل هذا العذاب مجددًا.

ومضة مؤلمة أخيرة، ثم اجتاحني ذلك الشعور الطاغي بالتحرر، وأن وعيي أصبح خارج الصندوق، وبأنني قادر على التواصل والتعاطي مع كل الأجهزة الإلكترونية المحيطة بي، بل الموجودة داخل نطاق الشبكة التي ربطت بها الشريحة.

إنه شعور رائع، وكأنهم أخرجوني من قبري العقلي الضيق، إلى براح الحياة.

وهنا دوت الفكرة في عقلي: هل أنا قادر على إرسال رسالة استغاثة مستغلًّا الشريحة المزروعة؟ هل أنا قادر على تحويل أفكاري إلى لغة الكمبيوتر؟

إنه طوق نجاة أخير.

أشعر بـ «بعلزبول» يستعيد قوته ببطء...

كم من الوقت سيستغرق قبل أن يستعيدها كاملة وينتقم مني؟

لا بد أن أحاول بسرعة.

كل ثانية لها قيمتها.

أجهزة المراقبة الحيوية، ومنظم ضربات القلب، وجهاز التنفس الصناعي، وجهاز الحقن الآلي، لا يستجيبون لي.

أحاول مع هاتف قريب يحمله أحد الحراس، ولكن جميعها مشفرة، إنهم جميعًا يستخدمون الأجهزة المؤمَّنة التي اقترحها «مازن» في حالات الطوارئ.

رحت أتحرك عبر الشبكة، وكأنني دفقة من البيانات الحية، أحاول أن أتحدث مع تلك الأجهزة المعقدة، وأقنعها بتلقي الرسالة، دون لاستجابة من أي من هذه الأجهزة الصماء.

أشعر ببعض التشوش، إن ذلك الحقير يحاول إيقافي.

وفجأة لمعت الفكرة في ذهني...

أجهزة المراقبة...

إنها غايتي الآن؛ فهي متصلة بجهاز حاسوب، وبنفس الشبكة الموصولة بها الشريحة.

إن وعبي يتحول الآن لتكرارات من لغة الكمبيوتر الأساسية «0، 1» والرسالة تنتشر عبر الأجهزة، وعلى شاشات المراقبة في كل مكان بالمستشفى ليراها الجميع:

- أنا واعٍ تمامًا.. تم الاستحواذ على جسدي بواسطة شيطانٍ لعين يُدعى «بعلزبول».. المخدر ناجح في تعطيله.

وما إن انتهيت من بث الرسالة، حتى شعرت بالنيران السوداء تفتك بخلايا مخي الرمادية...

إنه يسعى الآن لقتلي. لقد أثار حقده نجاحي في بث الرسالة..

وحسَب ما أرصده، ومن تحركاته، لن يكفي الوقت لأي تحرك من جانب رجالي.

على الأقل قد حاولت...

تملَّكني حقد مكين، فأطلقت صرخة مقت رهيبة، واليأس يغتال كل ذرة أمل شعرت بها يومًا.

واستسلمت القدري تمامًا...

وللموت وفجأة تلاشت النيران السوداء، وغمر كلَّ شيء ضوءٌ أحمر رهيب، وشعرت بألف حجاب وحجاب يفصل بيني وبين ذلك الشيطان الرجيم، الذي أطلق صرخة غضب عاتية، لولا الحجب لطردت روحي من جسدي.

وأما العجيب فهو أن فضاء عقلي الداخلي تحوَّل إلى ما يشبه مصفوفة رقمية، ولكنها على عكس ما كنت أشعر به...

مصفوفة مغلقة...

لقد صار وعيي حبيس صندوق رقمي مغلق.

والمصيبة أني بدأت أشعر بأنفاسي تضيق.

إن هذا الشيطان لا يعدم وسيلة لإيذائي.

كنت في حيرة بين ما يفعله الشيطان، وذلك الوضع العجيب الذي أحال عقلي إلى ما يشبه زنزانة رقمية مغلقة، إلى أن تردَّد الصوت الآلي في المكان لتلتقطه أذناي:

- جميع خوادم الشركة تتعرض لهجوم سيبراني عنيف، سقطت على أثره جدران الحماية النارية، وأصبحت تحت رحمة المخترِقين.. لقد تم تشفير كل البيانات.. والسيطرة من المهاجمين على جميع الأجهزة الطبية.. وعلى جميع الأطباء بدء برنامج الطوارئ، وتحويل أجهزة الإعاشة إلى الأنظمة اليدوية حسب خطة الطوارئ التي تدربتم عليها، وعلى الجميع التوقف عن استخدام أي أجهزة إلكترونية، وإغلاق هواتفهم وأجهزتهم حتى ينتهي الفريق التقني من عمله.. عدم طاعة الأوامر يعني الاشتراك في ذلك العمل التخريبي.

وقع هذا الخبر على رأسي كالصاعقة...

إنه أسوأ توقيت ليحدث فيه هجوم سيبراني مباغت كهذا...

أم ... أم إن كل الأمور مترابطة.

عقلي يعمل بسرعة الصاروخ، ويستعيد جزءًا من ذلك الحوار الذي أجرته إحدى وكالات الأخبار مع أحد المخترقين، وهو يرتدي قناعا لإخفاء هويته، كان ممن يطلق عليهم أصحاب القبعات السوداء، قبل أن ينقلب عليهم ويصير من أصحاب القبعات البيضاء.

أي إنه تحوَّل من مجرم أو قرصان إنترنت لا يلتزم بالقوانين وينفذ هجمات سيبرانية غاشمة لأغراضه الخاصة، إلى شخص جيد يستخدم مهاراته من أجل الخير، ويتعقب المجرمين والقراصنة عبر الإنترنت ويبحث عن نقاط الضعف في الأنظمة لإصلاحها، وليس استغلالها، وهو يقول:

- لقد شاهدت المستشفيات يتم تشفيرها، ويبقى أمام الناس تساؤل صعب، هل أدفع لفك تشفير البيانات أم أخاطر بحياتي؟

تمنيت لو أن الأمر اقتصر على كونه مجرد هجوم بأحد فيروسات الفدية، سيُقضى عليه بإحدى الأدوات التي طورها القسم التقني، أو بدفع المبلغ المطلوب أيهما أسرع.

ولكن المشكلة كما قلت في الوقت.

لأن تنفسي أصبح بطيئًا.

وأشعر أن كل شيء يظلم من حولي...

وأنني أموت.

@ART_OF_BOOK

يد المجد

صوت الطبيب يُدوي في فضاء عقلي، وكأنه صدى صوت آتٍ من بئر عميقة لا قرار لها، وهو يهتف في هلع وحيرة:

- لقد توقف قلبه أكثر من سبع دقائق، قبل أن يستعيد التقنيون السيطرة الكاملة على النظام، ويوقفوا الاختراق، ويعيدوا جهاز التنفس الصناعي إلى العمل، ولكن ما زال ذلك الشيء الغامض يعوق قدرته على التنفس...

لتقول مساعدته بغير وعي، وبصوت مسموع:

- اللعنة! كيف يمكن لبضعة أوامر برمجية أن تتسبب في كل هذه الفوضى والخراب؟ إن جميع أقسام المستشفى تضررت جدًّا، وفقدنا مريضًا بالفعل، وآخر في حالة حرجة.

استفزَّت كلماتها الهلعة من أعماق ذاكرتي ذكرى بعيدة، بدت ككوكب تائه على حافة مجرة أفكاري لمقولة أنت على لسان هاكر أخلاقي أمريكي شهير يُدعى «فايس»، تُلخص الموقف كله، وتبرز خطر مثل هذه الهجمات السيبرانية الخطيرة، التي قال فيها:

- في الأيام الخوالي، لكي يتسبب بلد ما في إشاعة الاضطرابات في بلد كبير مثل الولايات المتحدة، كان سيحتاج إلى استثمارات بملايين وملايين الدولارات للقيام بشيء ما. اليوم، تحتاج فقط إلى بضعة آلاف من الدولارات، وجهاز كمبيوتر محمول واثنين من المتسللين الأذكياء لكتابة بعض التعليمات البرمجية

وإرسال شيء ما.

الحقيقة أن كوني باحثًا ومتبحرًا في عوالم ما وراء الطبيعة، ومغامرًا له سقطاته، وخزينة أسراره، ورجل أعمال مستهدَفًا، وموضوعًا تحت المنظار طوال الوقت، وأدير إمبراطورية اقتصادية هائلة تمتد أذرعها المناطق لا تتخيلونها في العالم، كان الهجوم السيبراني، واختراق أنظمة الحماية الأمنية، واحدًا من أعمق وأعقد مخاوفي واهتماماتي. لذا، كان من المحتم أن يكون لديَّ قسم كامل في مجموعتي يهتم بمثل هذه الأمور، أصرف عليه ثروات طائلة، أطلقت عليه اسم «الدرع».

وأعتقد أنه لولا مهارة عناصر «الدرع» في احتواء الهجوم الأخير لكانت الأمور ساءت بدرجة أكبر و.... وهنا قاطع أفكاري صوتٌ خشن يتحدث بلغة عربية ذات لكنة أمريكية واضحة، ويقول في صرامة:

- هل تضرَّر المخ؟

أجاب الطبيب في توتر:

- يعتمد الأمر على العديد من العوامل، ولكن لا أعتقد أننا دخلنا مرحلة الخطر بعد، ولكننا قريبون للغاية منها.. إن أطول فترة قدَّرها العلماء لتوقف القلب دون ضرر هي نحو 20 دقيقة. بعد ذلك، تبدأ خلايا الدماغ في الموت. ومع ذلك، فإن فرص النجاة والعودة إلى الحياة الطبيعية تنخفض بشكل كبير بعد 10 دقائق لن تتوقف عن محاولات الإنعاش الرئوي(CPR) ؛ فربما يستجيب قلبه.

هنا عاد الصوت ذو اللكنة الأجنبية ليقول في صرامة:

- لقد انتهى عملك هنا أيها الطبيب.. ليُخْلِ الجميع الغرفة فورًا، ما زال أمامنا وقت لإنقاذه، الطرق العادية لن تفلح معه، إن ذلك الحقير الذي استحوذ عليه ينوي قتله بالفعل.

حاول الطبيب أن يعترض على هذا الدجل الذي يسمعه، فرفع يديه إلى أعلى، وقال وعيناه تحاولان تجاهل النظر في أي من العيون المسلطة عليه:

- إن ما تقوله غير مهني أو منطقي، وأنا أخلي مسؤوليتي تمامًا، عن كل ما يحدث منذ هذه اللحظة، و.....

ولكن صوت السيدة «فيروز» كان حاسمًا، وأخرسه على الفور عندما هتفت في صرامة:

- أخلوا الغرفة حالًا.

ليُدوي بعدها صوت «مازن» المنزعج صارخًا:

- أطيعوا السيدة «فيروز».. السيد «يوشيدا» سيتولى الأمر.

مما سمعته أدركت أنني لم أمت بعد، ولكن.. بضع دقائق فقط تفصلني عن موت حتمي..

وأن ما تداعي في عقلي من أفكار، لم يكن مجرد هلوسات أو رصد لأحداث سابقة من حياتي من خلال جسمي الأثيري وهو في طريقه إلى البرزخ..

وأنهم يسعون بكل جهدهم لإنقاذي من محاولة اغتيال حقيقية كادت أن تنجح عن طريق متسللين سيطروا على كل الأجهزة الطبية في المستشفى، وأوقفوا جهاز التنفس المعدل الذي

يزودني بالأكسجين، بعد أن أعاق ذلك الشيطان قدرتي على التنفس بشكل طبيعي.

وهؤلاء المتسللون الأوغاد، الذين لا أستطيع أن أحدد إن كان لهم علاقة بذلك الشيطان «بعلزبول» ومحاولته قتلي الجارية على قدم وساق في هذه اللحظة، أم هي محاولة منفصلة قام بها رجال أحد المنافسين، ولعبت الصدفة دورها.

الموضوع مرعب بشكل لا يمكن تصوره.

إنني في مرمى كل المدافع.

وأخبث القتَلة في العالمين يسعون لإزهاق روحي.

والمرعب أكثر أن بضع دقائق فقط هي ما تفصلني عن ضرر عقلي فادح، الموت أهون من وقوعي في براثنه.

لن أقبل لحظة أن أحيا في قلب ذلك الصندوق العقلي المظلم إلى الأبد، كدمية مشلولة من لحم ودم، تتابع ما يدور حولها عن طريق أذنها دون القدرة الحقيقية على الفعل، أو يكون لديها مشكلات فادحة

في الذاكرة، أو عاجزة عن النطق إلى الأبد.

وجميع هذه الأضرار المريعة، التي لن أقبل بها، يتسبب فيها نقص الأكسجين الحاد عن المخ، وهو ما مضت عليه دقائق، جعلت الموت بالنسبة لي مقبولًا إلى حد كبير.

لذا، وبكل حنق صرخت دون أن يتجاوز صوتي عقلي:

- لتمُتْ غيظًا أيها الشيطان البغيض، لقد هزمتك مرة أخرى، وحتى لو فشل ذلك الياباني الأمريكي في إنقاذي، فأنا راضٍ، و...

وقطع أفكاري صوتُ «يوشيدا» العميق، وهو يقول في جدية:

- مهما كان ما تخبر به هذه الأجهزة الطبية، فأنا أعلم أنك واعٍ وتسمعني يا مستر «محمود».. أبوك يعتني بك، حتى بعد رحيله، ويخبرك أنك لست وحدك، و... وعليك ألا تلعن الظلام، بل أحرق من يختبئ فيه، وهو ما سنفعله معًا. ولْتَعلم أن القادم لن يكون سارًّا.. تجلَّدْ؛ فـ«بعلزبول» لن يستسلم بسهولة.. ولا تهن عزيمتك أبدًا، فبينك وبين الموت لحظة ضعف واحدة.

تذكرت الجملة التي كان أبي يرددها على مسامعي دومًا، وهو يحفزني على قهر مخاوفي تجاه أي أمر يثير هلعي أو قلقي قائلًا:

- لا تلعن الظلام، بل أحرق من يختبئ فيه.

ورحت أرددها دون هوداة، وأنا أقاوم إحساسًا عارمًا بالاختناق، وتلك المشاعر الرهيبة التي يبثها «بعلزبول» ليوهن عزيمتي، وليُفشل جهود «يوشيدا» الذي بدأ يترنم بترنيمة رهيبة ذات وقع مقبض، بلغة لم أفهم منها حرفًا.

ومع كل كلمة ينطقها يوشيدا راح برد رهيب يتسرب إلى كياني، ويحمد حتى أفكاري، وكأن كلماته تحقنه في عروقي حقنًا، قبل أن يعود للحديث بلغة مفهومة أعادت لي بعض وعيي المجمد، قائلًا:

- ذلك الحقير منشأه من نار ككل شيطان زنيم؛ لذا فالبرد يزعجه، والآن ردد معي يا مستر «محمود» الكلمات القادمة، رددها حتى يتسنى لك الفهم، وتستشعر قوتها.

وهنا زلزلتني صفعة عقلية عاتية رجَّت مخي داخل جمجمتي، وجعلت رأسي أشبه بكرة زجاجية، وسط وعاء ممتلئ بالكرات المعدنية، وطفل أحمق يقوم برجه، وكلما تفتت إلى ألف قطعة، عادت لحالتها الأولى لتتهشم وتتهشم.

صفعة عقلية أخرى، وعلى أثرها سمعت صوت «يوشيدا» العميق، وهو يردد بتلك اللغة غير المفهومة، التي بت أرى كلماتها ترتسم في ذهني كصفوف من العناكب، لأدرك بعد تدقيق وجهد كبير، أنها مكتوبة باللغة الآرامية:

ܫܒܝܠܬܐ ܕܫܡܝܐ ܒܠܥܡܡܐ ܡܪܘܕܐ ܒܪܐ

وبعد أن رددت الكلمات ألف مرة عن جهل، تسرب الفهم إليَّ من مكان عميق للغاية في الذاكرة، فرحت أرددها بحماسة داخل ذهني إلى أن شعرت بها تتردد على شفتي:

- بين اللعنة والخلاص أسباب.. غادر أو يحرقك من خُلق من تراب.. لقد أتينا بقوة من لا يخاف أو يرتاب.

كان وقع الكلمات على روحي عجيبًا، خاصة مع لكنة «يوشيدا» الغريبة، والكلمات التي هي أقرب لنصوص المتصوفين.

ثم أتى صوت «يوشيدا» ليفسر كل شيء:

- تذوق الكلمات.. اشعر بقوتها.. وانصهر فيها.. إنها مفتاح الخلاص.. إنها مفتاح الخلاص.

وهنا أدركت أن «بعلزبول» البغيض ليس وحده الذي استعمر عقل .. بل «يوشيدا» أيضًا.

بوسيلة ما أصبح هناك.. وإن كان بشكل مختلف لا أستطيع تفسيره...

وأن الصراع الحقيقي قد بدأ..

وأصبح عقلي هو حلبة هذا الصراع الجهنمي.

وعليَّ أن أدعم «يوشيدا» في قتاله الشرس ضد ذلك المبعوث الجهنمي؛ لأن الظلام بدأ يطبق على روحي، وأعتقد أني في هذه اللحظة توقفت عن التنفس تمامًا، وبدأ الظلام يسحبني إلى مملكته.

صفعة عقلية عاتية تعيد لي بعض الوعي، وصوت «يوشيدا» يتردد بكثافة في أروقة عقلي، ليبدد بعض الظلام:

- لا تستسلم الآن أيها المتخاذل، لقد أوشكنا على ردع ذلك الحقير.. أحرق الظلام ومن يختبئ فيه.. هيا أطلق الشرارة الأولى.. لقد أخطأ بنقل المعركة إلى ساحتك، وتخلى عن كيانه شبه المادي.. اجعل عقلك مقبرته، ومثواه الأخير.

حاولت أن أستجيب له، ولكنني كنت أشعر بوهن كاسح.
الصوت يتردد في عقلي دون هوادة:

- أحرق من يختبئ في الظلام، بقوة من لا يخاف ولا يرتاب، لا تتركه يسجنك في الظلام إلى الأبد.

يقولون إن معظم قدرات وقوى الإنسان الخفية تظل كامنة، وتخفيها قشرة الحضارة، ويحجمها الوهن الذي تسببت فيه التكنولوجيا على مدى عقود، إلى أن يأتي محفز قوي يطلقها من عقالها.

وأكثر هذه المحفزات قدرة على تحريرها، هو الخوف.

وخوفي الأكبر كان أن أظل سجينًا عاجزًا في هذا الصندوق العقلي إلى الأبد مع الشيطان أو بدونه.

أقضي ما بقي لي من عمر أسيرَ مساعدة الآخرين حتى في تغيير حفاضاتي، بعد أن أفقد آخر ما يربطني بالإنسانية، وهو الستر.

ولذلك، وبآخر لمحة من وعي في عقلي، صرخت...

وأطلقت الشرارة.

وتحول عقلي إلى أتون من اللهب البارد، وسمعت الشيطان البغيض يصرخ.. ويصرخ.. ويصرخ!

وقبل أن أفقد الوعي، اجتاح ألم رهيب إصبع قدمي الكبير، وكأن هناك من أولج إبرة عملاقة ساخنة داخل لحمه، ومررها إلى العظام، ثم احتواني الظلام جزءًا من الثانية، قبل أن أفتح عيني، وأصرخ:

- أين أنا؟

وهنا سمعت صوت الممرضة المبتهج، وهي تضغط على زر جهاز الاتصال الداخلي، تقول في لهفة:

- لقد حدثت المعجزة، يا دكتور «أشرف».. لقد استيقظ مستر «محمود».. استيقظ أخيرًا.

ثم أنهت الاتصال، وأردفت كأنها تحدث نفسها بصوت لم تظن أنه سيصلني:

- وبعد أسبوعين فقط من وقوعه في هذه الغيبوبة العجيبة.. كان عليك أن تنصت لي يا دكتور «أشرف»، الأثرياء لا يبتعدون عن ثرواتهم طويلًا.

وبالطبع لم يُجب أحدٌ سؤالي، وانقلب المكان كله إلى سيرك كبير، من يقيس ومن يسجل ومن يحقن، وأنا أتابعهم، وكأن الراقد أمامهم شخص آخر وليس أنا...

ذاكرتي خاوية، ومليئة بالفجوات.

ذكرياتي القريبة تبخرت كأنها تسربت من ثقب محي البارد، ولم أعد أتذكر أي شيء عن «بعلزبول» أو محاولة قتلي بخنق أنفاسي، ولا عن «يوشيدا» الذي أنهى استحواذه، بعد أن أخرجه من إصبع قدمي الكبير كي لا يؤذيني، كما يفعل العارفون في جلسات طرد الأرواح الشريرة.

بالطبع علمت كل هذا في وقت لاحق، أو للدقة استعادته ذاكرتي، وإن كنت أتمنى لو قتل «يوشيدا» هذا الشيطان البغيض الذي أصلاني الويل والعذاب، وأراحنا من شره إلى الأبد.

ثم تفهمت فيما بعدُ حقيقة قراره بطرده فقط من جسدي، فعلى الرغم من قدرته على قتل هذا اللعين، فإنه لا يأمن تبعات الأمر، واكتفى بنجاحه في إنهاء هذا الاستحواذ البغيض، فالأمور بين العالمين معقدة، وهو لا يرغب في استفزاز مزيد من هؤلاء الحقراء.

وبالطبع تسبَّب ثقب الذاكرة في تبدل اهتماماتي وأولوياتي، فلن أسعى للبحث عما لا أدرك وجوده أو ما نسيته عن غير عمد.

لذا ففور أن استعدت جزءًا من عافيتي، أصبح جل اهتمامي منصبًّا على معرفة من كان وراء الاختراق، ومحاولة اغتيالي بهذه الضراوة! ولماذا هو مُصر على نقل منافسة العمل، إلى ساحة دموية، متواريًا خلف الحجب، ولا يعمل إلا في الظلام؟!

ولذلك كانت أوامري لـ«مازن» واضحة وشديدة الصرامة، وأنا أواجهه بتقصيره قائلًا:

- أرغب في جمع كل المعلومات عن ذلك الوغد الذي يكمن خلف محاولات قتلي المتتالية، ومن يتآمر معه داخل المجموعة وكيف حدث الاختراق؟

وأجاب «مازن» في حسرة تلميذ فاشل رسب في امتحان هام:

- قريبًا جدًّا يا مستر «محمود».. قريبًا.

أشحت بيدي في عصبية، وقلت في ضيق مرير لا حدود له:

- وتأكد من أن مثل هذا الأمر لن يتكرر مستقبلًا؛ لأنه لن يكون لك وجود وقتها لتُصلح الأمر، أو لتحصد فشلًا جديدًا.

تجهَّم وجهه بشدة، ولكني لم أرحمه، ففشله كان ترجمة صريحة لفشلي؛ لأني أنا من وضعته في هذه المكانة، ووثقت في قدرته على تحمل أعبائها، وعدت لأسأله في استنكار:

- ثم أخبرني هنا ما الذي أصابك بعد الزواج، كيف أصبحت واهنا ومهملا إلى هذه الدرجة؟

اشتعل وجه «مازن» من الإهانة، ولكنه ابتلعها، وقال في غلظة:

- لا شأن لزواجي بالعمل، سآتي لك برأس ذلك الحقير.

وغادر وشياطين العالم تتقافز في وجهه، فهو يدرك جيدًا أن كل تقصير يقع على عاتقه وعاتق رجاله هو مسؤوليته، وأنني بالفعل قادر على استبداله في أي لحظة، دون النظر لأي اعتبارات كالصداقة؛ لأنها يمكن أن تستمر خارج منظومة العمل.

إن تعليمات أبي كانت واضحة، العائلة أولًا.

والعمل هو أساس عائلتنا، وأنا نشأت أقدس هذا العمل، ومهمتي الأولى هي الحفاظ على استمراره، حتى أمرره لابني، الذي سأنجبه لا محالة من «شذى»، مهما طال الزمن.

وبيني وبين نفسي، قررت أن الوقت قد حان لبدء تطوير وتحديث منظومة العمل والأمن بالكامل. وسأبدأ بأهم خطوة، وهي الفصل بين الاختصاصات والسلطات، التي تأخرت في اتخاذها لأسباب عاطفية، وهي النقطة التي طالما حذَّرني منها أبي، فعالم الأعمال لا يعرف العواطف، ولا قلب له.

لذا في أقرب فرصة سأعمل على استقدام مدير تنفيذي جديد، أو مسؤول أمني متفرغ لم يعد بإمكان «مازن»، برغم تفانيه في عمله، الجمع بين الوظيفتين، كما أنه لا يحمل الحماسة اللازمة لمرافقتي في رحلاتي ومغامراتي، بالإضافة إلى أن تلك الدمية زوجته - التي زُرعت كراهيتها في أعماقي من اللحظة الأولى - عبء جديد أضيف لمجمل أعبائه. ولا أرغب لصداقتنا وعلاقتنا التي تتجاوز مرؤوسًا وصاحب عمل أن تتسبب في ضرر لمجموعتي الاقتصادية، أو أن أُضطر في يوم لطرده وإغلاق صفحته من حياتي إلى الأبد، أو تتسبب في أسوأ الأحوال في موتي بسبب قصور أمني أو تهاون.

فمن استطاع أن يصل لي مرة واثنتين وثلاثًا لو قمت بإضافة قصة تلك المادة المهلوسة، التي أثرت على أحد حرسي الخاص، ودفعته لمهاجمتي بغية قتلي، فهو قادر في المرة الرابعة على تنفيذ ما يجاهد ويخطط له.

كما أن الأمور التقنية باتت معقدة للغاية، وتتطور يومًا بعد يوم، والهاكرز والمتسللون والمقرصنون ومنتجو التكنولوجيا

غير القانونيين، أصبحوا مثل المرتزقة، وتحت أمر من يدفع لهم، وقادرين على إحداث الضرر كغيرهم من المجرمين.

العالم يزداد شراسة والأخطار تتزايد، وأصبح الهلاك يتمثل في بضع نقرات على لوحة مفاتيح.

والآن من يحاول الخلاص منك لم يعد بحاجة لاستخدام قنبلة أو طرد مفخخ كما كان يحدث قديمًا. يكفي أن يستخدم بضعة أوامر برمجية، وجهاز كمبيوتر محمولًا حديثًا، وشبكة إنترنت قوية للوصول لنفس الهدف، دون المرور بكل العقبات والصعاب التي تواجه الأول.

وهو قادر على تحديد مكانك عن طريق هاتفك...

أو قتلك عن طريق سيارتك الذاتية القيادة...

أو بافتعال ماس كهربي...

وإيقاف أجهزة العناية بك في المستشفى.

ما يزعجني في الأمر حقًّا هو الضباب الكثيف المحيط بالأمر، وأن هذا القاتل الحقير يُظهر إصرارًا لا حدود له على التخلص مني، دون أن أتوصل إليه أو إلى طرف خيط يقودني إليه.

لقد كان رجاله بارعين بعد هجومهم السيبراني، في محو كل أثر هم.

والسؤال الهام هنا، بل الشديد الأهمية:

- هل هناك من يتواطأ ويتعاون معه من داخل مجموعتي، أم إن ما حدث هو نوع من أنواع التراخي والإهمال الأمني استغله المخترقون ليحاولوا اغتيالي؟

السؤال عصيٌّ عن إجابته في هذه اللحظة العصيبة، وهو ما يجب مراجعته وتأمينه عاجلًا، وسيحتاج إلى فحص إلكتروني موسع، ومراجعة آلاف الساعات من تسجيلات كاميرات المراقبة، المعرفة المتورطين عن عمد أو عن غير عمد ؛ لأنه لا سبيل آخر غيرهما.

وهذا ذكَّرني بجزئية أخرى من حوار ذلك الهاكر الشهير، وهو يشرح كيف يتسلل ببساطة لنظام أمني محكم، كنظام شركتي المؤمَّن عن طريق ثغرات غير متوقعة، عندما قال:

- إذا كنت أرغب في اختراق شركة آمنة، فلن أذهب لكسر الباب أو القفز من النوافذ لأقتحم شبكتهم، بل سأستهدف الأشخاص الذين تيقنت من أن لديهم إمكانية الوصول إلى هذه الشبكة وخوادمها الرئيسية أو نظامهم الأمني، وبخاصة الذين يجلبون أجهزة شخصية إلى مبنى الشركة، أو يعملون بالقرب من الأجهزة الحساسة، وأخترق أجهزتهم، ثم أبدأ عملي الحقيقي. إن هؤلاء الهاكرز أذكياء جدًّا، وماكرون بشكل لا يمكن وصفه، ولا يأبهون بأي قواعد أو قوانين، أو ما يخلفونه وراءهم من أضرار وأذًى.

إن أمامي وأمام رجالي وقتًا عصيبًا، حتى نغلق هذه الثغرة الكبيرة، ونكشف كل المتورطين. ولكن ما كنت أجهله في هذا التوقيت الحرج، أن جميع من حولي متورطون في شيء أكبر..

شيء كدت ألمسه وما أنسانيه إلا ذلك الكاهن أو الساحر الأمريكي ذو الأصول اليابانية، «يوشيدا».

لبعض الوقت غرقت في معاناة عقلية مروعة، محاولًا رتْق ذلك الثقب الهائل الموجود في ذاكرتي، وإكمال مجلدات عقلي

بأوراقها المفقودة، وتخطي ذلك الإحساس المُلح الذي لازمني بأن هناك شيئًا خاطئًا يدور من حولي أكبر من محاولات اغتيالي! ثم سئمت الوضع كله، وعدت بكل ضيق لأنغمس في عملي، سعيًا وراء استعادة نسق حياتي المعتاد.

ومن أجل هذا قمت بعدة رحلات لا رغبة لي في القيام بها لتفقد أحوال فروعنا الخارجية وأنظمتها الأمنية، بصحبة «نهى» التي تبدلت شخصيتها تمامًا، بعد مغامرتنا في البيت المسكون، وصارت تعمل كروبوت بلا مشاعر أو عواطف، وكأنها النسخة الفُضلى منها.

تلك التغيرات التي ناسبت التحولات الكبيرة التي أقوم بها في جميع فروع المجموعة، وإعادة تنظيم البيت من الداخل، والتي بسببها داهمني حنين هائل لـ«شذى»، التي تحمل نصف رقة العالم، وكل جماله، والتي لا تشبهها في شيء.

وفي النهاية قررت أن الموعد قد حان لفتح الصندوق الخامس الذي مضى عليه وقت طويل يقبع داخل خزانتي، لضخ بعض الإثارة في حياتي، بعد الرتابة التي أصبحت تُظللها، بعد أن وجدت الصندوق الثالث خاليًا من أي محتويات، وكأنني تخلصت من محتوياته، لسبب مجهول لا أذكره، ولن أذكره مع ثقب الذاكرة.

والصندوق الخامس، الذي يختلف في شكله عن الصناديق السابقة، في كونه أكثر طولًا ونحافة، وأقرب في تكوينه إلى المستطيل، كان يحتوي في أعماقه على قطعة فنية سحرية شنيعة، ومفزعة...

بل أكثر من مفزعة.. صنيعة سحر وساحر وحشي.. تجمدت لها الدماء في عروقي عندما وقع بصري عليها، ورأيت الشمعة

السوداء التي تعلو الأصابع، فور أن أزحت الغلاف الورقي، وفتحت الصندوق.

وكالمنوم مغناطيسيًّا رحت أتأمل الجزء البارز منها، ورائحتها الشنيعة التي تشبه رائحة الموت تتسلل إلى أنفي، وتثير في كياني قشعريرة باردة، وقف على أثرها الشعر في مؤخرة عنقي.

لم تكن هناك رقعة جلدية كالمعتاد تخفي تلك الكارثة.

وهو ما دفعني لأفكر:

كيف تعبر مثل هذه الأشياء من الجمارك، دون حجزها أو محاولة التوصل لمالكها؟

رحت أرمقها في رهبة، وعقلي يحاول أن يستعيد أي معلومات عنها، ولكن ذلك الثقب الموجود في ذاكرتي أعجزني، فهتفت في حنق:

- «حورس»، ما معلوماتك عن يد المجد»؟

وبسرعة ظهرت صورتها المقبضة على شاشته، وتراصت المعلومات أسفلها، ثم ثم راح صوته الآلي يرددها دون مشاعر:

- يد المجد هي يد حقيقية مجففة لرجل مشنوق، وغالبًا ما تكون اليد اليسرى - البعض يقول إنه لا بأس باستخدام اليمني وتوضع أعلاها شمعة سوداء، تُصنع من دهن نفس المجرم المشنوق. وإشعال الشمعة يجعلها تبدأ عملها السحري، وفور تفعيلها، تجعل من يراها يصاب بشلل مؤقت، أو يعمى عن رؤية حاملها. وقيل إن لها القدرة على فتح أي باب مغلق مهما كان نوعه أو وسائل تحصينه؛ لهذا كان اللصوص في العصور الوسطى يستعملون هذه اليد لسرقة البيوت.

وتقوم طريقة صنع اليد على عدة خطوات بسيطة، تبدأ بغلي اليد المقطوعة من المجرم المشنوق في محلول كبريتات النحاس والملح، ثم تعرض للشمس لمدة أسبوعين إلى أن تجف وتصبح جاهزة للاستخدام. أما الشمعة فمكوَّنة من دهن نفس الرجل المشنوق والسمسم بعد خلطهما، ووضع فتيل بداخلها، وتُثبَّت بين الأصابع، لتصبح كقادح الزناد عند إشعالها.

ويعتقد الأوربيون أن الطريقة الوحيدة لتفادي تأثيرها المدمر دهان عتبات البيوت بسائل من مرارة القط، ويجب تركيب هذا الخليط في أيام الشِّعرى «ما بين 3 يوليو و 15 أغسطس». وبواسطتها يمكن أن تقوم بطقوس الحماية من الشر.

وهنا هتفت في حنق أكبر، وأنا أشعر بذاكرتي كـ «بورسعيد» بعد أن قصفها الكيان الصهيوني بطائراته خلال حرب الاستنزاف، ردًّا على كمين السبت الحزين الذي قُتل فيه عدد من الجنود الإسرائيليين، خاوية.. خالية، ممتلئة بالحفر، وسألته:

- هل لديك أي معلومات إضافية عن هذه الطقوس؟

عاد صوته المعدني ليُدوي في أرجاء الغرفة، والمعلومات تتراص على شاشته لإجراء طقوس الحماية، عليك توفير بعض المتطلبات المحدودة، التي تتلخص في:

- يد مجد.
- شمعة سوداء.
- وقطعة من القماش الأسود.

والخطوات بسيطة:

- انشر القماش الأسود على الأرض.

- ضع يد المجد في وسط القماش.
- أشعل الشمعة السوداء.

ثم ردد التعويذة الآتية:

- يا يد المجد، أدعوك لحمايتي من الأذى.. أرجوك أن تحميني من السرقة.. أرجوك أن تحميني من كل الشرور.

ثم دع الشمعة تحترق حتى النهاية، وهذا يكفل لك الحماية من الشرور عامًا واحدًا فقط.

وبعدها أنت بحاجة لشنق مجرم اخر وقطع يده واستخلاص دهونه وخلطها بالسمسم، وهو أمر غير قانوني لو كنت تعلم.

لم أجد مزحة «حورس» الأخيرة مضحكة بأي حال من الأجوال فلم أكن في بال رائق لمزاح ذلك المساعد الذكي الافتراض.

فما إن انتهى من سرد تلك المعلومات الشنيعة عن «يد المجد»، وتلاشى صوته المعدني من الغرفة، حتى شعرت بجزء من الثقب يُرتق وعقلي ينشط قليلًا، وتلمع عيني وأنا أتأمل تلك التحفة السحرية الشنيعة التي ما زالت تقبع في صندوقها، دون أن أجرؤ بعد على المسها.

لقد أهداني «سيزر» هذه المرة تحفة قيمة...

بل سلاحا حقيقيًا..

ذكَّرني بأمنياتي الخيالية عندما كنت صبيًا أتخيل نفسي بطلًا خارقًا، وهم يخيرونني في مجمع الأبطال عن أي قدرات أختارها ...

الاختفاء كان أمنيتي الثانية، وهو ما ستوفره لي الآن «يد المجد»، لو صدق ما يدور حولها من شائعات حقًا، بينما ظلت

الأولى هي الطيران كـ «سوبر مان» الذي حققته باستخدام أجهزة الطيران المحدود، وضجيجها وثقلها. المحمولة في مناسبات ترفيهية عديدة، وإن لم تشبع رغبتي لمداها المحدود، وضجيجها وثقلها.

لمحت الرقعة الجلدية التي لم يسمح وضع اليد بوضعها بالطريقة المعتادة، وقد طُويت بشكل أسطواني، وحشرها طوليًّا بجوار هيكل اليد.

استخدمت طرف فتاحة الخطابات الأنيقة، وأخرجتها من الصندوق وفضضتها.

كانت أغرب رسالة رأيتها ضمن مقتنيات «سيزر»، التي كُتبت هذه المرة بخط أبيض سميك:

- الشاحبون لن يكونوا قريبًا بيننا.

لم أرهق نفسي كثيرًا في البحث عن مغزى العبارة أو ما يمكن أن تشير إليه، نظرًا لثقب ذاكرتي العميق، وكون كل إجابات «حورس» تدور في فُلك خيالي عن شاحبي قرية «هالماجيو» الذين يشربون الدماء، أو الجان الشاحبين في الفلكلور الأيرلندي، أو «الأوكامي» وحش البحر الياباني الشاحب ذي الأعين الحمراء وغيرها.

فقد حان الوقت لأصبح الرجل الخفي، وأتلصص على الجميع. إن مغامرتي الجديدة ستكون في أروقة المقر الرئيسي للمجموعة، ولأكشف بنفسي عن الخائنين والمتورطين في محاولات اغتيالي، ما دام «مازن» ورجاله ما زالوا عاجزين عن الأمر.

وبكل حذر أخرجت اليد المخيفة من صندوقها الخشبي، وقلبتها في يدي في بطء، كي لا تسقط الشمعة أو تتلف، وبداخلي يقين تام أن رائحتها الكريهة لن تفارق يدي ما حييت، ولكني وجدتها مثبتة بإحكام، واليد كغصن شجرة يابس.

الموت الكامن في اليد منحها ثقلًا أكبر من المعتاد، وإحقاقًا للحق... بعد أن تأملتها عن قرب شعرت بالاشمئزاز أكثر من الخوف، ورحت أتساءل:

- هل كان صاحبها يستحق الشنق، والتمثيل بجثته، واستخدام أجزاء منها في هذا الطقس المريـع؛ أم إنه شخص بريء قُتل شنقًا لصنع تلك الأداة الملعونة دون جريرة؟ جميعها أسئلة بلا إجابة، وشجعتني لأبدأ ما عزمت عليه، ودون تأخير.

الأدرينالين يتدفق في عروقي بغزارة حتى أكاد أشم رائحته..

شيطان المغامرات يتلبَّسني.

أحمل اليد اليابسة التي لففتها في المنشفة، وأتسلح ببعض أدواتي وأطلب من أحد رجال حراستي مفتاح سيارته غير المصفحة لأقودها بنفسي - لقد اعتادوا على شطحاتي هذه - فيتحركون أمامي وخلفي بسيارتين مجهزتين، وننطلق جميعًا إلى مقر المجموعة الرئيسي وتحديدًا إلى جراج الموظفين، فخطتي لا تشمل استخدام جراجي أو مدخلي الخاص.

كنت أتمنى أن يتم الأمر في سرية أكبر، وألا يصحبني أحدهم ولكنها التعليمات الأمنية المشددة الجديدة؛ هم لن ينفذوا أي أوامر تدفعهم للتخلي عن حراستي، أو تركي وحدي المغامرة

أخرى حمقاء، قد تتسبب في هلاكي وإلقاء اللوم عليهم، وخراب بيوتهم.

لم أشغل بالي بهم كثيرًا، وكانت آخر أوامري لهم، أن يحافظوا على المسافة بيني وبينهم، وألا يغادر أي منهم سيارته؛ لأنني لن أغادر سيارتي.

وبالطبع نفذوا التعليمات دون جدال، وعيونهم جميعًا مثبَّتة على سيارتي لا تبارحها، فلو نجحت التجربة فلن يراني أي منهم وأنا أغادر السيارة، وأما لو فشلت اليد، فسيحيطون بي خلال لحظات.

ولدقيقة كاملة، رحت أنظم أنفاسي، وأراجع خطوط الخطة العريضة غير المتكاملة في رأسي، ثم عزمت أمري، وفضضت المنشفة السوداء، وأخرجت يد الرجل المشنوق اليابسة.

نشرت المنشفة السوداء على ركبتيَّ بديلًا عن القماشة، تأملتها للحظة، وضعتها على ركبتي وثبتها بيد، وباليد الأخرى أخرجت قداحتي، وأشعلت الشمعة ببطء، وعيني معلقة بها، وكأن نارها المشتعلة تفتح بوابة الأسرار، لتعصف بي حرارة مباغتة جعلت جسمي كله ينتفض في عنف، ورأسي يدور للحظة...

ليتموج الهواء أمام عيني...

ويصير بعدها بصري أكثر حدة، وحواسي أكثر قوة.

وعلى أثرها توهجت كل الموجودات من حولي، وكأنما أضيئت بضوء خافت مجهول، جعلها تغرق في ضباب خفيف، أشبه بضباب لندن بعد سقوط المطر.

ليسود صمت ثقيل بعدها، ويحيط بي غلاف هلامي محسوس غير مرئي، أثار دهشتي أكثر من أي شيء آخر.

لا أذكر أن أحدًا ممن استخدم «يد المجد» قد تحدَّث عن هذا الغلاف الخفي العجيب، الذي أصبح يحيط بي إحاطة السوار بالمعصم.

كما لم يأتِ ذكره أيضًا في القصص والحكايات التي تدور حولها، وإلا لذكرها «حورس» في معرض حديثه عنها.

وعزوت ستار الصمت الذي ضُرب حوله لوجود عهد مجهول يقطعه مستخدموها، ينص على ألا يعلنوا عن أي من هذه التفاصيل المدهشة؛ فمثلها مثل كل هذه الأغراض السحرية التي إذا انكشف سرها، بطل عملها.

خرجت من السيارة، التي تعبق كل سنتيمتر فيها برائحة دهن الرجل المشنوق والسمسم المحترق التي جعلتها الرائحة كأنها خارجة للتو من محرقة جثث عتيقة.

وأعتقد أنها ستكون مفاجأة غير سارَّة لصاحبها.

الضباب الخفيف يحيط بكل الموجودات، ولكنه لا يعوق الرؤية كما أن الغلاف الهلامي لا يعوقني عن التنفس أو الحركة، بل على العكس منحني شعورًا بالخفة لم أحظَ بمثله من قبل.

أبعدت «يد المجد» وشمعتها عن وجهي قليلًا؛ فالغلاف الهلامي لم يمنع الرائحة من إحراق مستقبلاتي الشمية.

لينتابني وقتها إحساس مخيف بأنني لم أعد أحملها، بل إنها أصبحت جزءًا من يدي أو امتدادًا لها.

تحرَّكت إلى الأمام، ثم غيَّرت اتجاهي دون مقدمات، ودون أن أدري لماذا كانت ما تقودني قوة أكبر من أن أقاومها أو أعصيها ... ربما هي «يد المجد» نفسها.

وبخطوات سريعة، وجدت نفسي أتوجه صوب ذلك المصعد الصغير، الموجود في إحدى الزوايا غير الظاهرة من الجراج، والذي نعجز عن رصده عيون مستخدمي المصاعد الأخرى المتناثرة عبر المكان بسهولة.

كان بجوار المصعد لوحة نحاسية بارزة كُتب عليها باللغتين العربية والإنجليزية «غير مخصص للموظفين أو العملاء»، انعكس عليها ضياء الشمعة، دون أن يلفت نظر رجل الأمن المتحفز الذي يقوم على حراسته، والذي يتدلى من نطاقه صاعق كهربي، ومسدس مرخص للطوارئ والحالات التي لا يحسمها الصاعق...

أطعت تلك القوة القاهرة، وقررت أن أستخدم ذلك المصعد الصغير، الذي كان يناسب خطتي تمامًا!

تسلل هادئ إلى داخل مقر الشركة الرئيسي دون إثارة البلبلة أو الانتباه، أو المرور من خلال مصعدي المؤمن ومدخلي الشديد الحراسة، وحتى أكشف كل أسرار وإمكانيات اليد.

بالإضافة إلى أنني لم أكن واثقًا مما أخوض خلاله بعد، كما أنه أكثر أمنًا من دخول المقر عبر مصعد مزدحم بالموظفين.

وبخطوات واسعة حذرة، عبرت من جوار الحارس متوجهًا صوب باب المصعد المغلق لأبدأ مغامرتي، فلم ينهض من مكانه ليعترض طريقي، أو يُبدِ ما يشير إلى أنه قد شعر بمروري بجواره من على تلك المسافة القصيرة.

ثم تفاجأت بباب المصعد يُفتح في هدوء دون أن أضغط على زر الاستدعاء، ودون أن يخرج منه أحد.

وكدت أندفع نحوه لأسقط في بئره العميقة المظلمة، ثم تنبهت إلى أن المصعد نفسه غير موجود. تراجعت في اللحظة الأخيرة، وأنا أتأمل بعينين مندهشتين من خلال الأسلاك المعدنية التي تقوم بحمل المصعد وتحريكه، الفراغ الذي يقود إلى أسفل بيت المصعد، كاشفًا عن طوابق سفلية في شركتي لا أعلم عنها أي شيء.

سجلت المعلومة المخيفة في رأسي، ووضعت تحتها ألف خط، ثم ضغطت زر استدعاء المصعد ووقفت أنتظره في غضب عاتٍ، وأنا أضيف محورًا جديدًا لخطتي..

لم تقُدْني «يد المجد» إلى هذا المصعد عبثًا، بل كانت تكشف لي بعض الأسرار التي غفلت عنها.

كان فضولي يلتهمني لأكشف ما خفي عني، ولكني قررت ألا أجعل اكتشافي الصادم لتلك الطوابق السفلية يلهيني عن تنفيذ خطتي الرئيسية، فلا أعلم إلى متى ستظل الشمعة متقدة! وإلى متى يدوم تأثيرها! فقصة استمرار عام كامل هذه التي أخبرني بها «حورس» لا تدخل عقل طفل، وإلا صار اللص الخفي هذا أثرى أثرياء العالم.

تأخر المصعد عن المعتاد؛ فرُحت أتفحص بابه، وأنا أرمق الحارس الغارق في ملكوته بطرف عيني. لم يكن بجوار الباب أي لوحات إلكترونية، أو فتحات لكروت ممغنطة أو مفتاح مبرمج، فما الذي يتطلبه أكثر من ضغط الزر؟

- الصبر.

لا أعلم إن كنت سمعت الكلمة تتردد في عقلي، أم إنني من هست بها من بين شفتي! مضى الوقت في بطء السلحفاة وربما أثقل، فرُحت أتأمل الضباب الذي بدأ يتسلل عبر المداخل - أو هكذا خُيل لي - ليحيط بالسيارات المصطفة في أرجاء الجراج، ويغطي الجدران، ويحول بيني وبين حارس الأمن، الذي لم ينتبه بعد إلى وجودي أو إلى هبوط المصعد، الذي عبرت مدخله بعد أن سبقني إليه الضباب، والشمعة الموجودة أعلى «يد المجد» تتوهج بقوة، وكأنما تتفاعل مع حماستي لبدء هذه المغامرة غير المسبوقة.

ضغطت زر الصعود إلى الطابق الأول، وعيناي لم تُرفعا عن حارس الأمن الذي لم يصدر عنه ما يشير إلى أنه يرصد أو يدري بما يدور حوله، فقد ظل جالسًا على مقعده، وعيناه تمسحان المكان دون كلل أو ملل، يتحدث في سماعة الاتصال اللاسلكية إلى شخص ما يُدعى «صابر»، وكأن كل شيء على ما يرام.

عندما بدأ المصعد في الارتفاع، خفق قلبي في قوة، وتضاعفت حماستي بشكل لا يمكن تخيله؛ فكل ما يحيط بي يؤكد أن «يد المجد» التي أحوذها لم تكن فعالة فقط، بل إنها سلاح خطير للغاية.

سلاح يمنح صاحبها قوة خارقة، وهي الاختفاء...

وقوة مرعبة، وهي القدرة على اقتحام أي حصن ببساطة، وفتح أبوابه، وكشف أسراره.

ومن أعماقي تساءلت:

- هل يمكن أن تكون هذه هي الوسيلة التي استخدمها المخترقون في التسلل إلى نظامي الإلكتروني المحكم؟

دوى تنبيه وصول المصعد إلى الطابق المطلوب، فقطع عليَّ أفكاري، وأعادني إلى أرض الواقع.

خرجت من المصعد فور أن فتحت الأبواب بعد أن صارت رائحته كالمقبرة، لأجد نفسي في صالة الاستقبال الهائلة، التي لم أعبر من خلالها إلا مرات معدودة، لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، في بعض الجولات التفقدية، قبل أن يغيروا معظم ديكوراتها، بعد توسعات المقر الرئيسي الأخيرة.

وعلى الفور بدأت جولتي في المكان الذي لا أعرف كيف لم ينتبه أي من الموجودين للرائحة الكريهة التي تخلفها وراءها «يد المجد»

المكان عبارة عن خلية نحل، والموظفون على مكاتبهم يعملون بكل إخلاص، كمجموعة من الروبوتات المبرمجة.

وجود كاميرات المتابعة والمراقبة في أي مكان يرفع من كفاءة العمل.

كونك مراقبًا على مدار الساعة يحولك إلى آلة لا تتوقف عن أداء ما كُلفت به.

بل توفر على صاحب العمل وقتًا كبيرًا ضائعًا.

تأملت الكاميرات المنتشرة في أرجاء المكان، التي غلَّفها الضباب. فجعلها كأعين آلية تتربص بالجميع، وفكرة مقلقة تحتل كامل تفكيري:

- هل يمكن أن ترصدني الكاميرات وأنا أحمل «يد المجد»؟

من المتعارف عليه بين المهتمين بمثل هذه الأمور، أن بعض الكاميرات قادرة على رصد الأشباح والقوى الروحية الخفية، في أماكن وأوقات تعجز العين المجردة عن رؤيتها فيها.

فهل هذا ما سيحدث معي؟

أرى بعين الخيال أحد رجال الأمن، يتفاجأ بالمنظر المرعب الذي تبثه له الكاميرات، ولم يرصده مسؤول أمن الطابق أو يبلغ عنه، فيضغط زر جرس الإنذار الصامت، مستدعيًا كل رجال الأمن المدججين بالسلاح، إلى هذا الطابق؟

فهل فشلت المغامرة قبل أن تبدأ؟

توترت من أعماقي وأنا أتحرك بين مكاتب الموظفين رافعًا «يد المجد» إلى أعلى، وشمعتها المشتعلة التي لم تنطفئ جذوتها على الرغم من حركتي السريعة تتوهج أكثر وأكثر، محاذرًا أن أصطدم بهذا أو ذاك وسط الضباب الخفيف الذي كان يتسلل ليغمر كل شيء.

مستمتعًا للغاية بكوني خفيًّا، وأحقق أمنية قديمة بالتلصص على الجميع، دون أن يشعروا بي.

مخيف جدًّا أن يمتلك عدوك قدرة مماثلة، تجعلك مكشوفًا وعاريًا أمامه طوال الوقت.

مسحت الردهة الواسعة والممرات التي تحتوي مكاتب الموظفين

بنظرة بانورامية فاحصة، ثم ابتسمت.

المكان كله ملكي لأهتك ستره.

ولم أتأخر.

@ART_OF_BOOK

ورحت أسجل الملاحظات في ذهني.

معظم العاملين يقومون بأعمالهم بمهارة وإخلاص حقيقيين، وبعضهم مستمتع حقًّا بما يقوم به، وفي وسطهم يقبع بعض الأوغاد المستهترين الذين أعتقد أنهم هم تلك النافذة التي تسلل منها المخترقون إلى نظامي الأمني.

أحدهم كان يستغل عدم قدرة الكاميرات على رصد ما يفعله على جهاز الكمبيوتر المكتبي الخاص به فراح يراسل عاهرة ما، أرسلت له بعض الصور المشينة، متفاوضًا على السعر.

ذلك الحقير كان يستخدم برنامج محاكاة مكَّنه من تجنب برامج التتبع المدمجة مع أنظمة التشغيل.

وهناك من يستخدم ثغرة في شبكة الاتصالات الداخلية ليفسد عمل زميل آخر له.

الحقارة لا تنتهي في هذا العالم.

وفي مكتب آخر، كانت هناك موظفة أنيقة في العشرينيات من عمرها، يظهر عليها توتر غير الأكْفاء، وهي تراجع أحد رسائل البريد الإلكتروني وتعدل عليه دون توقف، وكلما ذهب مؤشر الفارة لزر الإرسال تراجعت وعادت لتعدل فيه، فقمت بهذه المهمة عنها، و همست لها في أذنها أنها جيدة.

ثم اكتشفت أن تلك الهشة الحمقاء كانت تراسل شركة أخرى من إيميل العمل الرسمي الذي يحتفظ بنسخة من كل الرسائل، بحثًا عن عمل أقل قيودًا وصرامة.

أما عن ذلك الحقير الذي كان يتظاهر بالعمل، وقد أوصل جهازًا حديثًا للألعاب في حجم كف اليد، وانهمك في قتال لا ينتهي مع

لاعبين آخرين عبر الإنترنت، فقد أثار غضبي بشدة؛ لأنه فتح نظامنا

الأمني على مصراعيه أمام المتسللين.

لقد أثبت لي هؤلاء المهملون أن كل نظام أمني مهما كان محكمًا، لن يخلو أبدًا من ثغرات...

وأن البعض أحمق من أن يعرفوا تبعات بعض أفعالهم التي يظنونها تافهة أو لا خطورة منها.

لن يستطيع أحد أبدًا، أن يصل للكمال.

فلم يخلق العالم لهذا.

لا بد من تقليم كل هذه الفروع الفاسدة، وأن يخضع جميع العاملين على مستوى شركات مجموعتي الاقتصادية إلى برنامج تدريب وتثقيف مكثفين على أمان ومخاطر الإنترنت، والهجمات الإلكترونية.

وقفت في منتصف المكان غاضبًا، فلم أعثر بعدُ على أي طرف خيط حقيقي يقودني إلى من حاول اغتيالي.

بدا المكان موحشًا مع كل هذا الضباب، الذي يغمر كل شيء.

وفي أعماقي نما شيء بدائي وحشي، جعلني أشعر بغربة هائلة في هذا الطابق الموحش الذي سقط فريسة للضباب، الذي لم أميز فيه أيًا من الموظفين المعتادين، على الرغم من وجودنا معًا في نفس المبنى.

مشكلة منظومات العمل الهائلة الحجم، أنك قد تعلم عدد التروس التي تدير ماكيناته الهادرة، دون أن تلتقي بأي منهم، إن الموظفين بالنسبة لي مجرد أرقام، وعملهم مجرد نتائج.

الطابق هائل الحجم، وسيحتاج إلى وقت طويل لسبر أغوار الجميع، وما زال أمامي الطوابق العليا والسفلى.

تملّكتني الحيرة قليلًا، فوقفت في منتصف المكان لأقرر خطوتي القادمة، كنت أشبه بهيئتي هذه، و«يد المجد» التي أرفعها فوق رأسي، تمثال الحرية الشهير. والفرق الوحيد هنا.. أنني تمثال حي.. من لحم ودم.. وبديلًا عن الشعلة المعروفة، أحمل يد الرجل المشنوق المنتهية بتلك الشمعة اللعينة الرائحة.

أثناء تجوالي بين المكاتب، استطعت تمييز كل الأصوات المحيطة بي دون أن يعوقها ذلك الغلاف الهلامي الخفي، وبرغم هذا كنت أشعر بأن المكان أهدأ مما يجب أن يكون عليه.

كما لم أعلم علاقة الضباب بما يحدث، ولكنه كان يتزايد ببطء، ليغلف كل شيء يقع عليه بصري...

الأشخاص...

وأجهزة الكمبيوتر...

والطاولات...

والأضواء.

اعترض طريقي أحد رجال الأمن الذين أصبح وجودهم ملحوظًا في كل الطوابق من بعد عملية الاختراق، وهو يسير بجوار أحد المشرفين، الذين يميز رابطةَ عنقهم دبوسٌ خاص، لأجفل، وأنتحي جانبًا كي يمر، لأطلق ساعتها شهقة عالية، وأنا أنظر لظهره، وهو يقطع الممر.

كان وجهه باهتًا للغاية، وبشرته شفافة، وعيناه مطفأتين، وكأنها خلتا من الحياة.

كان أشبه بطيف أو شبح!

أو جثة شاحبة تتجول خلال الضباب بصحبة المشرف.

ولذلك رحت أتتبعهم خلال جولتهم التفقدية عبر المكاتب التي بدأت أشعر أنها تفتقد إلى الحياة، مع كم الرقابة المفروضة عليها، لابد أن «مازن» أقسم بينه وبين نفسه ألا يتكرر الموقف، وألا يقف كالتلميذ الفاشل أمامي مرة أخرى.

من خبرتي أدرك أن مواقع العمل الخاضعة للمراقبة المستمرة، تمثل عبئًا نفسيًا كبيرًا على العاملين فيها، صحيح أنها وسيلة مضمونة لتحقق نسبة إنجاز أعلى، وجودة عمل أفضل، ولكنها تدمر أرواحهم ببطء؛ لأنها أشبه بزنازين يحرسها الخوف.

والحقيقة أنني لم أشعر بأي قدر من الذنب أو تأنيب ضمير تجاه أي من هؤلاء الموظفين المتأنقين؛ لأن الشروط كانت واضحة في العقود التي كانت حلم كل واحد منهم.

هؤلاء الروبوتات المصنوعة من لحم ودم استبدلوا حريتهم لبعض الوقت بكثير من الأموال. ومن الواضح من ثيابهم وهواتفهم، وسيارتهم الحديثة، أنها صفقة رابحة.

الضباب يتزايد...

والمكان يصبح أكثر برودة.

لا مزيد من التجاوزات.

إن المرور رجل الأمن الشاحب بصحبة المشرف رهبة مضاعفة.

من الواضح أني وحدي من أرى هذا الشحوب، والهيئة الغريبة لرجل الأمن الذي يسير بجوار المشرف منتفخ الأوداج؛ لأن ملامح الموظفين جميعًا لا توحي برؤية أي شيء غريب فيه.

في المكتب التالي، رأيت شاحبًا آخر، يجلس خلف مكتبه، وقد تعامل مع المشرف بخوف شديد، وتعامل معه المشرف بطريقة متعالية مهينة؛ لأنه من تلك النوعية التي تعترف بالجُرم عند أقل ضغط، حتى لو لم يرتكبه، والتي يفضل المشرفون أن يجعلوهم عبرة.

لم أكن لأعلق على طريقة أحد الموظفين لديَّ مهما كانت قسوتها، ما دامت تحقق مصلحة العمل العامة، ولكن ذلك المشرف القصير كان قاسيًا مع الجميع بشكل مبالغ فيه. وقد قام بتوقيع بعض العقوبات على الموظف التالي، الذي لم أُعِرْه أي انتباه، وأنا أتابع الموظف الشاحب، الذي ما إن غادر المشرف مكتبه، حتى طفرت من عينه دمعة قهر.

مجتمع العمل قاسٍ حقًّا.

دقائق وسيمسح الموظف المضطهد دموعه، ويعود للعمل، ومن أعماقه سيتخيل أنه عملاق أسطوري، يهدم الشركة على رؤوس من فيها، ويقتل مشرفه ويمثل بجثته، ولكنه فور أن يستلم الراتب التالي سيغفر للجميع، لتدور الدائرة.

التجاوزات هنا كثيرة جدًّا.

وتحتاج من الأخ الأكبر الذي يراقب الجميع أن يعمل بجد أكبر..

وأن يكون أقسى مع الموظفين المستهترين.

إن سلسلة الأحداث التي قادت لنجاح هذا الاختراق المميت، قد

تكون بدأت من هنا، أو من أي مكان آخر.

إن الإهمال الذي يتجذر في أسفل الهرم، لا بد أنه يمتد إلى أعلاه.

المزيد من الشاحبين يظهرون هنا وهناك.

أعدادهم تتزايد بشكل ملحوظ.

تُرى ما سرهم؟ وما سر هذا الشحوب الذي يعتري وجوههم؟

وهل لهم علاقة بالطوابق السفلية؟

حتمًا ستكون لي زيارة إلى هناك.. زيارة عاصفة.

قمت بجولة أخيرة في المكان لأن شعورًا غامضًا أخبرني أنني لم أُنهِ عملي هنا بعد.

لاحظت أن وهج الشمعة يتضاعف كلما اقتربت من أحد الشاحبين، الذين لم يختلفوا كثيرًا عما عداهم من الموظفين الآخرين إلا في وجوههم الشاحبة الخالية من الحيوية؛ فهم يتحركون ويقومون بأعمالهم بروتينية ورتابة الأحياء.

لم أكن ملمًّا بما تفعله «يد المجد»، أو تأثيرها على من حولي، ولكنني كنت أذكر ما كُتب على الرقعة الجلدية، والذي أختص به الشاحبين دون غيرهم، وبدأت أشعر بالقلق...

بل بقلق شديد.

وفي فترة الاستراحة، بدأ الضباب يتزايد بشكل ملحوظ، فرُحت أتابعه وقلقي يتضاعف، هناك شيء ما سيحدث..

الصمت يغلف كل شيء...

الصمت الذي يسبق كل العواصف السيئة.

من حولي كنت أشعر بحركة غريبة، حركة على مستوًى آخر من الوعي، وكأنني أنصت لصوت خطوات تُدوي في عالم آخر.

بدأ الموظفون يغادرون مكاتبهم ويتفرقون، البعض يذهب إلى قاعات جانبية، والبعض إلى الشرفات الغنية بالنباتات والأزهار، ليستنشقوا هواءً نقيًّا، وليقنعوا أنفسهم أنهم ما زالوا أحرارًا، و..... والشاحبون..

كانوا يتوجهون جماعيًّا إلى أحد المصاعد الداخلية، التي تقود إلى المطعم في الطابق الذي يعلوهم.

انقلبت معدتي لرؤية هذا الحشد منهم. هناك شيء خاطئ يحدث لا أفهمه! لماذا ينجذبون إلى المصعد كما تنجذب الفراشات للنار التي تحرقها؟

هل بهم خطب ما؛ أم إنهم ما زالوا أشخاصًا طبيعيين جوعى، ونظرتي لهم فقط هي التي اختلفت؟

أضعت وقتًا ثمينًا في التفكير، أعاقني عن اللحاق بهم في الوقت المناسب، ليغلق باب المصعد، ويبدأ رحلة صعوده.

وأمام عينيَّ المندهشتين راحت أرقام الطوابق تتبدل بسرعة حتى وصل بسرعة قياسية إلى الطابق الثالث عشر.

لم يكونوا متوجهين إلى المطعم إذًا..

بل إلى طابق الإدارة العليا الذي يحتوي مكتبي.

نعم، مكتبي في الطابق الثالث عشر، وهو مكتب أبي الذي لم يؤمن يومًا بنحس الرقم (13)، بل كان يقول: إن الانسان هو من يصنع خرافاته.

فهل أنا أيضًا أصنع خرافتي هنا؟

هل يمكن أن يكون لتلك اليد المشوّومة تأثير مهلوس؟

هل دسوا في دهن الرجل المشنوق السم الذي سيصر عني، وأنا انحرفت معهم؟!

وفجأة دوَّت الفكرة المخيفة في رأسي...

كيف استطاع المصعد قطع الأدوار الاثني عشر الأخرى، في هذه الوقت البسيط؟

إنه مجرد مصعد، وليس طائرة نفاثة.

ليُدوي صوت جهاز الإنذار الرهيب كنعيق الغربان في المكان ويظهر على الشاشات المتناثرة في كل مكان جملة:

- تمَّت السيطرة على النظام.

لقد عاد هؤلاء الأوغاد الذين حاولوا قتلي في المستشفى.

وهم هنا الآن في قلب المقر الرئيسي!

في عريني نفسه...

وتحت أنفي!

شعرت بغضب عاتٍ، وأنا أرى الأرقام تتبدل بسرعة أكبر مشيرة لأن المصعد خارج عن السيطرة، وأنه يهبط بسرعة جنونية، تتجاوز على الأقل ضعف السرعة التي ارتفع بها. ولو لم يوقفه أحد، فإنه سيصدم بالمصدات المعدنية الموجودة في الطابق الأرضي، وسيؤدي ذلك إلى تحطمه على الفور، ومقتل كل من فيه إلا بد من تحرك سريع لإنقاذ هؤلاء الغافلين.

وسبق الحدث الهائل أفكاري.

وعندما دوَّى صوت ارتطام المصعد بالمصدات الأرضية المعدنية في عنف شديد، ليسحق بمن فيه.. تزلزلت من أعماقي، ورحت أنظر للموظفين ورجال الأمن الذين توافدوا من كل مكان على موقع الحادث، غير مصدق ما حدث ويحدث.

ووسط الهرج والمرج الشديدين، راحت تُدوي الجملة في رأسي، كصدى صوت الموت ذاته:

- الشاحبون لن يكونوا قريبًا بيننا.

سحقًا! أنا من قتلتهم بفتح ذلك الصندوق اللعين، وباستخدام تلك اليد الملعونة.. لقد صرت أنا يد الموت، التي أرسلتهم إلى حتفهم.

وفجأة اشتعلت أجهزة إطفاء الحريق، وأطفأت لهيب الشمعة ليُدوي الصوت ذو اللكنة الأجنبية في المكان:

- ها هو، أحضِروه للطابق السفلي.

وهنا قررت أنني لن أستسلم لهم.

إنني لست هزيلًا أو ضعيفًا..

وسأقاتل هذا الغزو الحقير لمقر شركتي..

و.... اللعنة على تلك الصواعق الكهربية...

إنها مؤلمة بشكل رهيب.

@ART_OF_BOOK

صندوقان

عندما استيقظت من غيبوبتي، وجدت نفسي في ذلك الجناح الطبي المؤمن في مستشفاي الاستثماري، راقدًا على ظهري، متصلًا بذراعي العديد من الأقطاب الكهربائية الموصولة بالعديد من الأجهزة الطبية، ومحقن معدني مغروس في ذراعي، متصل بأنبوب بلاستيكي ينتهي بكيس مليء بالسائل المغذي، معلقا على حامل معدني، ويعصف برأسي صداع لا يحتمل.

يؤججه في رأسي فكرة مريرة، أني قد مُنيت بهزيمة كاسحة أخرى على يد هؤلاء السحرة الجدد الذين اخترقوا بسحرهم التكنولوجي النظام الأمني الشديد التعقيد، للمقر الرئيسي لشركتي، وبكل تبجح، كما اخترقوا مستشفاي من قبل، وقتلوا العديد من موظفي شركتي كما قتلوا المريضين المسكينين هناك.

أما عن كل تلك الأحداث التي سبقت يقظتي، وما كشفت لي عنه «يد المجد»، فقد تبخرت جميعها من ذاكرتي، كما تبخرت الأحداث الرهيبة التي سبقتها، التهمها ذلك الثقب الهائل المظلم، الذي يحفره بمعوله المدنس «يوشيدا».

أسفر حصر ضحايا حادث المصعد عن تسعة عشر موظفًا وموظفة، لن يروا منازلهم مرة أخرى. أغلبهم كانوا متزوجين ولديهم أسر، ونصفهم آباء وأمهات. رحلوا جميعًا بسبب أمر برمجي وضغطة زر.

كما نوهت بأن فريقا خاصا من أكبر شركات الأمن السيبراني الروسية، وصلوا منذ ساعات إلى المقر الرئيسي، ويعملون على تعقب الفاعل المجهول، مدعومين بفريق أمني خاص.

بل إنهم قد حددوا الدولة التي حدث منها الهجوم الأخير.

وأكدوا على كونها «إيطاليا»، وتحديدًا من مدينة «روما»، ثالث أكبر مدن الاتحاد الأوربي من حيث عدد السكان.

ويسعون خلال حديثنا لتحديد موقع المهاجمين بدقة أكبر.

كنت أنظر لطريقة حديث نهى الخالية من العواطف، والمرارة تتضاعف بأعماقي.

ترى ما الذي فقدته «نهى» في ذلك المنزل الملعون، لتصبح بتلك الشخصية القاسية اللامبالية؟! اعتصر الحزن قلبي على حالها، وعلى القتلى الذين لم يجف دمهم بعد، والذي وقر في أعماقي أنني المسؤول الأوحد عن كل ما أصابهم، وعن دمائهم التي سالت دون جريرة.

ناقشت نهى في بعض الأمور التي تخص الضحايا، وحجم التعويضات، وأبديت بعض الملاحظات التي دونتها كعادتها، وقبل أن تنصرف جاءها التحديث الأخير عن مجريات الأمور مع الفريق الروسي، ومفادها أنهم توصلوا بعد جهود حثيثة إلى موقع الفريق المهاجم، وأن فريقا أمنيا خاصا يقوم بمهاجمة وكرهم الآن، وهو الجزء الثاني من الفريق الروسي، والذين سافروا إلى «روما» فور أن حدد خبراؤهم المدينة كمعقل لهؤلاء المجرمين.

إن التكنولوجيا هي الغول الجديد الكامن تحت فراش البشرية.

هي السحر الأسود الرقمي...

وسحرتها بلا قلوب.

ولا بد من خطوات سريعة ورادعة لإيقاف هذا الهجوم الوحشي الذي يستهدفني، ويستهدف منشآتي، وعملائي، ورجالي، و... ولو تحالفت مع الشيطان ذاته.

والحقيقة أنني كنت متأخرًا جدًّا، في متابعة الأحداث المتسارعة في الخارج، التي أخذها رجالي على عاتقهم، وبدأوا حربهم الخاصة لرد الضربة أضعافا مضاعفة.

أخبرتني «نهى» التي كانت في عجلة من أمرها؛ لأنها من كانت تُشرِف على ملف القتلى، وما زال الموضوع ساخنًا، أنه جارٍ احتواء الموقف مع السلطات؛ فمن الناحية القانونية لا يوجد ما يدين الشركة، والخبراء القانونيون يجاهدون لحصر الأمر كله بين الهجوم السيبراني الخارجي، وإهمال الموظفين أنفسهم الذين تكالبوا على ركوب مصعد مخصص لعشرة أفراد بضعف العدد تقريبًا.

ودورها الحالي هو التفاوض مع ذويهم، والسيطرة على الوضع الحماية سمعة الشركة، وأسهمها التي انخفض مؤشرها في البورصة.

وأنها تسعى لجمع موافقات أسرهم، للحصول على تعويض مجزٍ، بالإضافة إلى كامل مستحقاتهم ومكافآتهم، مع توقيع الجميع على بنود عدم الإفصاح التي أعدها قسمنا القانوني.

كما نوَّهت بأن فريقًّا خاصًا من أكبر شركات الأمن السيبراني الفاعل المجهول، مدعومين بفريق أمنى خاص. الروسية، وصلوا منذ ساعات إلى المقر الرئيسي، ويعملون على تعقب

بل إنهم قد حددوا الدولة التي حدث منها الهجوم الأخير.

وأكدوا على كونها «إيطاليا»، وتحديدًا من مدينة «روما»، ثالث أكبر مدن الاتحاد الأوربي من حيث عدد السكان..

ويسعون خلال حديثنا لتحديد موقع المهاجمين بدقة أكبر.

كنت أنظر لطريقة حديث «نهى» الخالية من العواطف، والمرارة تتضاعف بأعماقي.

تُرى ما الذي فقدته «نهى» في ذلك المنزل الملعون، لتصبح بتلك الشخصية القاسية اللامبالية؟! اعتصر الحزن قلبي على حالها، وعلى القتلى الذين لم يجف دمهم بعد، والذي وقر في أعماقي أنني المسؤول الأوحد عن كل ما أصابهم، وعن دمائهم التي سالت دون جريرة.

ناقشت «نهى» في بعض الأمور التي تخص الضحايا، وحجم التعويضات، وأبديت بعض الملاحظات التي دونتها كعادتها، وقبل أن تنصرف جاءها التحديث الأخير عن مجريات الأمور مع الفريق الروسي، ومفادها أنهم توصلوا بعد جهود حثيثة إلى موقع الفريق المهاجم، وأن فريقًا أمنيًّا خاصًّا يقوم بمهاجمة وكرهم الآن، وهو الجزء الثاني من الفريق الروسي، والذين سافروا إلى «روما» فور أن حدد خبراؤهم المدينة كمعقل لهؤلاء المجرمين.

كنت بحاجة إلى الراحة؛ فجسدي كله ما زال يؤلمني، ولكن الأخبار الجديدة أجبرتني على تجاهل الأمر مؤقتًا، وانغمست بكامل مشاعري في متابعة مراحل عملية الاقتحام، على جهاز «نهى» اللوحي، والتوتر والترقب يعصف بي.

لقد انتقلت الحرب إلى ساحة المافيا الإيطالية، وأتمنى ألا أتورط معها، أو تتقاطع سبلنا؛ لأنه لا خلاص منهم إلا بالدم.

وعلى الرغم من سرعة وكفاءة الفريق الروسي، والفريق المهاجم، وطريقتهم الاحترافية في حصار الموقع المستهدف، واقتحامه، فإن كل جهودهم لم تسفر عن شيء، فقد كان من الواضح أن

المكان كله أُخليَ قبل ساعات من حضورهم، وتُرِك بداخله صندوق مغلق، مع رسالة موجَّهة لي كُتبت على الجدران:

- قريبًا.

وأسفل منها شعار «سيزر»: (vici, vidi ,Veni)

لقد جئت، ورأيت وانتصرت.

حاولت الربط بين كل هذا دون فائدة، فأخبرت «نهى» أن تتصرف لتتابع مشكلة الضحايا، وتحاول أن تنهيها في أسرع وقت، وتستخرج كل التصاريح المطلوبة للسفر إلى روما؛ فهناك ينتظرني صندوق جديد. وأتمنى ألا يكون الصندوق الأخير الذي أفتحه، بعد أن كشف «سيزر» نواياه، وأفصح عن نفسه بمثل هذه الطريقة المثيرة للشكوك.

فلا أحد يعلن كونه مسؤولًا عن جريمة قتل سقط على أثرها تسع عشرة ضحية، وبدم بارد، إلا لو كان أحمق، أو أن الأمر يدعم مخططه أو مخطط من كلفوه بالأمر، فقد بت على يقين تام من أنه واجهة لرجل اعمال دموي يبغى الاستحواذ على السوق، أو مجموعة منهم، استغلوا هوايتي وشغفي للعبث معي، ومحاولة قتلي، وهدم إمبراطورية العائلة الاقتصادية.

اعتدت من رجالي أن تتم كل الأمور بسرعة، ودقة، وهو ما حدث بالفعل.

كانت الرحلة إلى «روما» مرهقة...

ولكنها لم تكن مملة؛ فالأخبار لم تنقطع منذ غادرنا أجواء القاهرة، وحتى وصلنا لوجهتنا.

الفريق الأمني الروسي رفع كل البصمات، وجمع كل محتويات الكاميرات المحيطة بالمكان، ويعمل على تفريغها بواسطة محترفين لعلها تسفر عن طرف خيط أو معلومة هامة تقودنا إلى هؤلاء الأوغاد، قبل أن تتفاقم الأمور أكثر.

ولكن الأهم، كان عثورهم على صندوق معدني آخر محكم الإغلاق، لا يشبه كل تلك الصناديق التي حصلت عليها، فقد كان في حجم التابوت، وكُتب عليه بالحبر الأحمر السميك، وباللغة العربية:

مفتاح نجاة من في الداخل، يكمن في الصندوق الأول.

وبفحص الصندوقين، كان هناك عدة مفاجآت.

أولها أن الصندوق الصغير متعدد الطبقات، وبداخله جهاز إلكتروني، مستبعد أن يكون قنبلة أو أداة تدمير.

والثانية أن الصندوق المعدني الكبير ذو طبقتين، والطبقة الأولى الأشد صلابةً مصنوعة من سبيكة فائقة الصلابة من الكروم والنيكل والكوبلت، ومغلق بإحكام بلا رتاج خارجي أو أداة لفتحه، وكأنها صُب صبًّا على ذلك الكائن الحي الموجود بداخله، والذي ينبض قلبه في وهن دليلًا على تخديره، والفحص الظاهري يُظهر كونه رجلًا.

وبعد حساب معدل النبض، واستعانتهم بأجهزة فحص متطورة، قدَّروا أن المدة الزمنية التي سيفسد فيها الهواء، ولن يعود صالحًا للتنفس، ويموت ذلك الشخص المجهول، لن تتعدى بضع ساعات، في أفضل الأحوال.

قشعريرة باردة سرَت على طول عمودي الفقري، فقد ذهبت من أجل صندوق مظلم واحد، فكانت المفاجأة أن هناك اثنين...

أحدهما بداخله رجل بالغ.

تُرى من يكون؟

وما أهميته وسط كل ما يحدث؟

من تعاملي مع «سيزر» أعتقد أنه لن يقل عن كونه أحد مصاصي الدماء، أو دراكولا شخصيًّا؛ فالسحر لا ينتج عنه إلا المسوخ.

- اللعنة، ما الذي أوقعت نفسي فيه؟

همست بها لنفسي، فكل هذه الصناديق، لم يأتِ من ورائها خير قط، وأنا قد اكتفيت من طابور الضحايا الذي يتساقط خلفي.

- هل أنا خائف؟

الخوف هو الغريزة الأساسية التي نحيا بها، ولكن ما بداخلي شيء أكبر من الخوف، والرعب.

إنه الهلع من أن أصير يد الموت الغاشمة، التي سترسل ذلك الرجل المجهول إلى حتفه، أو أيًّا من هؤلاء الرجال المحيطين بي، الذين لا بد أن لدى كل منهم أسرة وأطفالًا.

الخواء هو ما شعرت به، وأنا أجتاز بوابة ذلك المخزن القديم المتوسط الحجم الجيد الإضاءة، الذي انتشر فيه الفريق الأمني الروسي المكوَّن من عشرة رجال مسلحين ضخام الجثة، وامرأة واحدة هي قائدتهم الشقراء المفتولة العضلات «أولجا»، ذات

الوجه البارد، التي لا يفارق يدها جهاز لوحي حديث تتابع عبره التطورات مع الفريق التقني الآخر.

كانت فاتنة برغم كتل عضلاتها البارزة، ورحت أتابعها، وهي تقترب مني في خفة، في الوقت نفسه تُلقي تعليماتها على رجالها، لتأمين المكان بشكل أفضل فور وصولي.

هذا ما فهمته بالطبع من تحركاتهم المحترفة، فأنا غير مُلم من الروسية إلا ببضع كلمات.

قادتني «أولجا»، بأسلوب عملي قح، إلى تلك الطاولة المعدنية التي تتوسط المخزن القديم الذي أُخليَ ليكون مقرا لهؤلاء المخترقين الدمويين.

الأمر بالفعل كما قالوا، لا يحتاج إلا أجهزة محمولة حديثة، وشبكة إنترنت قوية، ومهارة وعبقرية العنصر البشري.

المكان نفسه ليس عنصرًا حيويًا في العملية، إنه فقط للحفاظ على أمنهم وسلامتهم.

ومع انتشار الإنترنت الفضائي، لم يعد للمكان أهمية.

طردت تلك الأفكار من رأسي، وأنا أقف أمام الصندوق الصغير غير المغلف، الذي وُضع على سطح الطاولة المعدنية، والذي وصفوه بكونه متعدد الطبقات، ثم تنبَّهت إلى أن بجواره، وعلى عربة دفع يدوية ذات عجلات، قبع ذلك الصندوق المعدني المصمَت، الذي ينتظر قرارًا واحدًا أحمق مني، ليتحول إلى قبر صامت إلى الأبد، بداخله جثة رجل مجهول.

قطعت عدة دورات بخطوات بطيئة حول الصندوقين المغلقين وأنا أمسحهم بعيني الفاحصة، محاولًا ألا أُظهر خوفي أو توتري، أمام «أولجا» ورجالها، ورجالي ينتشرون في المكان كتأمين

إضافي، ثم سحبت أحد المقاعد، وجلست أمام الصندوق الأصغر، الذي كُتب عليه باللغة العربية رقم أربعة، والعيون معلقة بي تنتظر ما سأقوم به.

نظرت للرقم وهمست:

- اللعنة.. رقم مشؤوم آخر.

فالرقم أربعة يُعَد في العديد من الثقافات رقم نحس، وله دلالة في العديد من اللغات كالصينية واليابانية والفيتنامية والكورية؛ لأن منطوقه في هذه اللغات يشبه منطوق كلمة الموت.

الموت رائحته تزكم أنفي بالفعل، والصندوق الرابع قد يكون وسيلة سريعة إليه.

الصندوق المفقود، الذي لم أحظَ بالفرصة لشرائه، فعاد ليطاردني.

الصندوق القادر على التحكم في الحياة والموت.

لذلك رددت في سري بعض الأدعية التي لم ألجأ إليها منذ فترة طويلة، بعد أن انجرفت في هذا المستنقع الآسن، ثم فتحته، لأجد بداخل الصندوق صندوقًا آخر أصغر منه قليلًا.

ولأسمع بعدها صريرًا معدنيًّا مكتومًا، كمن يجر عدة سلاسل في وقت واحد على أرضية خشنة، أجبرني على رفع رأسي بسرعة، والنظر حولي، لأرى تلك الحواجز المعدنية القوية، وهي تهوي لتغلق كل المداخل والمنافذ، ولتحيل المخزن إلى صندوق كبير معزول.

ارتجف جسدي للمفاجأة، وكاد الخوف يتملك مني، عندما دوى صوت «أولجا» القوي وهي تصرخ بالروسية:

Не станавливайся, продолжай делать то, что делаешь.

وعندما رأت ملامح عدم الفهم المتكامل على وجهي، عادت التردد كلماتها باللغة الإنجليزية:

- لا تتوقف.. أنْهِ ما تفعله.

قبل أن تستدير لتلقي أوامرها لرجالها الذين أشهروا أسلحتهم، وراحت عيونهم تمسح المكان في حذر، في حين صنع رجالي حولي دائرة حماية محكمة، وظهورهم لي، وهم يشهرون أسلحتهم أيضًا، جاعلين كل شيء في مرمى أسلحتهم، حتى الفريق الروسي.

حثَّني هتافها على الاستمرار، رغم ما سكنني من خوف؛ فلا أعرف ماذا سيحدث لنا عند فتح الصندوق التالي! وبقلب واجف ويد حاولت ألا أجعلها ترتجف، أخرجت الصندوق الثاني، ونحَّيت الصندوق الأول جانبًا، ثم فتحته، لتنطفئ بغتةً جميع الأضواء، عدا كشاف طوارئ واحد، اشتعل ليغمر المنضدة والصندوق الصغير وكأننا في عرض مسرحي سخيف.

ليشعل بعدها بعض الرجال أضواء الكشافات، والبعض الآخر المصابيح الموجودة في مقدمة أسلحتهم الآلية ونصف الآلية؛ ليقع بصري على الرقعة الجلدية التي كشف عنها الصندوق أخيرًا...

الرقعة الجلدية التي تمثل التوقيع المميز لـ «سيزر»، والتي كُتب فيها:

- أنت متأخر كثيرًا.

وهنا لمعت في ذهني فكرة مخيفة، فرفعت رأسي، ووجَّهت حديثي لـ «أولجا» متسائلًا بالإنجليزية:

- هل قلب الرجل الموجود في الصندوق الكبير ينبض؟

نظرت في جهازها اللوحي، ثم أطلقت سبة بالروسية، وأجابت بالإنجليزية:

- لقد توقف منذ لحظات.

استدرت بسرعة، لأخرج الصندوق التالي الأصغر، وأفتحه في عصبية، لتنطلق في المكان نبضة قوية، وتنطفئ على أثرها كل مصادر الإضاءة، حتى مصباح الطوارئ، ويسود ظلام دامس ليهتف «عمر» قائد فريقي الأمني الجديد:

- لقد استخدموا نبضة كهرومغناطيسية، أتلفت كل الأجهزة الإلكترونية وجعلتنا معزولين عن العالم.. لن نستطيع فتح هذه الأبواب إلا بمساعدة خارجية نحن عاجزون عن طلبها، سيبقى نصفنا لحمايتك، والنصف الآخر سيبحث عن مخرج آخر.. وحاول أن تفكر في جدوى ما تفعله، حياة شخص واحد لا تساوي حياة الجميع مهما كان أهميته.

وتَّرني حديث «عمر»، البديل الجديد لـ «مازن»، فعلى الرغم من أنه لم يمضِ على خدمته لي إلا فترة بسيطة، فإنه مطلع على شغفي وهوايتي، ويعلم أن وجوده هو ورجاله، لتسهيل ممارسة هذا الشغف، ولكن من الواضح أن هناك شيئًا يوتره، أكبر من مواجهة قادمة مع بعض رجال المافيا المسلحين أو العصابات المرتزقة، وهو الشيء الغامض نفسه، الذي يجبرني على مواصلة ما أقوم به...

شيء ما يخبرني أنه أهم صندوق سأفتحه في حياتي.

ولذلك تجاهلت حديثه، وأنا أسمع بأذني صوت خطوات رجاله المسرعة للبحث عن مخرج، و«أولجا» التي راحت تصرخ في رجالها الذين أعادوا انتشارهم في المكان، لتبدد بعضَ الظلام خمسُ قدَّاحات اشتعلت تباعًا، ولأقلدهم مُخرجًا قداحتي وأشعلها، وأضعها بجوار الصندوق كشمعة مرتجلة، ويتملكني إحساس موحش بأننا عُدنا ألف عام من الحضارة إلى الوراء.

صوت «أولجا» يحثني على الإسراع، فأخرج الصندوق قبل الأخير وأفتحه، لأسمع صوت الهسيس الرهيب ينطلق في أرجاء المكان ليغمرني توتر هائل، و«أولجا» تصرخ بلغتها الروسية، وبعض رجالها يعتصرون أزندة أسلحتهم، ويطلقون رصاصاتهم نحو عدو مجهول، لأراهم بعدها على ضوء القداحة يتساقطون، و «عمر» يصرخ:

- اهرب يا سيد «محمود»؛ إنهم يطلقون علينا غازًا سا.....

وقبل أن ينهي عبارته، وجدت نفسي أندفع نحو الصندوق الأصغر الأخير، وأفتحه بسرعة، لأجد بداخله قناع تنفس إلكترونيًّا، تأملته لحظةً غير مصدق، وأنا أضعه على وجهي، وأنا أدعو الله ألا يكون الغاز قاتلًا، بل مخدرًا، كي لا يثقل ضميري بسقوط مزيد من الضحايا.

ال

وفي اللحظة التالية، حدث أكثر شيء إفزاعًا في تلك الليلة، فقد تألق الصندوق الكبير الأقرب إلى التابوت، ليضيء حوله مساحة كبيرة من المكان بضوء باهت، جعلتني أرى «أولجا» ورجالها مكومين على الأرض، وعلى مسافات منهم رجالي، في أوضاع غير

مريحة، ولم يساعدني الضوء الشاحب على تحديد إن كانوا أحياءً أم أمواتًا.

وبكل حذر اقتربت من الصندوق، الذي تألقت من فوقه كلمات مخيفة:

- الدم هو المفتاح.

وهنا تلفَّتُّ حولي في رعب، متوقعًا أن يخرج من الظلام من يسفك دمائي ليفتح الصندوق، ثم تنبهت لحماقتي، أنا هنا لأني من سيفتح الصندوق، ولا بد أن الدماء المقصودة هي دمائي، وعليَّ أن أفعلها بسرعة.

بحثت حولي عما أستخدمه لسفك دمي، فلم أجد، ثم نظرت نحو «أولجا»، لا بد أنها تحمل خنجرًا مخفيًّا في حذائها الطويل.

إنها محترفة، وهذا ديدن كل المحترفين.

وبالفعل وجدت هناك مجموعة من السكاكين الصغيرة، انتزعت إحداها، وذهبت إلى الصندوق، ومررتها على كفي، ليسيل دمي على الصندوق، الذي توهج مرة واحدة، قبل أن أسمع صوت رتاج داخلي يُفتح بصوت قوي تردَّد صداه في فضاء المخزن الصامت كالمقبرة.

ودون تفكير، اندفعت نحو الصندوق وفتحته، فوجدت بداخله صندوقًا خشبيًّا آخر تحيط به الطلاسم، فلم أتردد في استخدام نصل السكين لفتح غطائه، وعلى الضوء الضعيف الخارج منه، رأيت ما أرعبني حتى الموت...

رأيت أبي الذي دفنته بيدي منذ سنوات خلت في «روما»، ينهض ليجلس في منتصف الصندوق، وهو يتنفس في جشع.

وعندما وقع بصره على وجهي الذي كساه الذعر، دوَّى صوته الواهن في المكان، وهو يقول ضاحكًا:

- لقد كدت تفعل بي ما عجز عنه كل الأوغاد عبر السنين، كدت تقتلني بحماقتك وبطئك.

شهقت من الصدمة، وأنا أتراجع إلى الخلف، أسأله بصوت مختنق من خلف القناع:

- أأنت أبي حقًّا، أم إن هذا الغاز الملعون يعبث بعقلي؟

أشاح بيده بطريقته المعتادة التي أفتقدها، وقال وهو ينهض مبتسمًا:

- ومن أكون غيره؟! هل تعرف شخصًا آخر يحمل هذه الملامح؟!

لقد وعدتك ألا أتخلى عنك أبدًا.

تأملته من أعلى إلى أسفل، وكأنني أنظر إلى شبح أو جثة خارجة من القبر، وقلت في روع:

- ولكنني دفنتك بنفسي، وودعتك في «روما»، وواريتك التراب بيدي.

عاد يشيح بيده، ويبتسم نصف ابتسامة، وهو يقول:

- وهل رأيت وجه الجثة الملفوفة في كفنها بأم عينك؟

هززت رأسي أن لا، ثم قلت في استنكار:

- حسنًا، لماذا كل هذا؟

قال في حسم:

- لأن وجودي بالقرب منك في هذا التوقيت، كان سيؤذيك، كان عليَّ أن أشغل من يهددك بالبحث عني؛ لأنه كان على يقين تام، دون العالمين بكوني ما زلت على قيد الحياة.

هتفت في غضب:

- لماذا لم ترسل لي في سرية لو كنت تخشى عليَّ أو على نفسك؟ كنت سأحميك أنا ورجالي.

قال في هدوء:

- لو أن الأمور بهذه البساطة، لما زيفت موتى، و...

وهنا لم أستطع أن أسيطر على مشاعري، وأنا أقاطعه وأسأله في لهفة:

- وهل ما زالت أمي حية هي الأخرى؟

ظهر حزين مكين على وجهه، وهو يقول في أسًى:

- مع الأسف لا.. لو كانت حية لم تكن لتتركك لحظة واحدة بعيدًا عنها، ولو طاردها ألف قاتل مختل.

وهنا قفز سؤال مخيف في رأسي، فألقيته عليه:

- وهل ماتت أمي موتة طبيعية، أم هي ضحية أخرى لكل هذا ال...؟

وعندما عجزت عن وضع وصف لكل ما نمر به، جاء صوته لينقذني، وهو يقول بكل حزن:

- لم تكن أولى الضحايا ولا أُخراهم، ولكنها وحدها من منحتني ال..

وهنا قاطعته، وغضب الدنيا يقفز في وجهي:

- أنت من ورَّطتها في هذا العالم الدموي.. لماذا لم تُخفِ الأمر عليَّ أو تكذب حتى لا أكرهك بذنبها؟

هز رأسه في بطء، وقال بجدية:

- هذا عالم بلا أسرار يا ولدي.. والماضي لا يمكن تغييره أو إخفاؤه؛ لأنه كما يحدث الآن سيطاردنا، ولكي ننجو علينا أن نستعيد ما لنا.

نظرت حولي، لأجساد الرجال المسجَّاة على الأرض، كأنها خلت من الحياة، وسألته في لهفة:

- وما هو؟

ليتجاهل الإجابة ويسألني:

- أتعرف لماذا تزوجت أمك؟

استأت من تجاهله لسؤالي، فلم أجبه، فأكمل قائلًا:

- لأنني كدت أفقد الأمل في أن أستعيد ما فُقد.

سألته في نفاد صبر، وعيناي تتفحصان «أولجا»، والرجال، وأزعجني أنني وسط هذه الإضاءة الضعيفة غير قادر على تحديد حالتهم، وعما يختبئ لنا في قلب الظلام:

- وما هو؟

أجاب بلا تردد:

- الكنز.

قلت لأعلمه بأنني بت أعلم كثيرًا من الأسرار:

- هل تقصد كنز جدي الساحر «علي»؟

@ART_OF_BOOK

وهنا جاءت الضربة القوية التي هزتني من أعماقي، وهو يقول في صرامة:

- الساحر «علي» ليس جدك، بل أبوك.

رددت في ذهول، وأنا أدير العبارة في رأسي:

- ماذا تعني؟

رد في صرامة، وعيناه تلمعان في قلب الظلام، مع ضوء الصندوق الذي أوشك على الخفوت:

- أعني أن الكنز لم يكن التماثيل والمقتنيات الذهبية الهائلة التي وجدتها في المقبرة، وصنعت إمبراطوريتنا التجارية، بل القنينة التي منحتني هذا العمر الطويل.

هتفت في غير تصديق:

- أي جنون هذا؟!

نظر للصندوق الذي بدأ ضوؤه يهتز منذرًا بقدوم الظلام:

- من حقك ألا تصدق، وأن تكذبني، ولكن كل شيء سيظهر عندما نستعيد ما لنا.. بإمكانك أن تخلع القناع، لقد انتهى تأثير الغاز السام، وعاد الهواء صالحًا للتنفس.

شهقت في قوة، وقلت في غضب:

- السام.

ثم اندفعت نحو «أولجا» لأهزها بقوة، ولكنني رأيت نظرة الموت في عينها، فعدت له صارخًا:

- إن كان الغاز سامًّا، فلماذا لم تمت؟ ولماذا حبست نفسك في الصندوق؟

انطفأ ضوء الصندوق الخافت بغتة، فساد ظلام دامس، جعل صدري يضيق، فتعالى صوته في قلب المخزن الصامت، بعبارة ما بلغة عجيبة، اشتعلت على أثرها كل أضواء المكان الذي تحوَّل إلى مقبرة تفوح برائحة الموت، ثم قال:

- أبوك ليس شخصًا عاديًّا يا «محمود»، الساحر «علي» لا يموت بالغاز السام أو غيره، ووجودي في الصندوق كان نوعًا من إحباك الخدعة، وقطع الطريق على ذلك الوغد الذي يطاردني حتى ينسى، وأنهض أنا من سباتي لأستعيد ما لنا.

تأملت وجهه الذي أحفظ كل دقائقه وتفاصيله، وعدت لأسأله:

- ومن هذا الوغد؟ ولماذا حرص على جمعنا معًا؟

وقف يتشمم الهواء، ويصغي لشيء ما، فأكملت:

- هل هو «سيزر»؟ أعتقد أنه هو، وأظن «لوكي» هو رجلك الذي كان يكشف لي الأسرار الغامضة.

هز رأسه نافيًا، وعيناه شاردتان في عالم آخر، وهو يقول:

- مخطئ أنت يا ولدي، الأمور ليست كما توحي به.

رحت أتلفت حولي بحثًا عما يلفت انتباهه، وأحاول أن أنصت لما ينصت له، ولما عجزت، قلت بغير وعي:

- بل الأمور واضحة أكثر من اللازم، و.....

قاطعني قائلًا:

- أنت ترى الأمر كله بشكل معكوس، «سيزر» أحد رجالي، وكان ينفذ تعليماتي، أنا من خططت لكل هذا، أنا من وضعت الصناديق في طريقك، كان عليك أن تخوض كل

هذه التجارب كان عليك أن تعرف وتتعلم، وعلى قلبك أن يموت، لتحمل ميراث أبيك، لو فشلت أنا في استعادة القنينة. إن لنا أسرارنا الخاصة، وعهودنا التي لا يمكن أن نخلفها، وميراثنا الذي لا يجب أن يندثر بموتي، وفي النهاية كانت الصناديق المظلمة ستكشف لك أسرار من حولك، وستقودك ذات يوم للصندوق الذي خضعت فيه لعملية التمويه والسبات وساعتها كنت ستكون مؤهلًا لتعرف كل الحقائق، ويكون وقت ذلك الحقير قد فات وانتهى آخر فصل من قصتنا المشتركة، ولكن مع الأسف السنوات منحت ذلك الوعد الذكاء والدهاء، فحرص على أن يحيط بك رجاله، والذين نقلوا له شغفك بالصناديق، فحاك خطته كلها حولها، وظهر لك على الإنترنت المظلم حاملًا اسم إله الخداع «لوكي».. وخدعته الأخيرة كانت في أن يدفعك لتستخدم دماءك لفتح الصندوق الذي عجز هو عن فتحه.

حاولت أن أتملص من حديثه، وقصته العجيبة، وقلت:

- هذا كلام غير منطقي؛ لأن الصندوق الذي كان يحتوي على قناع التنفس الإلكتروني، كان يشبه صناديق «سيزر»

هتف في حسم:

- أنت قلتها، يشبهه، إن للمؤامرة أذرعًا كثيرة.

قلت في ذهول:

- إذًا أنت من تسبَّب في نهر الدماء الذي سُفك، أنت من وضعني في هذا الجحيم، أنت ذلك المخادع، لماذا فعلت

هذا؟ ومن يكون هذا الحقير الذي أحال حياتنا الجحيم ؟ هل هو ساحر آخر؟

تشمم الهواء مرة أخيرة، ثم قال بصوت مقبض:

- لأننا نحن أشرار القصة يا ولدي، ولكننا هذه المرة على حق؛ لأننا نبحث عما لنا، وما نلناه بجدارة بعد آلاف السنين، و«لوكي» هو نفسه «بدر السيوفي»، ذلك القاتل المأجور الذي أراد أن يجعلك تنسلخ عن ماهيتنا، وتكره ما نحن عليه.. عن طريق ما يبثه من سموم في عقلك عن طريق رجالك، وأولهم ذلك الحقير «مازن».. كان الهدف الأول من الصناديق أن تكشف لك كل الخونة.. وأن تبلغك رسالة محددة: أن الجميع كانوا ضدك.. وكانوا يهيئونك إلى تلك اللحظة التي تفتح فيها الصندوق، الجميع عدا «سيليا» شقيقتك التي لا تعرف عنها أي شيء.. ونحن هنا، لأنه أراد هذا.. هل استراح قلبك الآن أم ما زال هناك ما يش....

وفي اللحظة التالية، قاطعه صوت ضحكة باردة مجلجلة دوت في أرجاء المخزن، وسحبت منه كل الدفء.

ومن قلب العدم، تجسد «بدر السيوفي» بجسده النحيل، وحلته الحديثة الأنيقة، وقد طلى وجهه بطلاء أسود.. يشبه طلاء الحرب الذي كانت تستخدمه القبائل البدائية، أو المقاتلون في الحروب...

وحوله «مازن» و «فيروز» وخمسة من حرسي الخاص، «وعمر» الذي نهض مبتسمًا من بين الموتى، وبينهم وقفتا مقيدتين، بقيود بلاستيكية قوية؛ «شذى» التي أصابها الرعب حد الموت، و«سيليا»، التي هتفت فور أن تلاقت أعيننا:

- كان عليَّ أن أنقذك من شر «مازن»، حتى لو زرعوا كراهيتي في قلبك، حتى لو لم تكن تدري أنني شقيقتك.

وفي هذه اللحظة، صفق أبي بيديه، فتجمد كل شيء.

وكأنها أوقف أبي الزمن.

لم يعد هناك أصوات...

أو حركات.

ولو ألقيت إبرة لسمعت صوت اصطدامها بالأرض.

وثبت الجميع على انفعالهم الأخير...

كتماثيل شمعية لا حياة فيها.

وقال أبي في صرامة:

- إن مفعول هذه التعويذة لن يستمر كثيرًا، عليك أن تحيط علمًا بكل ما فاتك، عليك أن تستعيد أيضًا ذاكرتك التي عبث بها ذلك الوغد «يوشيدا» لتستطيع تمييز أعدائك.. لأنك خطتي

البديلة، والوحيدة.. ونقطة ضعفي الأبدية.

نظرت له في غير فهم، فازدرد لعابه، وقال في انفعال:

- لم أعتقد في يوم من الأيام أن أحب أحدًا أكثر من نفسي، ولكنه حدث، أنت وشقيقتك.. كنزي الأكبر، الذي أنا مستعد للتضحية بكل شيء من أجله.. والآن اقترب مني.

اقتربت منه كالمنوم مغناطيسيا، فوضع يده على رأسي، وانطلقت معه عائدًا بالزمن...

لمئات القرون.

أسرار عائلية

هذا المرة لم أكن أرى بعيني، بل بعين أبي، الذي اقتنعت الآن فقط أن عمره يمتد لمئات السنين، وأن نسلنا يرجع إلى أواخر عهد الأسرة الخامسة الفرعونية، وتحديدًا عصر الملك «ونيس» الذي يمتد من «2356 -2323» قبل الميلاد.

يمتد إلى جدي «جاجا» الذي بدأ حياته خادمًا لأحد الكهنة العظام، والذي حالفه الحظ لينقذ ابن الكاهن الوحيد من موت محقق بين براثن وأنياب تمساح نيلي مفترس، وعلى أثرها طلب الكاهن من خادمه أن يتمنى أي شيء وسيحققه له ردًّا لهذ الدين.

ولم يتخيل الكاهن أن يكون طلب جدي، هو تعلم العلوم السحرية السرية، التي كانت تقتصر على الصفوة دون العامة، ولا يتم تعلمها إلا بشروط صعبة، وحاول أن يجعله يعدل عن طلبه المستحيل، أو يغريه بالحلي والذهب، فلم تُجدِ معه طريق، وفي النهاية التزم الكاهن بعهده الذي قطعه، وأن يحقق له ما يتمنى، وإن ظلت نفسه تنازعه للحنث به.

وفي سرية تامة، وخارج «بر عنخ» أو بيوت الحياة، كما كان يطلق على مدارس تعليم السحر في حينها، التي كانت تحت رعاية «تحوت» إله السحر نفسه، تعلم «السحر الأبيض» أو «السحر الوقائي»، الذي كان يُستخدم في إصلاح ذات البين بين الأزواج، وطرد الحيوانات المفترسة والأرواح الشريرة، والتخلص من الأمراض، ووقاية الموتى من شر الشياطين في العالم السفلي، ومساعدة أرواحهم على التجول في الكون.

ومع مرور الوقت انبهر الكاهن بمهارة تلميذه غير المتوقعة، وسرعة استيعابه لتلك العلوم، التي اعتبرها رسالة من الآلهة؛ كونها ألقت في طريقه هذا التلميذ النجيب، فتطور الأمر ليعلمه اللغة «السريانية» لغة الجن، التي كان الكهنة يستخدمونها في طقوس السحر الأسود، الذي كان يُستخدم للسيطرة على الكائنات أو الطبيعة بوسائل خارقة، وإنزال العقاب على الأشخاص الذين لا يقدمون القرابين للآلهة، أو من يحاولون تدنيس المقابر، وغيرها.

بل إنه علَّمه «مبدأ الاتصال»، فكل شيء يفعله بشيء مادي يخص الشخص المستهدف يؤثر عليه.. ثيابه أو خصلة من شعره أو بعض أظافره.

كما علَّمه طقوس إهلاك أعداء «رع»، وأخضعه إلى طقوس التنشئة أو ما يطلق عليها طقوس تلقين الأسرار، ليهيئه للدخول في سلك الكهانة، التي لم يكن يستطع القيام بها غير نوع معين من الكهنة السريين الذين كان جلهم من السحرة والعرافين، والذي كان أحدهم.

وأطلعه على سر الكلمة، وجعله ينظر إلى حروف اللغة الهيروغليفية على كونها كائنات روحية مؤثرة، وفعالة في العالم الآخر، ثم علَّمه طرق صنع التمائم، والقلائد، والطلاسم التي تمكنه من النجاة بنفسه من الثعابين وكل المخلوقات المفترسة التي تعترض طريقه، وتمنحه القدرة على استخدام أشعة الشمس كحبال للصعود إلى أعلى، وعلى صناعة أدوات تمكنه من التحكم في الزمن، وتحويل الجماد إلى كائنات مفترسة.

والقدرة الأخيرة ذكرتني بما قرأته عن حادثة موثقة في بردية شهيرة تتحدث عن ذلك الكاهن الذي فوجئ بخيانة زوجته له،

فانتظر إلى أن نزل الشاب الخائن إلى المياه ليغتسل، ووضع الكاهن تمساحًا صغيرًا من الشمع في الماء، سرعان ما انقلب إلى تمساح ضخم افترس الشاب.

ولم يتوقف الكاهن عن تلقينه كل ما تعلمه، إلى أن جاء الوقت الذي أطلعه على سر الأسرار، ودرة العلوم السحرية، تلك المادة المقدسة المدفونة في مكان سري لم يطلعه عليه، وكيف أن أهميتها تفوق أهمية الزئبق الأحمر، وأكثر ندرة منه.

وأنه استخدم لصناعتها نوعًا مندثرًا من السحر يتفعل مرة واحدة كل دورة زمنية جديدة، ولم يصنع منها سوى قنينة واحدة، لم تُفتح أو تُستخدم، ووحدها من ستختار صاحبها، وأنها قادرة على من يستخدمها حياة شبه أبدية، تنتهي بوصوله لدورة الحياة التالية، التي يتفعل فيها السحر مجددًا، ليصنع المزيد، وهكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وهو الذي منحه اسم «جاجا» تيمنًا بالساحر والكاهن المخضرم «جاجا إم عنخ» الذي طوى ذات يوم بحيرة، ووضع نصفَي الماء بعضها فوق بعض ليستخرج حلية كانت ضائعة من امرأة كانت بصحبة الملك «سنفرو» في رحلته البحرية. وقد فعل هذا على مرا مرأًى ومسمع من الملك والخدم والحرس والعشرين جارية اللاتي كن بصحبته.

وبعد أن كان ارتفاع الماء في أحد نصفَي البحيرة اثنتي عشرة ذراعًا، أصبح لا يقل عن أربع وعشرين ذراعًا، والنصف الآخر بلا ماء، وعندما استخرج منها القلادة، أعادها بكلمات سحرية لسيرتها الأولى، كما طواها الكاهن بكلمات سحرية.

وبعدها بدأت رحلة استمرت عدة آلاف من السنين، إلى أن تسلم أبي في عهد المماليك العهد، وكرَّس نفسه للوصول إلى القنينة وسر الخلود.

وخلالها خدم أبي كل أشرار التاريخ ليعينوه في سعيه، وراح يبث سمومه بينهم، وكان سببًا رئيسيًّا ليورد معظمهم حتفهم، وكأنه شيطان رجيم.

كان من الممكن أن أصف هذا العمل بالشجاع لولا سقوط آلاف الضحايا من أجل تحقيق هذه الغاية، ومن أجل أن يقدم قرابينه يوما. الدموية، لآلهة وكيانات بائدة اندثر كل من عبدوهم أو استعانوا بهم يومًا.

وطوال هذه الفترة العصيبة، كان يخوض حرب بقاء مع ذلك القاتل المأجور «بدر السيوفي» الذي كان يسعى للحصول على سر العمر الطويل، والذي من أجله صنع له أبي ذلك الفخ في البيت المسكون، واستحضر من أجله «سارق الأرواح»، وهو كيان موغل في القِدم، يحيا على الطاقة الحيوية للمخلوقات، ويظل يستنفد طاقتهم على مدى مئات السنين ببطء شديد، وعذاب متصل، لوجوده في نقطة بين الأبعاد تبطئ مرور الزمن بداخله عما خارجه، وبسببه نشأت أساطير كثيرة كالنداهة والفتاة الباكية والطفلة الشبح وغيرها.

والعجيب أن «بدر السيوفي» كان يهرب من فخ تلو آخر، واستطاع الصمود أمام كل مؤامرات أبي، وإفشال خططه، وكأنهما لاعبان محترفان على رقعة شطرنج، يحاصر كل منهم قِطع الآخر، مستمرين في الصراع دون أن يهزم أحدهما الآخر.

قبل أن يختفي ذلك القاتل عقدًا كاملًا، ظن فيه أبي أنه هلك لأي سبب، إلى أن ظهر ذات يوم، وبخدعة ذكية استحوذ على

القنينة، باستخدام سلاح غريمه، وهو السحر الذي أجاده لدرجة كبيرة.

ومع الأسف لم تكن هذه هي نهاية المباراة، فأبي كان حريصًا طوال الوقت على أن يسبقه بخطوة أو أكثر.

وبعد أن استولى «بدر» على القنينة، اكتشف أنه ما زالت لأبي اليد العليا في الأمر.

فالقنينة لا يمكن فتحها...

إنها بين يديه كأنها خِزانة مغلقة، لم تفلح معها أي وسيلة، قديمة أو حديثة، بعد أن استعمل عليها أبي سحرًا نادرًا قديمًا.

أي إنه عاد إلى المربع صفر، فحصوله على القنينة دون وسيلة لفتحها، كأنه لم يحصل عليها قط. صحيح أنه حرم أبي منها، ولكن ما الفائدة؟ فبحساباته سينتهي تأثير قطرته قبل قطرة أبي، كما أنه لا يعرف ذلك السحر الذي يجعله يجدد شبابه دون استهلاك القطرات، والذي يستخدمه أبي بالاستيلاء على حيوية الشباب، فكما قرأت في مذكرات «بدر السيوفي»:

الشباب يأتي من الشباب.

لقد نجا من كل مؤامرات أبي، وهزمه الزمن؛ فقطرة واحدة من الزجاجة لم تكن كافية، وبضع مئات من السنين جعلته يطمع في الخلود، ولم يعد يقنع بالموت، بعد أن صار أحد أثرى أثرياء العالم، وأتقن العلوم القديمة والحديثة، وبات ينظر لنفسه على أنه نصف إله.

قطرة واحدة صنعت منه مسخًا!

فماذا عن أبي، الذي يمتلك زجاجة كاملة، وثروة بلا حدود، وشرًا لا مثيل له؟

- لأننا نحن أشرار القصة يا ولدي...

راحت العبارة تتكرر في عقلي، والمشاهد تنسحب من حولي، وأنا أعود للواقع المجمد...

كانت لحظة عصيبة..

صحيح أنني لم أرَ نفسي ملاكًا، ولم أتعامل بنبل أو نزاهة في مواقف كثيرة، وتركت «جوليا» لتلتهمها التماسيح، وتسببت في موت العديد من رجالي، والموظفين في المصعد، ولكنني لم أرَ نفسي شيطانًا، فلكل منها سبب...

ففي حالة «جوليا» غلبني خوفي وجبني، ورجالي الذين فقدتهم في رحلاتي ومغامراتي -التي اكتشفت الآن أنني كنت مدفوعًا إليها -كانوا يعلمون مخاطر عملهم؛ ولهذا كانوا يقبضون بسخاء، بينما الموظفون في المصعد كنت جاهلًا تمامًا بما يحاك ضدهم، ولن أنكر أنني كنت أجهل خطر تلك الأدوات السحرية. إنني أمرُّ بأصعب معضلة أخلاقية واجهتها في حياتي...

أن أكون في صف أبي ضد ذلك القاتل المأجور الذي يعيث خرابًا في كل مكان تطأه قدماه، أو أتركه ليقتل أبي وينتهي ميراث الشر..

ثم هل أضحي بكل هذه العلوم والمعارف، التي سعيت طوال عمري للحصول عليها، وهي تقبع في رأس أبي؟ والقنينة، إنه كنز لا يجب التفريط فيه، و.... وقطع أفكاري صوت أبي وهو يقول:

- عليك أن تتحكم في أفكارك اللعينة هذه أيها الوغد، فأنت كغيرك أمامي كتاب مفتوح، وهذه أفكار لا تصلح أن تكون

من ابن لأبيه، أنا لم أكرس لك كل حياتي لتقابلني بكل هذا الجحود.

صرخت في رعب، وأنا أتأمل المشهد المتجمد أمامي:

- أنت تقرأ أفكاري أيضًا.. إن هذا كثير.. كثير جدًّا.. ثم ألن تنقذ ابنتك ؟ ألن تساعدني في إنقاذ «شذى»؟

كنت أحاول الهرب من دوامتي الذاتية، بتحويل خوفي نحو من يستحقه، ولكنه صدمني قائلًا:

- لا يمكن أن تفصل أحدًا عن التعويذة، وقتها أشرِفُ على النفاد، ولم تقرر بعدُ لأي جانب ستنحاز؟

صرخت في غضب:

- وما أهمية هذا؟

قال في حسم:

- كل هذا يدور من أجل هذه اللحظة.

@ART_OF_BOOK

أشحت بيدي، وأنا أقول في حيرة:

- وما الجدوى من أن أختار بين شرَّين؟!

أجابني في صرامة:

- الجدوى أنك بت تعرف في أي جانب أنت.

جززت على أسناني، وأنا أصيح:

- أنت تراوغ في الحديث، وتعيدني إلى نفس النقطة.

هز رأسه بتلك الطريقة التي تميزه، وقال بهدوء:

- الخير والشر أساسيان في هذا العالم يا بني، بل في كل العوالم... ولو اختفى أحدهما لفسد العالم.

قلت في نفاد صبر، وعيناي على «شذى»:

- إنها فلسفة حمقاء...

رفع يديه، وانهمك في رسم دائرتين متقاطعتين وهميتين، وهو يقول:

- ولكنها الحقيقة.. عليك أن تختار فوقتنا محدود.

تنقلت عيني بينه وبين ذلك القاتل الجهنمي، وبين «مازن» و «سيليا» و «عمر» و «شذى»، ثم عدت إليه قائلًا في مرارة:

- اللعنة على الاختيار، إنني أحبك من أعماقي وبكل جوارحي ولكني غير قادر على رؤيتك على هذه الصورة البشعة.. لماذا وضعتني في هذا الاختبار الصعب.. لماذا؟

رسم دائرة وهمية أكبر، وجذبني لأكون خلفها، وهو يصر على أسنانه قائلًا:

- لأنها لحظة الخلاص.. كن حذرًا.

ثم راح يردد تلك التعويذة باللغة المصرية القديمة، التي قرأتها في مكان ما، ولكنها لم تكن بهذا الوقع أو هذا التأثير:

- وجهي هو «رع» وعيناي همها «حتحور»، وأذناي همها «أبوات»، وشفتاي هما «أنوبيس»، وأسناني هي «سركت» وأحشائي هي «سخمت»، وقدماي هما «بتاح». لن تهاجم ذراعيَّ، لن تقيد يديَّ الإنس ولا الجن، سواء كانت أرواحًا شريرة أو طيبة.

و همست لنفسي:

- إن هذا كفر وشرك بَيِّن!

وفي اللحظة التالية، دوى صوت قاصف في المكان، ورأيت «بدر السيوفي» بجسده النحيل، والطلاء الذي عجز عن إخفاء ملامحه، وكونه عجوزًا في أرذل العمر، وهو يتقدم نحونا قائلًا بصوت أجش:

- ما زال جرابك لا يخلو من الخدع بعدُ أيها المحتال، ولكن يمكنك اعتبارها الخدعة الأخيرة، ستموت أنت ونسلك لو لم تمنحني سر فتح القنينة.

أجاب أبي في هدوء:

- نحن أموات في كل الأحوال، فلماذا أمنحك إياه؟

أجاب بكلمات تقطر حقدًا:

- الموت ليس مخيفًا بالفعل، بل يراه الكثيرون راحة من كل شقاء الحياة.. المخيف أكثرَ طريقةُ الموت، هل تعتقد أنك هنا بالصدفة، وأن عزل هذا المكان مجرد إجراء أمني احترازي؟! إنه مقبرة سلالتك الأخيرة.. إنه الجحيم الذي صنعته من أجلك في «روما»، والذي أستخدم فيه سحر العصر الحديث سحر التكنولوجيا.

وهنا قهقه أبي قائلًا:

- هل تظن أنني لم أكن أعرف أنك ثالثنا في تلك الرحلة العقلية عبر الزمن؟ هل تظن أنني بالحماقة والضعف ليأتي مبتدئ مثلك ويستولي على أثمن كنوزي؟ هل تظن بالفعل

أنك استوليت على القنينة، وينقصك المفتاح؟ يا لك من خادم وقح!

ظهر غضب هائل على وجه بدر السيوفي وهو يقول:

- هل أصابك اليأس لتدَّعي خدعة مماثلة؟ لقد تأكدت من أصالتها.

أجابه بصوت يحمل كثيرًا من الاحتقار:

- أصالتها! وهل هناك مثيل لها لتقارنها به؟ لا بد أن تراخيَّ في التعامل معك، جعلك تظن نفسك في مكانة غير مكانتك وأنك من البداية إلى النهاية مجرد خادم مارق، عليه أن يلقى العقاب.

استعر الغضب في كيان «بدر السيوفي»، وانتقل إلى رجاله وقد امتزج بالكدر، ربما لأن كلام أبي قد لمس أشياء كثيرة في قصتهم غفل عنها، وقبل أن يرد أو يقوم بأي رد فعل، أكمل أبي قائلًا:

- والآن لنُنهِ هذه المسرحية السخيفة، وأتمنى أن تكون قد استمتعت بنهايتها يا «محمود»؛ فقد حان الوقت لنثأر لأمك موتها وحده هو من كتب كلمة النهاية في هذه اللعبة الدموية المسلية. وتذكَّرْ يا ولدي، في بعض الأحيان على القط أن يوهم الفأر بأنه المنتصر، ليغترَّ الفأر ويتعامل دون حذر قبل أن يفتك به، وفي البداية لا داعي لوجود كل هؤلاء الشهود.

قالها فانطلقت من السقف عدة حُزم من خيوط الليزر، أطاحت برجال الحراسة الخمسة المحيطين به، ومعهم «عمر» و «مازن»، لتساقط جثثهم المتفحمة أرضًا، في مشهد مروع، جعل «شذى» وسيليا» يصرخان في هلع حقيقي.

ليشير أبي نحو الجثث التي يتصاعد منها الدخان، ويقول مبتسمًا:

- سحر التكنولوجيا.. سحر العلم.. ألم يصل لقناعتك بعدُ أن السحر هو أبو العلوم، والجسر الواصل والمتحكم فيها؟

قالها ثم راح يتحرك بشكل مسرحي، جعل الفضول يأكلني، وأقارن بين توتره السابق، وحركاته التمثيلية الواثقة، وهو يفتح ذراعيه، ويدور حول نفسه قائلًا:

- وماذا كنت تعد أيضًا لي أيضًا؟ لا تجيب.. حسنًا.. حسنًا.. تلك الشباك المصنوعة من الألياف القوية، والمشحونة بطاقة، تكفي التحويل فيل إلى رماد في بضع ثوانٍ.

وقرن قوله بفرقعة إصبعيه الإبهام والسبابة، فقذف من عدة أماكن في أنحاء القاعة تلك الشباك القاتلة نحو «بدر» مباشرة، وقبل أن تمسه بجزء من الثانية، انتهى من ترديد بضع كلمات، فسقطت الشباك تحت قدميه بعضها فوق بعض، ليصدر عنها انفجار عنيف، أطاح بالمرأتين المقيدتين عدة أمتار للخلف لتصطدما في الجدار في عنف شديد، وتسقطا فاقدتَي الوعي أو الحياة، دون أن يصاب هو بأدنى أذًى.

لأصرخ أنا في هلع، وأحاول أن أتحرك من مكاني لنجدتهن، ليوقفني حاجز خفي، وصوت أبي يتردد في عقلي:

- اصمد أيها الأحمق.

قبل أن يكمل بطريقته المسرحية المستفزة:

- وآخر مفاجآتك التابوت المحكَم الإغلاق الذي قررت أن تجعله مثواي الأخير. صحيح أن ما في القنينة يمنح الخلايا

القوة لتعيش أطول، ولكنه لن يمنع موتي بالوسائل العادية خنجر.. رصاصة.. الاختناق داخل صندوق. وصحيح أني أستطيع أن أدخل نفسي في غيبوبة طويلة تقلل من حاجتي للهواء، ولكني في النهاية سأموت.. الدفن حيًّا كان خيارك لي، وسيصبح مصيرك.

وهنا قهقه «بدر السيوفي»، وإن ظهر على صوته الاضطراب، وهو يقول:

- هل تعتقد حقًّا أن مفاجآتي انتهت؟

وهنا فعل أبي ما لم أتخيل أن يقوم به، لقد تلاشى من مكانه بغتة، وظهر في مكان آخر قابضًا على عنق شخص يرتدي ملابس سوداء من رأسه حتى أخمص قدميه، وفي يده عصاه، وهو يمسك رأسه بين يديه، ويديره في قوة محطمًا عنقه قائلًا:

- «يوشيدا» هذا مشعوذ أحمق، لا يعرف من العلوم السحرية إلا قشورها، ولا يصلح سحره إلا مع الضعفاء. هل كنت تعدُّه فعلًا خط دفاع أخيرًا؟

رأيت وجه «بدر السيوفي» يتجهم، ويظهر عليه الوهن، وهو يخرج نطاقه قنينة زجاجية قديمة ويلقيها في غضب، قبل أن يتحرك بسرعة عاصفة، ويحيط ذراعيه بعنقَي المرأتين المقيدتين، ويقول في من وحشية:

- ابنتك.. أم محبوبة ابنك؟ بمن سنبدأ حفل الليلة؟

كانت عيناه تلمعان كشيطان رجيم، مما دفع أبي ليصرخ:

- دعهما خارج هذه اللعبة!

ليصرخ القاتل في غل، وهو يشدد قبضتيه على عنقهما:

- أما زلت تراها لعبة؟ سأجعلها إذًا لعبة النهاية، ما لم تعطنِي القنينة الأصلية.

صرخت في هلع:

- امنح هذا الوغد ما يريد.

ليصرخ أبي:

- لا تتحدث هكذا كالمخنثين، إنها أقوى سلاح في الكون كنزنا الحقيقي.

لأصرخ في غضب:

- اللعنة على كل كنوز الدنيا، لو حرَمَتنا ممن نحب.

وللحظة اختلجت شفتا أبي، وظهر عليه التردد، ليصرخ «بدر» في غضب:

- أنصت لابنك، سَلِّمني القنينة، وأعدك أن يكون هذا آخر عهدي بك وبسلالتك، وما لم تحاول استعادتها، فلن يقربكم أذًى.

قلت في رجاء:

- إلا «شذى» يا أبي، لقد اخترتك أنت وشقيقتي و«شذى»، اخترت أن نحيا حياة طبيعية، وأن ينتهي نهر الدماء هذا، كل هذه الأمور أفسدت حياتك، فلا تدعها تفسد حياتنا.

قلتها فساد الصمت، وظهرت ملامح صراع عنيف على وجه أبي، قبل أن يقول بصوت مهزوم:

- وما الذي يجعلني أثق في كلمات قاتل زنيم مثلك؟

قال «بدر السيوفي» في صوت يشوبه الانفعال:

- لا شيء غير كلمتي، التي منعتني من قتلك من قبل، والتي ألزمتني بالثأر لـ«زهرة»، والتي ستجبرني على الوفاء بالعهد الذي قطعته.

وهنا قال أبي في يأس:

- ولكنك لن تحرمني أنا وابني من قطرتين إضافيتين.

شد «بدر السيوفي» جسده، وقال في حسم:

- ربما قطرة واحدة لابنك، وأنت ألم تكتف من الحياة بعد؟!

صمت أبي بعض الوقت، ثم أخرج من جيب معطفه قنينة وألقاها نحو «بدر» الذي ترك المرأتين، والتقطها في لهفة، وهو يفتحها بسرعة ليتأكد من عدم وجود خدعة أخرى في الأمر، قبل أن يرفعها لقمه ويرشف قطرة، ويشير نحوي ويقول:

- وأنت وحدك تقدم، سأمنحك القطرة، ولكن تأكد لو أنك حاولت تتبعي بأي شكل من الأشكال، فلن أرأف بك لحظة.

كانت لحظة الانتصار تسكره، فلم ينتبه لأبي الذي أشار لـ «سيليا» أن تسحب «شذى» بعيدًا عنه، وعيناه تلمعان، وهو يقول بصوت مهزوم يخالف ما تظهره ملامحه:

- ابني أكثر حكمة من هذا...

قبل أن يفرقع بإصبعه ويقول:

- وأنت أكثر القتَلة حماقة في الوجود.

التتفتح أسفل منه فجوة هائلة سبح في فضائها بلا حول أو قوة، غير مصدق ما يحدث له، لتخرج منها أذرع أخطبوطية سوداء،

لتسحبه في أعماقها، لتجتاح المخزنَ كله موجةٌ باردة، جمدت الدماء في عروقي، وجعلت كل مخاوفي القديمة تتجدد..

ولم تنتهِ إلا وأبي يتقدم من القنينة التي ألقاها ذلك القاتل الذي نال أبشع عقاب في الوجود، وهو يقول:

- الأحمق من لا يدرك قيمة الكنز، عندما يحصل عليه.

هتفت في دهشة، وأنا أضم «شذى» التي استفاقت على هذا الهول وأنا أتمنى من أبي أن يكون قادرًا على محو تلك البشاعة من عقلها:

- هل كانت معه القنينة الحقيقية طوال الوقت؟

ابتسم أبي، وقال في هدوء:

- بلى، والأحمق لم يصدق أنها هي؛ لأنه لم يرغب أن يصدق فشله في فتحها.. لقد طالت هذه الحرب كثيرًا، وكان عليَّ إنهاؤها، أن أهزمه نفسيًّا أولًا، وأمنحه ثقة زائفة في نفسه كي لا يكشف الخدعة، الحرب خدعة يا ولدي.

وبيني وبين نفسي رددت:

- بالفعل الحرب خدعة، ولا يربحها إلا الأشرار.

ليُدوي صوته في عقلي:

- ليس كل الأشرار بمهارة وعلم أبيك.

ولم أجد أي رد بعدها.

@ART_OF_BOOK

الخاتمة

بعد عدة أسابيع..

وقفت شذى تتأمل مشهد الحديقة المبهر من نافذة فيلتها الجديدة بعض الوقت، وعندما ارتوت روحها من جمال المشهد وعذوبته استدارت عائدة إلى غرفة نومها، في اللحظة نفسها التي دخلت فيها الخادمة، ومنحتها فنجان الشاي الأخضر الذي تاقت له، ثم أشارت لها أن تبدأ في فتح الصناديق المغلقة، ليشرعوا في ترتيب الأغراض.

وأثناء قيام الخادمة بإفراغ الصندوق الأول، راحت ترتشف الشاي من الفنجان وروحها تحلق مع «محمود» الذي حقق لها حلمها، وأنشأ لها مسكن أحلامها، حسب التصميمات التي رسمتها له، وها هي تقوم بتأثيثه على ذوقها الخاص.

إن «المحمود» هو فارس أحلامها حقًّا، ولولاه لما شعرت لحظة بأنها على قيد الحياة.

كانت تتمنى أن تنهي ترتيبات غرفة النوم الجديدة، قبل أن يعود من العمل؛ ولذلك أخبرت الخادمة أن تنادي رفيقتها، وأن يتركز العمل كله في البداية على غرفة النوم.

والحقيقة أن الأمر لم يكن سهلًا، واستغرقهم نصف اليوم، ولكنهم في النهاية أنهَوا عملهم فيها، وتركوها لتضع لمساتها الأخيرة. وأثناء استغراقها في الأمر، عادت الخادمة من الخارج بصندوق خشبي مغلق متوسط الحجم مغلف بالورق، وأخبرتها أنه قد أحضره أحد عمال التوصيل.

أشارت لها أن تضعه على المنضدة وتغادر.

وبرغم سوء التغليف الخارجي، وحجم الصندوق الصغير، فإنها توقعت أن يكون هدية مفاجئة من زوجها «محمود».

ولذلك فتحته بلهفة، كان هناك كلمات بلغة لم تفهمها أقرب إلى الإنجليزية على جانبَي الصندوق، وكان هناك رقعة جلدية، كُتب عليها بخط أحمر:

- هذه الفرشاة تمحو الزيف، وتريك حقيقة من حولك.

مدت يدها داخل الصندوق، بعد أن أشعلت الجملة فضولها، وأخرجت تلك الفرشاة العتيقة من الصندوق، في اللحظة نفسها التي اجتاز فيها زوجها «محمود» مدخل باب غرفة النوم، ليقع بصرها على وجهه، وتطلق صرخة رهيبة.

تمَّت بحمد الله

@ART_OF_BOOK

المحتويات

الصناديق المظلمة..............................2
هوس..............................5
ميراث قديم..............................19
الآن أفتح الصندوق..............................26
أوراق التاروت..............................33
أطفئ الشمعة..............................73
قصة مسلية..............................90
مسكون..............................114
لوح اللعنة..............................137
صندوق وهمي..............................157
يد المجد..............................179
صندوقان..............................214
أسرار عائلية..............................235
الخاتمة..............................250

الصناديق المظلمة

إنها صناديق مغلقة، مجهولة المصدر، والمحتوى، يُدفع مقابلها بالعملات الرقمية، قادمة من أعماق الإنترنت المظلم.
قد تجدُ بداخلها، تعويذةً قاتلة، أو لعنةً قديمة، أو غرضًا سحريًا مفخخًا، أو الشيطان ذاته.
إنها صناديق تكشف أحطّ وأخطر ما يُوجد في هذا العالم الخفي.

إنها الصناديق المُظلِمة.

9 789778 202823